ت ١٤
ت ٣
٨٤٥٩٤٣

المتابي
أديباً وناقداً

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ٢٠٠١/٨/٢٩

إعداد

هدى أحمد مسلم هديب

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب ٢٠٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ: _____

أعضـــاء اللجنـــــة	التـــوقيـــع
الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي رئيساً	.....
الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، عضواً	.....
الدكتور ياسين عايش ، عضواً	.....
الدكتور حمدي منصور، عضواً	.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـداء

إلى ....

من منحني معنى الحياة

إلى....

أحب الناس وأغلاهم

أمي ... أبي .... زوجي... ليث

أهدي أولى ثمرات العمر حباً وإجلالاً ووفاءً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجه عظيم الشكر وجزيل الامتنان إلى أستاذي الأستاذ الدكتور: عبد الجليل عبد المهدي الذي أحاط هذا البحث برعايته وعميم عطفه، وتحمل عبء القراءة وعناء الفحص ورأب الصدع، وقد كان لنصائحه ودقة إرشاداته كبير العون وعظيم الأثر في تقديم هذه الدراسة.

وأتقدم بجزيل شكري وامتناني لأعضاء هيئة المناقشة : الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، والدكتور ياسين عايش، والدكتور حمدي منصور، لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحمل عناء قراءتها، ومناقشة جزئياتها، وإبداء الرأي والملاحظة، وتصويب العثرات.

وأتقدم بالحب الكبير، والشكر الذي لا يحيط به نعت، إلى أغلى أخت، الدكتورة فريال هديب، لما كان لها من عظيم الأثر في إنجاز هذه الرسالة، فلها عني كل خير وجزاء. وأتقدم بشكري وحبي إلى كل من قدم لي يد العون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويـــــات

الموضـــــــــوع	الصفحة
- قرار لجنة المناقشة	ب
- الإهداء	ج
- شكر وتقدير	د
- المحتويات	هـ
- الملخص باللغة العربية	ح
- المقدمة	١-٢
- التمهيد	٣-١١
الفصل الأول:	
العتابي حياته وثقافته	١٢-٤٦
– اسمه ونسبه	١٣-١٥
– أخباره	١٥-٢٠
–عقيدته ومذهبه	٢٠-٢٣
– ثقافته	٢٣-٣٢
– علاقاته:	
• مع هارون الرشيد	٣٢-٣٤
• مع الأمين والمأمون	٣٥-٣٨
– علاقته بالأمراء والوزراء:	
• مع الطاهر بن الحسين وولده عبد الله بن طاهر	٣٨-٤٠
• مع الفضل بن الربيع	٤٠
• مع البرامكة	٤٠-٤٢
– علاقته بالشعراء	٤٣- ٤٦

٥٤٦٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

... المحتويـــات

الموضـــــــــوع	الصفحة
الفصل الثاني:	
العتابي شاعراً	٤٧-١١٩
- مصادر شعره	٤٨-١٦٥
الأغراض الشعرية :	
- المديح	٦٦-٧٨
- الاعتذار والعتاب	٧٨-٨٨
- الغزل	٨٨-٩٦
- الوصف	٩٦-١٠٠
- الخمريات	١٠٠-١٠٣
- الشكوى	١٠٣-١٠٩
- الهجاء	١٠٩-١١٣
- الحكمة	١١٣-١١٩
الفصل الثالث :	
العتابي ناثراً وناقداً	١٢٠-١٤٨
- المدح	١٢٢-١٢٧
- العتاب	١٢٨-١٢٩
- التعزية	١٣٠
- الوصايا والحكم	١٣١-١٥٣
- أحاديث العتابي ومساجلاته	١٣٥-١٣٩
- العتابي ناقداً	١٤٠-١٤٨
الفصل الرابع:	
الدراسة الفنية	١٤٩-١٩١
بناء العمل الأدبي :	
- بناء القصيدة	١٥٠-١٥٦
- اللغة والأسلوب في شعره	١٥٦-١٦٤
- الصورة الفنية في شعره	١٦٤-١٧٧
- بناء العمل الأدبي في نثره	١٧٧-١٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

... قائمة المحتويـــــات

الموضـــــــــوع	الصفحة
- اللغة والأسلوب في نثره	١٨٠-١٨٣
- التأثر بمن سبقوه من الشعراء والأدباء	١٨٣- ١٨٧
- الصورة الفنية	١٨٧-١٩٠
- الخاتمة	١٩١
- المصادر والمراجع	١٩٢-٢٠١
- الملخص باللغة الإنجليزية	٢٠٢- ٢٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص

العتابي أديباً وناقداً

إعداد

هدى أحمد مسلم هديب

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي

يهدف هذا البحث دراسة شخصية أدبية لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل الدارسين قديماً وحديثاً؛ فقد كان العتابي من أدباء العصر العباسي الأول ونقاده المعروفين، وجاءت الرسالة في أربعة فصول أوقف الفصل الأول لدراسة سيرة حياة العتابي وثقافته، وأما الفصل الثاني فقد درستُ فيه العتابي شاعراً مبينة أغراض شعره، والفصل الثالث وجه لدراسة العتابي ناثراً وناقداً، أما الفصل الرابع فقد خصص للدراسة الفنية للشعر والنثر.

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أجملها فيما يلي :

أ - كشفت الدراسة عن العتابي الأديب الناقد وعن حياته، وعن العوامل التي أثرت في مجرى حياته وأدبه منذ أن كان حدثاً .

ب - كشف البحث عن عقلية العتابي، وعن ثقافته، وصفاته، وعن أحواله النفسية ، وربط كل ذلك بإنتاجه الأدبي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج – عرض البحث أدب العتابي في صورة شاملة مفصلة، حيث درس شعر العتابي موضحاً الأغراض التي طرقها، ودرس نثره موضحاً كل فن نظم أو كتب فيه ، وربط ذلك الإنتاج بالمناسبات التي قيل فيها .

د – درس البحث أدب العتابي دراسة فنية تطبيقية كشف من خلالها عن الخصائص الفنية لأدبه ، وكشف البحث عن أثر الشعراء السابقين في شعره خاصة فيما يتعلق بالصورة الفنية مثل بشار بن برد، وكشف عن أثر ابن المقفع في نثره ولاسيما فيما يتعلق بالإيجاز والمعاني .

هـ– كشف البحث عن بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية التي صورها أدب العتابي، وجاءت هذه الجوانب في ثنايا الدراسة لأدب العتابي غير مفصولة عنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

تناول عددٌ من الباحثين أعلاماً أدبية بالدراسة والتحليل، وهذه الرسالة جـــهد متواضـــع يدور في فلكها، فأخذت على عاتقها محاولة الكشف عن شخصية كلثوم بـــن عمـــرو العتـــابي، الشاعر العباسي الذي عاش في القرن الثاني الهجري، وعاصر الرشيد، والأميـــن، والمـــأمون، وانقطع في بداية حياته للبرامكة .

ويلاحظ دارس الأدب بشكل عام أن ثمة أدباء نالوا من الحظ والشهرة ما لم ينله غيرهم، فحظيت آثارهم بالاهتمام ، والشرح والدراسة غير مرة، في حين نلاحظ أن هناك عـــــدداً مـــن الشعراء المجيدين في العصور ذاتها لم ينالوا اهتماماً يذكر، وبقوا طي النسيان وحين عكفت على أخبار العتابي، وجدت في شعره ما يستحق الدراسة، وكان مما آثار دهشتي أن العتابي لم ينـــل من الشهرة ما ناله غيره من شعراء عصره، على الرغم من أنه شهد أحداثاً تاريخية مهمة كنكبة البرامكة ، وفتنة الأمين والمأمون ، فدفعني ذلك كله إلى دراسة أخباره، والكشف عـــن آثـــاره المتناثرة في مظان الكتب، فالعتابي أديبٌ وناقدٌ معروفٌ، له مكانته بين أدباء عصره ونقاده ومن تلاهم ، فقد ترك آثاراً أدبية متنوعة بين الشعر والنثر والنقد .

وقد ارتأيت أن أوقف هذا البحث على الحديث عن العتابي أديباً ونـــاقداً ، وجـــهدت أن أجمع الأخبار والنصوص الأدبية التي حفظتها لنا كتب التاريخ والأدب له، ونظرت فـــي هـــذه النصوص فوجدتها تعبر أصدق تعبير عنه ، وتكشف عن جوانب عديدة في شخصيته ، ولاسيما بعد أن علمت أن العتابي كان معتزلياً ، ولكن لم يظهر أثر مذهبه واضحاً في أدبه، بل تجلى في علاقاته مع الخلفاء خاصة هارون الرشيد، والمأمون.

واتكأت في هذه الدراسة على عدد من المصادر والمراجـــع أهمـــها: البيـــان والتبيـــن للجاحظ، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاي، زهر الآداب للحصري، معجم الأدباء لياقوت الحموي،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الدراسات الحديثة: العتابي أديب تغلب لأحمد محمد النجار، والعتابي وما تبقى من شـــعره لناصر حلاوي، العصر العباسي الأول لشوقي ضيف.

وتقع الرسالة في تمهيد وأربعة فصول، تحدثت في التمهيد عن بعض جوانـــب الحيـاة السياسية والاجتماعية والثقافية في عصره.

ووقفت الفصل الأول على دراسة حياة العتابي، في محاولـة للكشـف عـن ثقافتـه، ومذهبه، وأثر ذلك في علاقاته الخاصة والعامة، وعرضت فيه لنسبه ، ونشـأته وبيئتـه التـي عاشها وعرضت لعلاقته مع الخلفاء والشعراء في عصره ، وبينت الأسباب التي أدت إلى تعكير صفو علاقته بهارون الرشيد .

أما الفصل الثاني فقد خصص للحديث عن العتابي الشـاعر ، وبـدأت هـذا الفصـل بالحديث عن مصادر شعره ، وبينت أهمها وأكثرها احتفالاً بشعر العتابي .

وخصص القسم المتبقي للحديث عن شعر العتابي والأغراض التي طرقها ، كالمديح والاعتـذار والاستمناح ، والغزل والوصف والحكم .

أما الفصل الثالث فكان لدراسة العتابي ناثراً وناقداً، وفي هذا الفصل حاولت الكشف عن الأغراض النثرية التي طرقها العتابي ، والكشف عن أهمية آرائه النقدية، وأثرها لدى غيره مـن النقاد ، وتأثره بغيره من أدباء عصره .

أما الفصل الرابع فقد خصصته للحديث عن سمات أدب العتابي الفنية ، وفصلت فيه فـي بناء العمل الأدبي من حيث اللغة والأسلوب والصورة الفنية ، وفي هذا الفصل بينت العلاقة بيـن أدب العتابي وبين أسلوب أهل عصره، واحتفال العتابي بالصورة الفنية ولاسيما التشخيص الذي نهج فيه نهج بشار بن برد .

وختمت هذه الدراسة بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد:

العتابي والحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في العصر العباسي الأول

الحياة السياسية:

عاش العتابي في عصر الرشيد وولديه الأمين والمأمون، وشهد ما وقع في هذه الحقبة من أحداث وثورات، كان لها الأثر الواضح على أهل العصر، فشهد الخلاف بين القيسية واليمنية، والثورات التي قامت، كثورة الوليد بن طريف الشاري، وهو تغلبي النسب من قبيلة العتابي، وشهد كذلك نكبة البرامكة، والفتنة بين الأمين والمأمون وكان لثورة الوليد بن طريف أثرها في علاقة العتابي بهارون الرشيد،[١] لأن ابن طريف كان من الشراة، ثار بالجزيرة واشتدت شوكته، فجرّد له الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني لقطع دابر فتنته،[٢] وقد قتله يزيد في "هيت"[٣]. ولم يكن العتابي راضياً عن خروج ابن طريف، وعدّه في شعر قاله معتذراً للرشيد أفاكاً ومارقاً ومعتدياً. فقال [٤]:

إن كان منّا ذَوُو أفكٍ ومارقةٌ ... وعصبةٌ دينها العدوانُ والزّور

فإن منا الذي لا يستحث إذا ... حُثَّ الجياد وحازتها المضامِيرُ

ففي البيت الثاني يعني يزيد بن مزيد، وهشام بن عمرو التغلبي، وهما من قبيلة العتابي، وكانا من القادة المشهورين لدى الرشيد[٥].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٥، ج١٣، ص ١٢٣.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦ / ص ٣٥٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة،

(٣) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد، فوق الأنبار، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ج٣/٣٩٥.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣/ص ١٢٣.

(٥) الأصفهاني، نفسه، ج ١٣/ص ١٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان لهذه الفتن، والمشكلات الداخلية على قلتها أثر كبير في تغيير سياسة الرشيد مع من حَولَهُ، خاصة البرامكة، وقد نتجت مثل هذه الفتن والمشكلات الداخلية في عهد الرشيد، عن مصدرين هما: إحسان الظن بالعمال، وإطلاق أيديهم في الأمور، والخلافات الحزبية مثل الخلافات مع العلويين والخوارج"[١].

ونرى العتابي يوقع بمنصور النَّمريّ عند الرشيد، بعد وشاية النمري به، ويتّهم العتابي منصوراً بأنه علوي، لدى الرشيد ويروي شعراً له يظهر فيه علويته، فيثير غضب الرشيد عليه[٢]. وكانت نكبة البرامكة[٣] قد أحدثت أثراً واضحاً في أهل ذلك العصر فقد ظل يحيى البرمكي، وابناه جعفر والفضل يلون أمور الدولة سبعة عشر عاماً، وكانوا أهم المتصرفين في أثنائها في جميع شؤون الدولة، وأتاح ذلك لهم أن يصبغوها بصبغة فارسية خالصة[٤].

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين، وأصحاب السير حول أسباب النكبة إلا أن الرشيد لم يقم بمثل هذه النكبة إلا بعد أسباب قوية[٥] دفعته لذلك، وقد شهد العتابي نكبة البرامكة، وتأثر لنكبتهم، لأنه كان في وقت ما منقطعاً إليهم، وهم الذين قربوه للرشيد، وهم من كانوا يصلحون ما يفسده العتابي في علاقته مع هارون الرشيد. وقد لقيه الرشيد بعد نكبتهم فأراد أن يختبره فسأله: ما أحدثت يا عتابي؟ فأنشأ ارتجالاً[٦]:

---

(١) عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٠٧.

(٢) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج٤/ص ١٦٧.

(٣) تمت نكبة البرامكة بمقتل جعفر بن يحيى البرمكي عام ١٨٧هـ، وسجن يحيى بن خالد الذي مات في السجن عام ١٩٠هـ، ولحق به ابنه الفضل عام ١٩٣هـ.

(٤) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٢٤.

(٥) قد يكون من هذه الأسباب مبالغتهم في تصريف شؤون الدولة، فقد جردوا الرشيد من كل سلطان، ولعله من الأسباب، وقوف الرشيد على ما كان يبطنه البرامكة من الزندقة، وقد يكون إطلاق جعفر بن يحيى أحد الثائرين العلويين وهو يحيى بن عبد الله الذي حبسه الرشيد، من السجن دون علم الرشيد.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلومُ على تركِ الغنى باهليةٌ زوى الفقر عنها كلَ طرفٍ وتالدِ

وشهد العتابي، الفتنة بين الأمين والمأمون، ويبدو أنه لم يكن راضياً عما جرى للأمين، وقد ظهر ذلك في بعض شعره الذي قاله معاتباً فيه المأمون، بعد أن تولى الخلافة[١].

ومثل هذه الأحداث والثورات التي أرّقت مضجع الدولة العباسية، كثورات الخوارج والعلويين، والصراع الذي ساد بين أبناء البيت الحاكم حول الخلافة والعصبية التي هاجت بين اليمنية والمضرية زمن الخليفة هارون الرشيد[٢] كان لها الأثر الواضح على الشعراء خاصةً، فقد دفعتهم مثل هذه الأحداث لنظم القصائد والمقطوعات الشعرية، إما مدحاً للخلفاء، أو هجاءً لبعض الخارجين عليهم، أو رثاءً لمن قتل منهم، أو لطلب العفو والاعتذار، وكان العتابي أحد هؤلاء الشعراء.

لاشك أنّ الحياة السياسية في العصر العباسي الأول كانت حياة حافلة بالأحداث والفتن التي سببت إيجاد مناخ اجتماعي واقتصادي لم يُعرف من قبل.

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ ص ٦٢٢.

(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ج٦/ص٤٥٧-٤٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة الاجتماعية:

إن الحديث عن الحياة الاجتماعية في عصر ما، يتطلب الحديث عن المظاهر الأساسية التي تُظهر حال المجتمع بما تتشابك فيه من صور وعلاقات في ذلك العصر.

ومن أهم المظاهر التي يمكن أن تبين حياة المجتمع العباسي في العصر الأول هي حركة التعريب العرقي، والفئات الاجتماعية، وحال أبناء المجتمع المتأرجح بين الترف والفقر، والزهد والمجون، وظاهرة الشعوبية، والزندقة وغيرها من المظاهر.

أما التعريب العرقي الذي تزامن مع بدايات العصر العباسي حتى نهايته، فقد كانت له أسبابه التي منها: اتساع حدود الدولة العباسية، مما أدى إلى انضواء العديد من الأمم والشعوب غير العربية تحت الراية الإسلامية.

وما إن دخلت هذه الشعوب في الإسلام، حتى أخذت عناصرها المختلفة في الجنس واللغة والثقافة، تمتزج بالعنصر العربي، إما عن طريق السبي وامتلاك الجواري، أو عن طريق المصاهرة والزواج بالكتابيات، وكان لذلك الأثر الكبير في إيجاد عادات اجتماعية جديدة[1].

وكان للموالي الذين دخلوا في الإسلام، الأثر الكبير في نشر اللغة العربية في الأمصار الإسلامية، وكذلك نشر الفارسية وغيرها من اللغات في الأمصار العربية، وفضلاً عن امتزاجهم بالعرب، فقد بدأ نفوذهم يقوى، فأثروا في المجتمع، ولونوا الحضارة بما ورثوا عن حضاراتهم الزائلة، وصبغوا الدولة بصبغتهم، وأدخلوا فيها نظمهم وتقاليدهم، وكان خطرهم يكمن في مناصرتهم لكل حركة أو فتنة داخلية كانت تظهر في العصر العباسي، فكان أصحاب تلك الحركات يعتمدون عليهم لضمان نجاح حركاتهم، وأصبح لهؤلاء الموالي سلطان ذو شأن،

---

(1) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٨٩، وما بعدها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحققت لهم المساواة مع العرب، فأثروا في مناحي الحياة المختلفة، فبعد أن قوي سلطانهم "أحسّ هؤلاء الأجانب في أنفسهم قوة ساعدتهم على أن يمكنوا لثقافتهم الأجنبية، كما مكنوا لأنفسهم من المساواة مع العرب الخُلَّص"[١].

وأثرت الجواري أيضاً في الحياة الاجتماعية، "فأصبحت الجواري في متناول كل فرد وملك يمين وكل موسر في المجتمع حسب مقدرته المادية"[٢] ودخلت بيوت العرب المسلمين، فأصبح منهن أمهات الخلفاء، وأصبح منهن الشاعرات، والمربيات اللواتي أشرفن على تربية أبناء الخلفاء، مما أدى إلى إدخال عادات اجتماعية جديدة في جميع نواحي الحياة، فظهر التغير في الملبس والمأكل.

وظهر في العصر العباسي الأول ما عُرف بالحركة الشعوبية، التي اعتمدت على الموالي، فبذر دعاة الفتنة في نفوسهم الحقد، والضغينة والبغضاء على العرب[٣] ومع ازدياد الترف والثراء الفاحش لدى بعض فئات المجتمع، أدى ذلك إلى التفنن في إظهار الأشكال التي لا قبل للعرب بها من الأبنية، والزينة في الملبس والمأكل، وعلى الرغم من كون الانغماس في مثل هذه الحياة المترفة من السمات البارزة في المجتمع العباسي، إلا أنه كان محصوراً في فئة معينة من المجتمع، وهي على الأغلب كانت من الخلفاء والأمراء، والولاة، والوزراء، وكبار رجال الدولة.

---

(١) طه حسين، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١، ص٣٧.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ١٩٧.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١/ ص ١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وظهر إلى جانب ذلك تيار المجون واللهو، وقد بدا واضحاً عند بعض الشعراء، فظهرت الزندقة والمجان واستشرى المجون في المجتمع الإسلامي[١].

وإلى جانب تلك الحياة، اهتم الخلفاء في إظهار التمدن والحضارة في بعض المدن، فأصبحت من المراكز المهمة في الكثير من الصناعات، كمدينة بغداد، بالإضافة إلى وفرة المحاصيل الزراعية والغذائية[٢].

وفي ظل ذلك المجتمع الذي سادته مظاهر جديدة، لم تكن مألوفة على المجتمع الإسلامي من قبل، اندفع الكثيرون للتودد إلى الخلفاء، والأمراء والوزراء، والتوسل إليهم لتحسين حالهم، فكان الشعراء خير من قام بذلك، وترتب على إغداق الخلفاء العطايا والهدايا على مثل هؤلاء أن يسعى بعضهم إلى كسب ثقة أصحاب الأمر، وظهرت نوازع الحسد والغيرة عند بعضهم للإيقاع بغيرهم عند الخلفاء، وكان من نتيجة ذلك أن قام الشعراء المهتمون بالدفاع عن أنفسهم أمام الخلفاء، وبيان مدى الظلم الذي لحق بهم من الوشاة، على نحو ما حدث مع العتابي، عندما وشى به منصور النمري لدى الرشيد. وللعتابي في ذلك قصائد في الاعتذار وطلب العفو[٣] وعاش العتابي في ظل هذا المجتمع، وكان من الذين ابتعدوا عن ترف الحضارة ولهوها، فقد نشأ في البادية، وكان منصرفاً إلى القراءة والعلم[٤].

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج٩/ص ٢٩٤ – ٢٩٥.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١/ص ٧٦.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ط١، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٥٣، ج٢/ص٦٢٤.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة الثقافية:

عاش العتابي في عصر كان من أزهى عصور التاريخ الإسلامي، انصبت فيه التيارات الثقافية المختلفة الناشئة قبل ذلك العصر، واجتمعت مكونة ثقافة عالية مميزة، وعاش في عصر هارون الرشيد الذي كان مشهداً لثورة شاملة العلم واللغة والأدب وعلوم الدين، وترجمة العلوم الأخرى إلى العربية.

وجاء هذا التطور العلمي والثقافي نتيجةً طبيعيةً، اقتضتها ضرورة التوسع في الملك، والتقدم في الحضارة والعمران، ولقد كان لامتزاج العرب بأمم أخرى لها تاريخ في العلم والفن والسياسة، أثر تجلّى في معرفة عامة، وعلوم جديدة، وثقافة واسعة.

" فقد أمكن القول، وصلح الدهر، وقوي نجم التقيد، وهبت ريح العلماء وباد الجهل، وقامت سوق البيان والعلم[١].

ويعدّ الفرس أكثر الشعوب التي امتزج بها العرب آنذاك، فساد ذلك التغير على النمط العربي المعهود في الشعر والنثر والآداب والعلوم. حتى إن "الشعراء البدو لم يعتصموا من تأثير الألفاظ الفارسية، فكانوا يدخلونها في شعرهم على سبيل التملح[٢]".

ونشطت حركة الترجمة في العهد العباسي، فقد ترجم إلى العربية كثير من آداب الفارسية، "وللبرامكة فضل عظيم في إذكاء الترجمة حينئذ، فقد شجعوا بكل ما استطاعوا نقل الذخائر النفيسة، إلى العربية من اليونانية، والفارسية، والهندية[٣]".

وكان لمثل هذه الآثار المترجمة دور متفاوت في إثراء اللغة العربية وآدابها، فقد ظلت الأساليب، ولغة الكتاب والشعر قريبة مما كانت عليه من قبل، إلا أن معاني الأدباء والشعراء

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيان، ج٢/ص ٦٥.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيان، ج١/ص ٧٩.
(٣) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأخيلتهم نضجت، وتأثر تفكيرهم العقلي، وصياغاتهم الذهنية، وصبغ ذلك التأثير في الحياة العقلية العربية بطرق جديدة للتفكير والخيال والمعاني، كما تأثر العرب في بعض الأفكار عن النجوم والرياضة في الشعر من الحضارة الهندية، وفي بعض القصص التي ترجمت من الفارسية إلى العربية، مثل "كليلة ودمنة" يقول الجاحظ في ذلك "فقد نقلت كتب وترجمت حكم اليونان وحُولت آداب الفرس"[١].

وكان لاهتمام الخلفاء بالعلم في شتى مجالاته، الأثر الكبير في إثراء الحياة الثقافية وتطورها، فقد اهتم الخلفاء بتعليم أبنائهم، وعرف عن الرشيد اهتمامه بتعليم الأمين والمأمون. وكان العتابي مؤدباً لهما[٢].

واهتم المأمون كذلك بالعلم وأصحابه، ويذكر أنه غضب حين سمع لحناً لبعض ولده، فقال لهم:"ما على أحدكم أن يتعلم العربية، فيقيم بها أوده، ويزيد مشهده...، وليس لأحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته..... "[٣].

وشجع الخلفاء أصحاب العلم والأدب، فأغدقوا عليهم الأموال، وبفضل ذلك انتشرت مجالس العلم في كل مكان، وتسابق الناس في مضمار الثقافة والعلوم، والآداب، والفنون، ليكونوا الأقرب إلى خلفائهم، الأدنى إلى قلوبهم[٤].

ومن ذلك كله نتبين أن القرن الثاني الهجري، شهد حركة عقلية، أمدتها روافد كثيرة، أولها الثقافة العربية الأصلية، التي تمثلت في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وعلومهما، وفي الشعر، وعلوم العربية، وتقدمت علوم جديدة، كالنحو والصرف، وجمع التراث الشعري القديم،

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج١/ص ٧٥.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ج٤/ ص ٢٧٠.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ج٣/ص١٤٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، ج٥/ص ١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الثقافة الأصلية جمعت ما أخذته من آثار في الثقافات الأجنبية التي فتح العرب المسلمون بلادها لتصبح غير محدودة بزمان أو مكان أو جنس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

العتّابي حياته وثقافته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

اسمه ونسبه:

لم تذكر المصادر التي ترجمت للعتابي اسمه على نحو واحد، فبعض المصادر لجأ إلى الاختصار، واكتفى بذكر كنيته والمقطعين الأولين من اسمه، ونسبته إلى قبيلته ولقبه كما ذكر النديم "أبو عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي العتابي"[١].

وقد ورد اسمه مفصلاً في أقدم مصدر ترجم للعتابي، "كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عُبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود بن عمرو بن كلثوم الشاعر، ابن مالك بن سعد بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنيم بن تغلب"[٢] . وورد كذلك في مصادر عديدة[٣]، إلى جانب اختصار بعض المصادر[٤] لاسمه، فالخطيب البغدادي على سبيل المثال لا الحصر، ذكر في بداية ترجمته للعتابي أنه "كلثوم بن عمرو أبو عمرو العتابي"[٥]، ثم أورد بعد ذلك على لسان الأصفهاني اسمه مفصلاً، بقوله: "قال أبو الفرج الأصفهاني العتابي هو ....."[٦] وقد ورد اسمه مفصلاً، كما ذكره الجاحظ.

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٣٨.

(٢) الجاحظ، البيان، والتبيين، ج١/ص ٥١.

(٣) ورد اسمه مفصلاً في عدة مصادر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٠٩، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ج٥/ص ٢٢٤، السّمعاني، كتاب الأنساب، تحقيق محمد أحمد ملاق، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٣/ص ٣١٤.

(٤) من المصادر التي اكتفت بذكر اسمه واسم والده وكنيته ونسبته إلى قبيلة ابن قتيبة الشعر والشعراء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤، ج ٢، /ص ٧٤٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ج٤/ص ١٢٢، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣، ص٢١٩-٢٢٢.

(٥) البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ ص ٤٧٨.

(٦) البغدادي، المصدر نفسه، ج١٢/ ص ٤٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر من اسمه أنه من ولد الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم، صاحب المعلقة، والعتلبي من أهل قنسرين، وقد سكن الرقة من ديار مضر[١].

واتفقت جميعها على أن كنيته (أبو عمرو)، وأنه تغلبي النسب، وأنه شاعر عربي من أبناء الجزيرة، وقد كانت حياته الأولى بدوية الطابع مما كان له أثر في حياته.

أما مولده فلم يشر إليه أحد ممن ترجموا له، ولم أجد في نثره أو شعره ما يشير إلى تاريخ مولده، على الرغم من وجود إشارة إلى مكان مولده، فقد "ولد في رأس عين"[٢].

أما وفاته فقد ذكرت بعض المصادر أنه توفي سنة ٢٠٨هـ [٣]، ويعد المرزباني (ت ٣٨٤) صاحب أقرب المصادر التي ذكرت ذلك التاريخ إلى عصر العتابي، ولم يسبقه لذلك أحد، وذكر التاريخ ذاته في القرن التاسع للهجرة ابن تغري بردي (ت ٨٧٤).

وقد ورد تاريخ وفاته سنة ٢٢٠ هـ في هامش الفهرست[٤]، ولعل محقق الفهرست قد أخذه عن المصدر الوحيد الذي ذكر ذلك التاريخ[٥]، وقد اعتمدت المراجع الحديثة التي تحدثت عن العتابي التأريخ الذي ذكره المرزباني وابن تغري بردي[٦].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ط٢، تحقيق ناصر خسرو، طهران، ١٩٧٠، ج٧/ ص ٢٨. الرقة: مدينة على الجانب الشرقي للفرات كانت معدودة من بلاد الجزيرة الفراتية، معجم البلدان، ج٣/ص٥٩، وهي الآن من مدن سوريا على نهر الفرات، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢/ص١١٩٨.

(٢) مدينة كبيرة من مدن الجزيرة، بين حران ونصيبين، تقع قرب نهر الخابور، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج٢/ص ٢٣٦.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٥١، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠، ج٢/ ص ١٨٦.

(٤) النديم، الفهرست، ص ٢٣٨.

(٥) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون، دار الفكر، ج٥/ص ٨٣٨.

(٦) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٥، ناصر حلاوي، العتابي حياته وما تبقى من شعره، المربد، ص ٣٦٩، أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٣٩، كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ط٥، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف، ج٢ /ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخباره:

لم يحظ العتابي باهتمام كبير، كغيره من شعراء عصره، على الرغم من مكانته الأدبية، وارتباطه بمدرسة البديع، وعلاقاته مع بقية الشعراء، فضلاً عن علاقاته مع الخلفاء والأمراء والوزراء، ولعل ذلك يرجع إلى أن شعره لم يجمع في حياته، على الرغم من وجود إشارة على أنه ترك ديواناً، كما أورد صاحب الفهرست بأنه ترك من الشعر مائة ورقة.[١]

وقد صنع ابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠هـ، اختياراً باسم "اختيار شعر العتابي"[٢] ولم يصل إلينا هذا الاختيار. ذلك لأن مؤلفات العتابي جميعها مفقودة، ولم تُذكر إلا أسماؤها[٣].

أما البديع الذي برع العتابي بالقول فيه، فإنه لم يحظ من خلاله بتلك الأهمية التي نالها غيره من الشعراء من أمثال بشار، ومسلم بن الوليد، وأبي نواس.

فقد أتى البديع من هو سابق للعتابي، والروايات الأدبية تركز على شخصيتين ينسب إليهما "الإفراط" في طلب البديع، هما بشار بن برد (ت ١٦٧هـ)، ومسلم بن الوليد (ت ٢٠٨هـ)، فبشار هو "أول من فتق البديع"[٤]، ومسلم هو من رفع لواء هذا الفن، "فمسلم غير مبتدع لهذا الفن ولا هو أولٌ فيه، ولكنه رأى هذه الأنواع التي وقع عليها اسم البديع، وهي الاستعارة، والطباق، والتجنيس، منثورة، متفرقة في أشعار المتقدمين، فقصدها وأكثر في شعره منها، فبشار هو أول من جاء بالبديع ، ومسلم هو أول من وسعه[٥].

---

(١) النديم، الفهرست، ص ١٨٦.

(٢) النديم، المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٣) النديم، المصدر نفسه، ص ٢٣١.

(٤) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط ٣، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣١، ج١ /ص ١١٠.

(٥) الآمدي، الموازنة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٥٤، ج١/ص ١٤، انظر: ناصر حلاوي، العتابي شعره..، ص ٣٧٧- ص٣٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا ما تشكلت هذه المدرسة – إن صح التعبير– بشعر بشار ومسلم، فالعتابي يشارك إبداع هذه المدرسة مع مسلم بن الوليد.

ولكن شهرة مسلم في هذا اللون طارت بين النقاد القدامى، وذلك لأنه أسرف في استخدامه، أما العتابي فقد اقتصد فيه، وقال في بيت أبي نواس[١]:

لما بدا ثعلب الصدود لنا أرسلت كلب الوصال في طلبه

"والله إنه لشاعر، ولكنه تمادى به حب البديع حتى أغرق فيه"[٢].

ولكن هذا لا يقلل من أهمية العتابي بوصفه من رواد البديع في الشعر العربي، وتبدو أهمية العتابي في كونه شاعراً عربياً صليبة، تبنى في شعره المظاهر الجديدة التي طرأت على الشعر العربي آنذاك، فهو من أئمة الصنعة الشعرية في القرن الثاني الذين ذكرهم الجاحظ[٣]، "وهذا ينفي أن تكون الصنعة أثراً من آثار الشعراء المولدين فحسب، ولكنها كانت مذهباً عاماً في هذا القرن أدى إليه التطور الحضاري والعقلي."[٤]

فمثل هذا التطور أفضى إلى تطور في أساليب الشعر، أو في صياغته وشكله، فظهر ذلك الشكل الجديد الذي عُرف بالبديع.

وإذا تتبعنا سيرته، فإننا نستشف منها بعضاً من صفاته، فقد عرف عن العتابي في مستهل حياته قناعاته وتقشفه، وقد يعود ذلك إلى حياته في البادية، في مرحلة مبكرة من عمره، فلم

---

(١) ديوان أبي نواس، تحقيق عبد المجيد الغزالي، القاهرة، ص ١٣٨.

(٢) المرزباني، الموشح، ط٢، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ص ٢٤٥، وانظر ناصر حلاوي، العتابي شعره، ص ٣٨٠.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ ص ٥١.

(٤) محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، ١٩٦٣، ص ٥٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشتغل في طلب اللذة ومتع الحياة، واقتناء المال، وقد لامته امرأته على ذلك، وكيف أن غيره قد أخذ الأموال واقتنى ضياعاً فقال في ذلك[١]:

تلومُ على ترك الغنى باهليةٌ زوى الفقر عنها كلَ طرفٍ وتالدِ

وعلى الرغم من الاختلاف في مناسبة هذا الشعر، أو زمن نظمه إلا أنه يدل على أن العتابي لم يكن ممن يطلبون الثراء والمال بشغف، وكان يرى منزلة الرجل تكبر في علو علمه وأدبه، وارتفاع منزلته تكون في حسن كلامه ومعاملته الآخرين، فهو القائل: "فيرفعه أكبراه: همته ولبه، ويعلو به: معظماه لسانه وقلبه".[٢]

وقد بلغ من تقشفه إن لبس الصوف ولم يهتم بمظهره، حتى أن الرشيد سمع بعض شعره الذي يقول فيه[٣]:

ماذا شجاكَ بحَّوارين من طللٍ ودِمنةٍ كَشَفَتْ عنها الأعاصير

وحين عرف الرشيد صاحب هذا الشعر، قال: " وما يمنعه أن يكون في بابنا، فأمر بإشخاصه من رأس عين، فوافى الرشيد وعليه قميص غليظ، وفروة وخف، وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سروايل، فلما رفع الخبر بقدومه أمر الرشيد بأن تفرش له حجرة، وتقام له وظيفة ففعلوا، فكانت المائدة إذا قدمت إليه أخذ منها رقاقةً وملحاً، وخلط الملح بالتراب فأكله بها، فإذا كان وقت النوم نام على التراب،والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله،، وسأل الرشيد عنه، فأخبروه بأمره، فأمر بطرده"[٤].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣/٣٥٣، الحيوان، ج٤/ص ٢٦٥، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ط ١، تحقيق محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤، ج١/ص ٢٣٢، الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١٠٧، الحصري، زهر الآداب، ج ٢/ ص ٦٢٠، وانظر أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٣٧.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٣/ ص ٣٨.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٢١.

(٤) المصدر نفسه، ج ١٣/ ص١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد كان العتابي إلى جانب إهماله مظهره، "متواضعاً في بعض أحواله، زاهداً في الإعلان عن نفسه، وهو القائل في بعض خطبه[١]: " أما بعد فإنه لا يخبر عن فضل المرء أصـــدق من تركه تزكية نفسه"، وكان يتنزه عن التذلل للسلطان، "فكان يتجنب غشـــيان الســـلطان قناعـــة، وصيانة، وتنزهاً، وتعززاً ، فكان يلبس الصوف ويظهر الزهد"[٢].

ولكنه كان يفخر بقومه، ذلك لأنه كان من قبيلة تغلب، التي عُرفت منذ الجاهلية، بعزهـــا وشرفها، فكان يفخر بنسبه قائلاً[٣]:

إني ابن عمرو بن كلثوم يُسَوِّده حيا ربيعة والأحياءُ من مُضَرِ

وقد عاش العتابي حراً طوال حياته، " فلم يذل إلا حين يلجئه الإقتار، فيلج أحياناً وفي غير إلحاف أبواب السلطان، ليجد ما يسد رمقه، أو يرقق حلل معيشته"[٤].

وتشير بعض الروايات إلى سخريته وعبثه من بعض العامة، حتى إنه نعتهم مرة بأنـــهم بقر، فقد روى الأصفهاني أن عثمان الورّاق قال: "رأيت العتابي يأكل خبزاً على الطريق بببـــاب الشام، فقلت له: ويحك، أما تستحي؟ فقال لي: " أرأيت لو كنا في دار فيها بقر، كنـــت تســـتحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟ فقلت: لا ، قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، فقام فوعظ، وقصَّ ودعا، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم، روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه لـــم يدخل النار، فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه، ويقدِّره حتى يبلغـــها أم لا، فلما تفرقوا، قال لي العتابي: ألم أخبرك أنهم بقر"[٥].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢/ ص ١٤١.

(٢) البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص ٤٨٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢ /ص ٢٩٣.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ج ٣/ ص ٣٧.

(٤) أحمد النجار، العتابي، أديب تغلب، ص ٣٩.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ ص ١١٤، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣/ ص ٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى الرغم من سخريته من العامة إلا أنه كان يتجنبهم، ويدل على ذلك قوله: " لا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة" [١]، ولذلك كان في بعض أحواله يتقرب إليهم ويلاطفهم، فقد قيل له: " إنك تلقى العامة ببشر وتقريب، فقال: رفع الضغينة بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأهون مبذول"[٢].

وكانت سخريته تمتد إلى أصدقائه من الشعراء، فقد ساءت علاقته بمنصور النمري، الذي كان راويته، مما أدى إلى القطيعة بينهما، بسبب سخريته بشعره وبامرأته [٣]. وسوف أتطرق إلى ذلك عند الحديث عن علاقته بمنصور النمري. وقد سلم العتابي من شرور عصره المضطرب بالفتن والدسائس بإيثار العافية، واليأس المفضي إلى العزلة كما يتجلى ذلك في قوله[٤]:

ألا قد نُكِّس الدهرُ ... فأضحى حلوه مرّا

وقد جربتُ من فيه ... فلم أحمدْهُم طُرّا

فألزمْ نفسَك اليأسَ ... من الناس تعشْ حرّا

ولكن سلامته هذه عكرها بعضٌ من الأحداث التي واجهته، فقد غضب منه الرشيد غير مرة، وأهدر دمه في بعضها[٥]، ولعل الأبيات السابقة قالها بسبب تلك الأحداث التي ألمت به، وقد أدى ذلك به إلى تجنبه طول الوقوف على باب السلطان، وقد علل سلوكه هذا حين سُئِل عن سبب بعده عن التقرب إلى السلطان فقال: " لأني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيء،

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، مكتب تحقيق أحمد أمين، إبراهيم الإبياري، عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٤٨، ج٣/ص ١٧٠.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢/ص ٢٩٤.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٣/ص ١٤٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥/ ص٢٣٥.

(٤) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢/ص ٤٩١، وانظر ناصر حلاوي، المربد ص ٤٠١.

(٥) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣/ص ٢١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرمي من السور في غير شيء، ولا أدري أي الرجلين أكون"[١]، فقد كان العتابي على سجيته فيما يأتي، وما يدع، جرياً على ما تعود عليه في البادية[٢].

عقيدته ومذهبه:

شهد العتابي عقائد ومذاهب متعددة، حيث تعددت الملل والنحل، وكثُرت الفرق الدينية، كما شهد صراع هذه المذاهب والعقائد كصراع الخوارج والشيعة والمرجئة والمعتزلة وغيرهم.

ورُمي العتابي بكثير من التهم في مذهبه وعقيدته، وكانت هذه التهم تُتخذ أسباباً أفضت إلى غضب الرشيد منه، وإهدار دمه وهروبه إلى اليمن.

ومن هذه التهم التي رمي بها " الزندقة والرفض، فطلبه الرشيد، ولكنه هرب إلى اليمن، وقال في ذلك قصيدةً يطلب فيها العفو [٣]:

فت المدائح إلا أن ألسننا مستنطقاتٌ بما تخفي الضمائير

وقد يكون سبب رميه بالزندقة والرفض، ثقافته العقلية، ومعرفته بالفلسفة، ويدل على تعلقه بالفلسفة والمنطق تأليفه كتاباً في الآداب الاجتماعية والحِكم، وكتاباً آخر في المنطق[٤]، ولذلك " كان العتابي حريصاً على الإفادة من لقاء من اتهموا بالزندقة وهؤلاء ممن حفلت بهم الحياة العباسية[٥]" ليسبر غور أفكارهم وفلسفتهم في ذلك. ولعل رميه بالزندقة يعود إلى اتصاله

---

(١) شهاب الدين الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ط١، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩، ج١/ ص ٢٩٢.

(٢) أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٣٩.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ط٢، مكتبة المقدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٥٠.

(٤) النديم، الفهرست، ص ٢٣٨.

(٥) أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالبرامكة وقربه منهم وحبه ومودته لهم حتى قيل إنه "كان منقطعاً إليهم"[١] والبرامكة من القوم الذين عُرفوا بالزندقة، فكان معظمهم من الزنادقة على ما روى ابن النديم من " أن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد بن برمك كانت زنادقة"[٢]. وقد يكون لرحلاته الأولى في حاضرة قنسرين، وتنقله بن حرّان ونصيبين ورأس عين، واطلاعه على المترجمات السريانية في دير قنسرين سبب في رميه بالزندقة[٣].

وقد يكون سبب رميه بالزندقة عائداً لكونه أصبح يميل إلى الاعتزال حتى صار أحد رجاله، و"الاعتزال كحركة فكرية تمجد العقل قمينة بأن تختلط في أذهان الناس بالزندقة"[٤].

ورمي العتابي كذلك بالإرجاء، فعدّه الشهرستاني من المرجئة[٥]، وقد انفرد الشهرستاني بنسبة الإرجاء إليه، "ولم ترد أي إشارة في شعره تدل على أنه كان مرجئاً"[٦].

ودافع هدارة عن العتابي، ونفى عنه الإرجاء معللاً ذلك "بأن العتابي كان رجلاً متزهداً، ولم تكن له من آثام كبيرة يضطر معها إلى الإرجاء لتُرفع عن كاهله"[٧]، ولعل رميه بهذه التهمة عائد لبعض أشعاره التي يطلب فيها العفو والصفح من هارون الرشيد حين كان يغضب منه،

---

(١) البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ص ٤٨٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ص ٢٩٤، السمعاني، الأنساب، ج٤/ ص٨٧.

(٢) النديم، الفهرست، ص ٤٨٧.

(٣) أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٣٦.

(٤) حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٧٥.

(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ط ٦، تحقيق أمير مهنا، علي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٦٥، وانظر أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣/ص ٣٢١، وانظر محمد هدارة، اتجاهات الشعر العربي، ص ٣٢٩.

(٦) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣/ص ٣٢١.

(٧) محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٣٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وقد فتح مذهب المرجئة في العفو أبواباً واسعة أمام الشعراء في العصر العباسي، إذا كانوا يركنون إلى عفو الله على مذهب الإرجاء، حينما يفرطون، ويسرفون في اللذة"[١].

وقد يكون الاعتزال أكثر ما رُمي به العتابي صحة، وقرباً إلى شخصيته، مما سبب غضب الرشيد عليه، فقد كان العتابي "يقول بالاعتزال، فاتصل بالرشيد، وكثر عليه في أمره فأمر فيه بأمر عظيم، فهرب إلى اليمن، فكان مقيماً فيها، حتى احتال له يحيى بن خالد البرمكي فأعاده"[٢].

وقد كانت المعتزلة من أقوى الفرق الإسلامية، وكان رجالها من أعظم الرجال في العلم، والمنطق، والفصاحة، وكان لمنطقهم وفصاحتهم أثر بالغ في الرد على خصومهم، ويذكر أحمد أمين أنهم[٣]: " متعصبون اشد التعصب فيما يتصل بتوحيد الله وعدله، لا يقبلون في ذلك هوادة، ثم هم أحرار عدا ذلك من الآراء، واستعمال العقل، والقول بسلطانه"، ولعل العتابي أعجب بفكر المعتزلة وفلسفتهم، فصار واحداً منهم، فوجد لديهم ما هو طالب له، "وكان طبيعياً أن يؤديه اعتزاله إلى قراءة كتب الفلسفة، وتعمقه حتى ألَّف كتباً في ذلك[٤]، وقد كان لذلك أثر فيما كتب خاصة في رسائله، فقد كان بارعاً في الحوار، وإيجاد الأدلة والبراهين، وقال فيه ابن المعتز " كان العتابي مجيداً مقتدراً على الشعر عذب الكلام، وكاتباً جيداً حاذقاً، وقلما يجتمع هذا لأحد،

---

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣/ص ٣٣٠، وانظر: محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٣٢٨.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ج١/ص ٣٨٠، الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢٩٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان. ج٢/ص ٢٩٣.

(٣) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج٣/ص ١٦٩.

(٤) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما سمعت كلاما قط لأحد من المتكلمين أحسن من كلام العتابي، فإنه كان فحل الشعر، جيد الكلام"[١].

ولعل علاقته الجيدة بالمأمون تعود لكونه معتزليا، "فالاعتزال كان أقرب المذاهب لنفس المأمون، فقرب المعتزلة منه، وأصبحوا ذوي نفوذ في القصر"[٢]، فالعلاقة بينهما -كما توحي الروايات- كانت أكثر من كونها علاقة بين خليفة وشاعر، فالعتابي ينظر إليها باعتبارها نوعا من الإخاء.

ثقافتـــه:

اتصل العتابي ببشار وهو حدث[٣]، وكان هذا أول ذكر لعلاقة العتابي ببشار في المصادر القديمة، وقد اتصل ببشار يعرض عليه شعره، وقد أعجب بشار بما عرضه العتابي من شعر وشغف العتابي بالثقافة التي كانت سائدة في عصره، وكان كثير التردد على أهم مراكز الثقافة آنذاك، كبغداد، والبصرة، والكوفة، إلى جانب نشأته الأولى في البادية التي تعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ جيد الكلام، ورواية الأشعار والأخبار، والتي شكلت لديه الثقافة الأولى، شأنه في ذلك شأن أبناء عصره.

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص ٢٩٥.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٣/ص ١٦٣.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنقل بين حواضر الشام، راحلا إلى أهم مراكز العلم فيها، فقد ولد العتـــابي فـــي رأس عين، ونزل قنسرين[١]، وهاتان الحاضرتان كانتا مركزي الثقافة آنذاك، ونزل أيضا في حران[٢] تارة ونصيبين[٣] تارة أخرى، حيث كان ينزل بعض قومه، وهذه الحواضر كلها كـــانت تشـــهد حركة علمية زاخرة، بآداب العربية، وبالآداب والثقافات الأخرى عن طريق الترجمة.

ويعد اتصال العتابي ببشار مهما لأنه" يفيدنا في تحديد مركز العتابي في مدرسة البديـــع، لأن بشار من شعراء هذه المدرسة[٤]، وعرض العتابي أول شعره وهو حدث على بشار، ممـــا يوحي بوجود نوع من التلمذة، وما يستتبع ذلك من تأثر، فقد أسمع العتابي شعره لبشـــار الـــذي يقول فيه[٥]:

أيصدف عن أمامة أم يقيم	وعهدك بالصبا عهد قديـــم
أقول لمستعار القلب عفى	على عزماته السير العديم
أما يكفيك أن دموع عيني	شآبيب تفيض بها الهموم
أشيم فلا أرد الطرف إلا	على أرجائه ماء سجـــوم

---

(١) قنسرين: من مدن الإقليم الرابع بجانب حمص، واسمها مؤلف من قن، نسر، تم فتح قنسرين على يـــد أبـــي عبيدة الجراح سنة ١٧هـــ، معجم البلدان، ج٤/ص ٤٠٣. وهي الآن بلدة قديمة في سوريا تقع جنوب حلب. دائرة المعارف الإسلامية، ج٢٦/ص٧٨٣٤.

(٢) حران: من بلاد الجزيرة الفراتية، شمالي العراق، من ديار بكر، وتروى بتشديد الراء وفتح الحاء، وتـــروى بضم الحاء وتخفيف الراء، معجم البلدان، ج٢/ص ٣٣٦. وهي الآن محافظة جنوب غرب ســـوريا تدعـــى حوران، دائرة المعارف الإسلامية، ج٢/ص ١٠٢٩.

(٣) نصيبين: من بلاد الجزيرة الفراتية، ، من ديار ربيعة وهي على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، معجم البلدان، ج٥/ص ٢٣٨.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١٣/ ص١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وعندما سمع بشار ذلك الشعر، مد يده إليه ثم قال له: أنت بصير؟ قال: نعم، قال عجبا لبصير ابن زانية أن يقول هذا الشعر، فخجل العتابي وقام عنه"[١] ويدل ذلك على إعجاب بشار بما قاله العتابي، على الرغم من أن العتابي كان حدثا، حديث العهد بالشعر،

وبعد ذلك بدأ اهتمام العتابي بالشعر والشعراء، فقد اتصل بكبار الشعراء كأبي نواس وأبي العتاهية "فاحتفل العتابي بشعر أبي العتاهية، وأعجب به أشد إعجاب، وكان أبو العتاهية في نظره أشعر الأولين والآخرين في وقته أو أشعر الناس"[٢]. وكان العتابي لأبي العتاهية أميل، ولطبيعته أقرب، وكان يقول: لكم يا أهل العراق شاعر منوه الكنية، ولما ذكر له أبو نواس، قال: ليس ذاك، ولما ذكر له أنه لعله يريد أبا العتاهية، قال: نعم ذلك أشعر الأولين والآخرين في عصره[٣]. ولعل إعجابه بأبي العتاهية عائد "إلى وقوف أبي العتاهية إلى صف العتابي، وتفضيله عن غيره من الشعراء، فقد دافع أبو العتاهية عن العتابي، وانتصر له وفضله على أبي قابوس النصراني الذي هاجى العتابي، وقد غلب عليه العتابي، في كثير مما جرى بينهما على ضعف منة أبي قابوس في الشعر"[٤].

وأخذ العتابي "يتردد إلى حلقات المتكلمين، ولم يلبث أن شغف بالمعتزلة والاعتزال"[٥]، وبدأ يطلع على الثقافات السائدة آنذاك، فشغف بالفارسية، وسئل عن السبب في إقباله على قراءة كتب العجم والنقل منها، فقال: " اللغة لنا والمعاني لهم"[٦]، وهذه العبارة بإيجازها، بالغة الدلالة على الوضع الأدبي الجديد في العصر العباسي الأول لما أتاح لأصحاب الأدب من ثقافات جديدة

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج١٣/ ص١١٢.

(٢) الأصفهاني،المصدر نفسه، ج١٣/ ص١٤٠.

(٣) الأصفهاني،المصدر نفسه، ج١٣/ ١٤٠، ص ١٧٠.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ٢٦٥- ٢٦٦، الحصري، زهر الآداب، ج٢ / ص٩٤٦.

(٥) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤١٩.

(٦) ابن طيفور، كتاب بغداد، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٤٩، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى الساعة، فكتبت منها حاجتي، ثم قدمت نيسابور[١]، وجزتها بعشرة فراسخ إلى قرية يقال لها "دَوَرد"، فذكرت كتاباً لم أقض حاجتي منه، فرجعت إلى مرو، فأقمت شهراً، قال: قلت: أبا عمرو لم تكتب كتب العجم؟ فقال لي: وهل المعاني إلا في كتب العجم والبلاغة؟ اللغة لنا والمعاني لهم".

ويقول هدارة " ونحن لا نميل إلى تكذيب هذا النص، فابن طيفور مؤرخ ثقة، والعتابي الشاعر، عرفت عنه هذه الثقافة الفارسية كما عرفت عن غيره، مع أنه عربي صليبة من ولد عمرو بن كلثوم التغلبي، ومع أنه لم يكن من ساكني خراسان أو العراق، بل كان يسكن قنسرين في الشام، ولهذا دلالته أيضاً، فهو يعني أن الثقافة الفارسية لم تكن وقفاً على بيئة دون أخرى، ولكنها كانت منتشرة في أنحاء المملكة الإسلامية كلها"[٢]، ولكن على الرغم من تناقل المصادر لهذه الرواية والثقة التي يحظى بها أول من رواها (ابن طيفور)، فإنها إن صحت ليست في صالح العتابي من جانب قوله إن المعاني والبلاغة للفرس، فاللغة العربية لا تُرمى بالضعف في المعاني والبلاغة، لأنها مصدر المعاني والبيان، ويؤكد ذلك قول الجاحظ بأن المعاني مطروحة في الطريق[٣]، وأن اللغة العربية زاخرة بالتصوير والمعاني البلاغية الأصيلة.

وللعتابي مصنفات لغوية وأدبية مختلفة منها: " كتاب الآداب، وكتاب الألفاظ، وكتاب الخيل، وكتاب الأجواد، وكتاب فنون الحكم"[٤]، وقد فقدت هذه الكتب جميعها، ولم يبق منها سوى ذكر أسمائها في المصادر التي ترجمت للعتابي.

---

(١) نيسابور: أهم مدن خراسان، وكانت في عهد الملك عبد الله بن طاهر حاضرة خراسان، قيل أنها فتحت أيام عثمان سنة ٣١هـ، معجم البلدان، ج٥/ص ٣٣١.

(٢) محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي، ص ٩٣.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٣/ص ١٣١.

(٤) النديم، الفهرست، ص ٢٣٨، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٥/ص ٣٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإلى جانب تعلمه الفارسية وشغفه بآدابها، كان العتابي يحضر النـــدوات والمنـــاظرات العلمية والأدبية التي كانت تحدث بين المتكلمين والأدباء، في مجالس البرامكة، ومجلس هـــارون الرشيد، ومن المعروف أن بلاط الرشيد كان جامعاً لفنون الأدب والعلم، وحلقات الكلام والشعر، فقد أورد الحموي في معجم الأدباء خبراً عن الثعالبي يقول فيه واصفاً بلاط الرشيد[١]: "فإنه لـــم يجتمع بباب أحد من الخلفاء، والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين، كأبي نواس، وأبي العتاهية، والعتابي، والنمري، ومسلم ابن الوليد... ".

وهكذا كان العتابي من فحول شعراء عصره، ومن الذين اشتهروا في بلاط الرشيد.

ومكانته الأدبية، وصفاته التي تحلى بها تدل على أنه كان شغوفاً بالآداب، محباً لثقافـــات عصره السائدة، فكان بذلك "صاحب بديهة في المنظوم والمنثور، حسن العقل، والتمييز، والعرب تقول: من تمنى رجلاً حَسَنَ العقل، حَسَن البيان، حَسَن العلم تمنى شيئاً عسيراً، وقد اجتمع ذلـــك كله في العتابي"[٢].

وكان العتابي يتمتع بتلك الصفات "من العلم والقراءة والأدب والمعرفة، والترسل، وحســن النظم للكلام، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وبراعة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ، وصحة القريحة، على ما لم يكن لكثـــير مـــن الناس في عصره"[٣].

ولعل مثل تلك الصفات قد وصلت حد المبالغة، إلا أن العتابي لم يوصف بها جُزافاً، فلولا شهرته في عصره لما نعت بمثل تلك الصفات.

---

(١) الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٣/ص ١٩٧، وانظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ط١، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣، ج١/ص ٧٠٦.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ ص ٦٢٠.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٤/ ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان العتابي كاتباً عالماً بطرق الكتابة والأقلام، وما إليها، وسأله الأصمعي مرّة فقال له:" أي الأنابيب للكتابة أصلح، وعليها أصبر، فقال: ما نَشف بالهجير ماؤه، وستره عن تلويحه غشاؤه، ومن التِّبرية القشور، الدّرية الظهور، الفضية الكسور، فقال: أي نوع من البَرْى أصوب وأكتب؟ فقال: البرية المستوية القطة التي عن يمين سنها قرنة، تأمن معها المجة عند المدة، الهواء في شِقّها فتيق، والريح في جوفها خريق، والمداد في خرطومها رقيق، فبقي الأصمعي شاخصاً، ضاحكاً لا يحير مسألةً ولا جواباً"[١].

ولقد وصف العتابي بدقة آلة الكتابة وأفضلها للكتابة، واهتم بأدق تفاصيلها التي تساعد على إتقان صنعة الكتابة، وهذا يدل على أنه كان كاتباً مجيداً عالماً في أصول الكتابة، وفنونها، وقلما يجيد الكاتب العالم قول الشعر، ولكن العتابي " كان شاعراً محسناً، وكاتباً في الرسائل مجيداً ولم يجتمع هذان لغيره كون الكاتب شعره ضعيفاً"[٢]، فكان العتابي بذلك " من الخطباء الشعراء ممن يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن"[٣].

وعرف عن العتابي قلة كلامه، وإن تكلم فهو يتكلم بالقليل ليدل على المعاني الغزيرة، وكان "قد كلم يحيى بن خالد في حاجة بكلمات قليلة، فقال له يحيى: لقد نزر كلامك اليوم وقلَّ؟ فقال: وكيف لا يقل، وقد كفيتني ذل المسألة، وحيرة الطلب وخوف الرد؟ فقال يحيى: لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده"[٤]. وكأنه كان عندما يطلب حاجة من أحد يتخوف من رد طلبه، على

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، مكتبة، ج ٤/ص ١٦٠، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٢١٩. ريح خريق: راجعة غير مستمرة السير.

(٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٢٩٥.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ص٥١.

(٤) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٣/ص ٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرغم من طمعه في نيل هذه الحاجة، فكان يقلل من كلامه، وقال مالك بن طوق يوماً له[١]:" يا أبا عمرو، كلمت فلاناً فأقللت كلامك، قال: نعم، كانت معي حيرةُ الداخل، وفكرة صاحب الحاجة،وذل المسألة وخوف الرد مع شدة الطمع". وهذه العبارات، أقرب ما تكون للحكم، فكان العتابي يضمن في كلامه، "كل ما أدخره عقله واقتناه من بيئة المعتزلة وكنوزها الفكرية الغنية"[٢] إلى جانب كونه مطلعاً على علوم الأمم الأخرى، فتأثر بالحكم اليونانية القصيرة، وبراعة الرد من المنطق اليوناني وفلسفته.

وأشار صاحب الفهرست إلى أنه كان يعمل الخرافات والأسمار[٣] على لسان الحيوان، وذكر كتاباً له موسوماً بكتاب "آداب كلثوم بن عمرو العتابي"[٤] ومثل هذا النوع من الكتابات الرمزية التي تتخذ من الحيوانات وسيلة للتعبير فارسي الطبع[٥].

وكان العتابي يفضل العلم والأدب، والسعي إليهما، على المال والثروة والسعي إليهما، وكان جالساً ذات يوم ينظر في كتاب، فمر بعض جيرانه فقال" ماذا ينفع العلم والأدب من لا مال له؟"[٦]

فأنشد العتابي يقول[٧]:

يا قاتل الله أقواماً إذا ثقفوا ذا اللب ينظر في الآداب والحكم

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ص٢٩٥، الحافظ السّمعاني، كتاب الأنساب، ج٤/ص ٣١٥، ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ج٢/ص ١٠١.

(٢) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٥.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٠٨.

(٤) ابن النديم، نفسه، ص ٣٠٨.

(٥) حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٢٢.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١١٨، وردت في الأغاني أيش ينفع العلم.

(٧) الأصفهاني، نفسه، ج١٣، ص١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالوا وليس بهـــم إلا نفاستـــه أنافعٌ ذا من الإقتـــار والعـدم[١]

وليس يدرون أن الحظّ ما حُرموا لحاهم الله من علم ومن فَهـــم

فلم تشغل الدنيا العتابي بمغرياتها، بل كان يحرص على مصاحبـــة العلمـــاء والأدبـاء، والشعراء، إلى جانب حبه للقراءة، والاطلاع على الآداب.

علاقاته:

- مع الخليفة هارون الرشيد:

أقام العتابي علاقات مع هارون الرشيد، والمأمون، والبرامكة، وغيرهم مـــن الأمـــراء والقادة.

إن بداية علاقة العتابي بالرشيد، يعتريها بعض اضطراب، لأن المصادر تذكر في شـــأن هذه العلاقة روايتين:

الرواية الأولى تفيد أن البرامكة هم من أوصلوه للرشيد، فبلغ عنده كل مبلـــغ، وعظمـــت فوائده منه"[٢].

أما الرواية الثانية فتفيد أن بداية معرفة الرشيد تعود إلى ما قبل علاقته بالبرامكة، عندمـــا قال قصيدة بسبب الحرب بين ربيعة وفزارة، وكان عبد الملك بن صالح الهاشمي والي الجزيـرة

---

(١) النفاسة: الحسد، انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة حسد.

(٢) الأصفهاني،الأغاني، ج١٣/ص ١٠٧، البغدادي، تـاريخ بغـداد، ج١٢/ص ٤٨٧، السـمعاني، الأنسـاب، ج٤/ص ٨٧، كارل بروكمان، تاريخ الأدب العربي، ج٢/ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آنذاك أمر أحد قادته ليجرد سيفه في ربيعة، فخرج وقتل منها مقتلة عظيمة[١]، فقال كلثوم ابن عمرو قصيدته التي مطلعها[٢]:

ماذا شجاكَ بحوراينِ من طَلَلَ ودمنةٍ كشفْت عنها الأعاصيرُ

وعندما بلغت القصيدة عبد الملك، أمر قائده بالكف عنهم، وعندما قدم الرشيد(الرافقة)، أنشده عبد الملك القصيدة، فسأل لمن هذه؟ فقال: لرجل من بني عتاب، يقال من كلثوم بن عمرو، فقال: وما يمنعه أن يكون ببابنا، فأمر بإشخاصه من رأس عين، وعندما وافى الرشيد، طرده [٣] لأسباب ذكرت في الحديث عن أخباره[٤]، ويعلق الأصفهاني على هذا الخبر بقوله:" وهذا الخبر عندي فيه اضطراب لأن القصيدة المذكورة التي أولها: " ماذا شجاك بحوارين من طلل" للعتابي في الرشيد لا في عبد الملك[٥].

ويذكر الأصفهاني في موقع آخر " أن القصيدة الرائية التي مطلعها ماذا شجاك بحوارين، قالها العتابي أيام الوليد بن طريف الشاري[٦] عندما عتب الرشيد على العتابي أيام وليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان عوده إياها، فأتاه متصلاً بهذه القصيدة[٧]، فرضي عنه الرشيد بعد أن سمع القصيدة، وردّ أرزاقه ووصله"[٨] ومعنى ذلك، أن هذه القصيدة قيلت بين عامي ١٧٨-١٧٩هـ وهي المدة التي ثار فيها الوليد بن طريف، وقُضي على حركته.

---

(١) الأصفهاني،الأغاني، ج١٣/ص ١٢٠.

(٢) الأصفهاني،المصدر نفسه، ج١٣/ص ١٢٠، حُوَّارين، بضم أوله، وتشديد الواو، وكسر الراء، وياء ساكنة، قرية من قرى حلب، معجم البلدان، ج٢١/ص ٣١٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٢١.

(٤) ذكرت أسباب طرده كما وردت في الأغاني، ج١٣/ص ١٢١، ص٥، من هذا البحث في أخبار العتابي.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٢٢.

(٦) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١٢٣.

(٧) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٠.

(٨) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدل هذا على أن الرشيد عرف العتابي قبل هذه الثـورة، أي قبـل أن تتوطـد علاقتـه بالبرامكة، ولم تكن علاقة العتابي بالرشيد تستمر على حال واحدة، فتارة يغضب عليـه بسـبب وشاية من أحد الشعراء كمنصور النمري، فيهدر الرشيد دمه[١]، وأخرى يغضب عليه بسـبب تهمة رُمي بها العتابي، فيقطع عنه بعض عطاياه، ولم يكن العتابي يصبر على غضب الرشـيد عليه، فنجده تارةً أخرى يسأل المقربين للرشيد كالفضل ابن الربيع، أو يحيى بن خالد، أو جعفـر بن يحيى، وإذا لم ينجح هذا ولا ذاك، كان العتابي يغامر ويقف بين يدي الرشيد، يتوسل للعفـو عنه، ففي إحدى المرات التي غضب فيها الرشيد من العتابي، دخل عليه "سراً مـع المتظلميـن بغير إذن، فمثل بين يدي الرشيد، وقال له: يا أمير المؤمنين، قد آذنتني الناس لك ولنفسي فيـك وردّني ابتلاؤهم إلى شكرك، وما مع تذكّرك قناعة بغيرك ولنعم الصائن لنفسي كنت، لو أعانني عليك الصبر، وفي ذلك أقول[٢]:

أخِضْني المَقام الغَمرَ إن كان غرّني ... سنا خُلّبٍ أو زلت القدمان[٣]

أتتركُني جدبَ المعيشة مُقْتَـراً ... وكفّاك من ماء الندى تكفان

وتجعلُني سهـمَ المطامعِ بعدمـا ... بَلَلت يميني بالندى ولساني

فأعجب الرشيد قوله، وخرج وعليه الخلع، وقد أمر له بجائزة"[٤]، فيصل العتابي بذلـك حبل ما انقطع، ويعاود التردد على مجالس الرشيد، ويعاود الرشيد يسمع علمه، ومأثور حكمـه، وأقواله مما خبر وجرب من أمور الحياة، وما قرأ من ضروب المعرفة[٥].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٣/ص ١٤٧ في أخبار منصور النمري، التنوخي، الفـرج بعـد الشـدة، ج١٣/ص ٣٨٠.

(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٣/ص ١٤٧، والتنوخي، الفرج بعد الشدة، ج١/ص٣٨٠.

(٣) الغمر: الماء الكثير، سنا خُلّب: ضوء البرق الذي لا يعقبه مطر.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٣.

(٥) محمد زغلول سلام، دراسات في الأدب العربي، ص ٢٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مع الأمين والمأمون:

لم تذكر المصادر شيئاً عن علاقة العتابي بالأمين، الذي تولى الخلافة بعد وفاة الرشيد لمدة لا تتجاوز الأربع سنوات (١٩٣- ١٩٧هـ)، وقد يرجع ذلك إلى أن الأمين لم يكن يميل إلى مجالس الأدب والعلم، ومحاورة أصحابه كالمأمون.

على الرغم من أن العتابي كان مؤدباً للأمين والمأمون[١]، في خلافة والدهما وقد يكون سبب انقطاع العلاقة بينهما أن العتابي كان في داخله شيء من حب الفرس ومن كان إلى جانبهم.

عرف العتابي المأمون قبل توليه الخلافة، وتوطدت علاقته به، وأصبحت أكثر قرباً بعد توليه الخلافة، وقد يكون إيمان العتابي بالاعتزال، وتفضيل المأمون مذهب الاعتزال والمعتزلة على غيرهم قد وطد العلاقة بينهما[٢]، "فالعتابي كان يميل إلى المأمون"[٣]، و"كان ذا حظوة عند المأمون"[٤].

وعلى الرغم من عدم وجود علاقة واضحة بين الأمين والعتابي إلا أن مقتل الأمين، ترك في نفس العتابي شيئاً من عدم الرضا، ويظهر ذلك في عتابه المأمون عندما تولى الخلافة.

وكان العتابي قد وفد إليه، فشغل عنه ولم يأذن له، على الرغم من أن المأمون طلب منه زيارته إن صار له من الأمر شيء وكان ذلك الطلب في عهد هارون الرشيد، "فكان قد خرج مع المأمون إلى قومس،[٥] ووقف على سنداد كسرى،[٦] فلما حاول وداعه قال له المأمون: لا تدع

---

(١) التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٤/ ص٢٧٠.
(٢) حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٧٧.
(٣) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٣٧٥.
(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٤٤.
(٥) قومس: منطقة كبيرة بين الري ونيسابور
(٦) سنداد: نهر ما بين الحيرة والأبلة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زيارتنا إن كان لنا من هذا الأمر شيء، فلما أفضت الخلافة إلى المأمون وفد إليه العتابي زائراً فحجب عنه"[١].

وبعد أن رأى العتابي انشغال المأمون عنه، تعرض للقاضي يحيى بن أكثم، وكان قد وقف بباب المأمون، فقال له[٢]:" أيها القاضي إن رأيت أن تذكّر بي أمير المؤمنين، فقال له يحيى: ما أنا بالحاجب، قال له: قد علمت، ولكنك ذو فضل، وذو الفضل معوان، فدخل على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين، أجرني من العتابي ولسانه، فلم يأذن له،[٣] وشغل عنه"، فلما رأى العتابي جفاءه قد تمادى كتب إليه[٤]:

ما على ذاك افترقنا بسندِ ... د ولا هكذا رأينا الإخاء

لم أكن أحسب الخلافة يزدا ... د بها ذو الصفاء إلا صفاء

تضرب الناس بالمثقفة السُّمـ ... ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

وعندما سمع المأمون هذه الأبيات دعا به، فلما دنا منه سلّم بالخلافة، ووقف بين يديه، فقال:" يا عتابي بلغتنا وفاتك فغمتنا، ثم انتهت إلينا وفادتك فسرتنا، فقال: يا أمير المؤمنين، لو قُسِم هذا البرُّ على أهل مِنى وعرفات لوسعهم، فإنه لا دين إلا بك ولا دنيا إلا معك، قال: سل حاجتك؟ قال: يديك بالعطية أطلق من لساني بالمسألة، فأحسن جائزته وانصرف" [٥].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج١/ص ٣٣٣، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٢.

(٣) في رواية ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥/ص ٢٤٤، أن يحيى بن أكثم دخل على المأمون وحكى له ما جرى بينه وبين العتابي، فاستحسنه المأمون وأذن له.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص ٣٣٣، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٢.

(٥) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج١/ص ٣٣٣، الحصري، نفسه، ج٢، ص ٦٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأوردت بعض المصادر قول العتابي بعبارات أخرى " .. يا أمير المؤمنين لـــو قســمت هاتان الكلمتان على أهل الأرض لوسعتهم فضلاً وإنعاماً، وقد خصصتني منهما بما لا يتسع لـــه أمنية، ولا ينبسط لسواه أمل لأنه لا دين إلا بك..."[١].

والنص السابق يظهر لنا براعة العتابي في الرد أو طلب الحاجة وبراعة المـــأمون فـــي اختيار الألفاظ المعبرة، ويدل كذلك على حب المأمون للعتابي ومداعبته له وممزاحتـــه،" وتلـــك المساجلات الكلامية كان يدلي فيها كلٌ بقدرته البيانية وخبرته، ومدى علمه"[٢].

ومن تلك المساجلات الكلامية بين الاثنين أنه "لما قدم العتابي مدينة السلام على المـأمون، أذن له، فدخل عليه، وعنده إسحاق الموصلي، وكان العتابي شيخاً جليلاً نبيلاً، فسلم فردّ عليـــه وأدناه وقربه، حتى قرب منه فقبل يده، وجلس، وأقبل عليه بالمداعبة، فظن الشيخ أنه اســـتخف به، فقال: يا أمير المؤمنين الإيناس قبل الإبساس[٣]، فاشتبه على المأمون قوله، فنظر إلى إسحاق مستفهماً، فأومأ إليه بعينه وغمزه على معناه حتى فهمه، ثم قال: يا غلام ألف دينار، فأتي بذلـك فوضعه بين يدي العتابي"[٤]. وكان المأمون يجل العتابي ويقدره، والعتابي آنذاك شيخ، له بـــاع في الشعر والأدب، وكان العتابي يوماً " جالساً بين يدي المأمون، وقد أسن، فلما أراد القيام، قـام المأمون، وأخذه بيده، واعتمد الشيخ على المأمون فما زال ينهضه رويـــداً رويـــداً حتـــى أقلّـــه فنهض"[٥]، فعجب أحدهم من ذلك، وقال لبعض الخدم: ما أسوأ أدب الشيخ فمـــن هـــو؟ قـــال: العتابي[٦].

---

(١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢/ص ٧٤٠، ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٩٥.

(٢) محمد زغلول سلام، دراسات في الأدب العربي، ص ٢٨٤.

(٣) الإبساس: دعوة الناقة إلى الحلب، ويراد هنا استدرار الكلام من قولهم أبس الناقة، إذا دعاها للحليب.

(٤) البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ص ٤٨٩.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٠٦.

(٦) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدل ذلك على خلق المأمون وتقديره للعلماء والأدباء، فضلا عن احترامه لكبار السن، فقيام الخليفة من مجلسه ليعين شيخا على النهوض لم يكن بالأمر المألوف، خاصة إذا ما عرفنا المراسم والحاشية التي تحيط بخليفة المسلمين آنذاك، وعلى الرغم من ذلك قام المأمون وأعان العتابي على الوقوف مما آثار عجب من رأى ذلك.

علاقته بالأمراء والوزراء:

- مع طاهر بن الحسين، وولده عبد الله بن طاهر:

ظل العتابي على صلة بهارون الرشيد، بعد نكبة البرامكة، " وظل يمتدحه واصلا أسبابه بطاهر بن الحسين، وولده عبد الله بن طاهر"[١]. ويبدو أن علاقته بالطاهريين، تعود إلى ما قبل نكبة البرامكة، فقد صحب طاهر بن الحسين بعد انصرافه عن البرامكة[٢]. وكان طاهر بن الحسين قد أحبه وعامله معاملة حسنة، فعندما شكى منصور النمري العتابي إلى طاهر بن الحسين، "وجه طاهر إلى العتابي، فأحضره وأخفى منصورا في بيت قريب منهما، وسأل طاهر العتابي، أن يصالحه، فشكا سوء فعله به، فسأله أن يصفح عنه، فقال: لا يستحق ذلك، فأمر منصورا بالخروج، فخرج، وقال للعتابي: لم لا أستحق هذا منك؟ فرد عليه:

أصحبتك الفضل إذ لا أنت تعرفه حقا ولا لك في استصحابه أرب

وقد أصلح طاهر بينهما وأمر للعتابي بثلاثين ألف درهم"[٣].

---

(١) النديم، الفهرست، ص ١٨١، وانظر شوقي ضيف، العسر العباسي الأول، ص ٤٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٧.

(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص١١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما علاقته بعبد الله بن طاهر، فكانت علاقة وثيقة، إذ أحبه عبد الله، وقرّبه إليه، فقد سمع أنه مريض فعاده في بيته، وقد تقوّل الناس في ذلك أن هذه الزيارة خَطْرة خَطَرت أي أن الأمير لم يقصد زيارته، وإنما اجتاز ببيته فأخطر ذلك الزيارة، فكتب إلى عبد الله بن طاهر[١]:

يا من أفادتني زيارته ... بعد الخمول نباهةَ الذكر

قالوا الزيارةُ خَطْرةٌ خَطَرت ... ونجارُ بِركَ ليس بالخطْرِ

فادفعْ مقالتهم بثانيةٍ ... تستنفذُ المجهودَ من شكري

لا تجعلنَّ الوتر واحدةً ... إن الثلاثَ تتمةُ الوترِ

وعندما بلغت الأبيات عبد الله بن طاهر ضحك من قوله، وركب هو وإسحاق بن إبراهيم، فعاده مرّة ثانية[٢]، وثالثة[٣].

وكان عبد الله بن طاهر معجباً بالعتابي وبشعره، فقد وفد عليه وفد من الشعراء، فعلم أنهم على بابه، فقال لخادم له أديب: " أخرج إلى القوم، وقل لهم: من كان منكم يقول كما قال العتابي للرشيد:

مُستَنْبَطُ عزماتِ القلبِ من فكرٍ ... ما بينهن وبين اللهِ معمورُ

فليدخل، وليعلم أني إن وجدته مقصّراً عن ذلك حرمته، فمن وثق من نفسه أنه يقول مثل هذا فليقم، فدخلوا جميعاً إلا أربعة نفر"[٤]. وللعتابي مدح طريف، قاله في عبد الله بن طاهر، فقد

---

(١) في الأغاني ورد البيتان ٢،٣ فقط، ج١٣/ص ١١٨، وردت الأبيات كاملة، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ١٢١.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٩.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٢١.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نزل عنده ثلاثة أيام، وكان يمدحه في كل يوم ببيتين من الشعر لا يزيد عليهما، وكان عبد الله بن طاهر يأمر له في كل مرة بجائزة[١].

- مع الفضل بن الربيع:

وكان للعتابي علاقةٌ مع الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد، وقد مدحه العتابي، الذي لم يكن كثير الإقبال على المدح، ولم يتخذه وسيلة للتكسب إلا إذا اضطره العيش ليقصد الخلفاء وأعيان الرجال،"وسئل أمدحت أحداً؟ قال: لا، وليس لي على ذلك قدرة، فقيل له: فقد مدحت الربيع، فقال: ذلك ليوم يستحق فيه المدح، فقلت:

ومعضلةٌ قام الربيع إزاءها ليعمد ركن الدين لما تهدما[٢]"

"وكان الفضل قد شفع له عند الرشيد، عندما غضب عليه بسبب وشاية منصور النمري"[٣].

- مع البرامكة:

ولعلاقته بالبرامكة شأن[٤] كما تقدم، وقد تعود هذه العلاقة إلى "المصلحة الشخصية، أو حب العتابي للشهرة عن طريق القصر"[٥]، ولعل حبه للفارسية وتعلمه لها وقراءته لكتبها، كان

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٠٦ الكتبي، فوات الوفيات، ج٢/ص ٢٨٤.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج١/ص ٥٤١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٤٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥/ص ٢٣٥.

(٤) البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ص ٤١٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢/ص ٢٩٤، السمعاني، الأنساب، ج٤/ص ٨٧.

(٥)حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٧٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سبباً لقربه منهم، وهم الذين قرّبوا كل من تعلم الفارسية وأحبها، وكان "جعفر بين يحيى يحب العتابي، ويقربه ويعاشره"[١] وكان العتابي في الوقت ذاته "يصحبهم ويختص بهم"[٢].

وقد خلصه جعفر بن يحيى من غضب الرشيد، الذي أهدر دمه لأسباب مختلف عليها، ستُذكر عند الحديث عن علاقته بالرشيد، فمدحه العتابي في قصيدة لم تذكر المصادر منها سوى بيتين قال فيهما [٣]:

ما زلتُ في غمراتِ الموتِ مطرحاً قد ضاقَ عني فسيحُ الأرضِ من حيلي

ولم تزلْ دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلستَ حياتي من يدي أجلي

وكانت علاقته حسنة مع يحيى بن خالد وكان يحيى قد عاتبه على إهماله مظهره ولباسه الخشن[٤]، ولولا أنه كان يحظى لديهم بمنزلة كبيرة، لما كان اهتمامهم به يصل إلى رغبتهم في تحسين مظهره وملبسه، وكان يحيى بن خالد معجباً بأدبه[٥].

وحري بمثل هذه العلاقة أن تثمر شعرا ونثراً فيهم، وهم أصحاب الفضل، ولكن لم نجد في شعره ما يختص بالبرامكة، إلا بضع أبيات لا تتجاور الثمانية، ولعل العتابي أضاع هذا الشعر بعد نكبتهم، وقد رأى انصراف الرشيد عنهم[٦]، ولعله لم يقل فيهم شعراً يذكر. وللعتابي

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٧٥.

(٢) النديم، الفهرست، ص ١٨١.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١١٨، أبو الحسن العبدي، العفو والاعتذار، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، الرياض، ١٩٨١، ج٢/ ص ٤٤٤.

(٤) الحصري، زهر الآداب، ٢/ص ٦٢٠.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١١٢.

(٦) حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بيتان في هجاء البرامكة، قد يكون قالهما قبل نكبتهم، "ولعله قطع علاقته بهم قبل نكبتهم فهجاهم[١] بقوله:

إن البرامكَ لا تنفَكُ أنجيَةً ... بصفحةِ الدين من نجواهُمُ نُدبُ

تجرّمت حججٌ عشرٌ ومنصلِهم ... مُضرجٌ بدم الإسلام مختضَبُ

ولا ندري مدى صحة نسبة هذين البيتين له، فقد ذكر أنه بقي على وفائه لهم بعد نكبتهم، فقد أراد الرشيد أن يختبره بعد نكبتهم فوجده على عهده لهم؛ إذ لقيه بعد مقتل جعفر بن يحيى فقال له[٢]: "ما أحدثت يا عتابي؟ فأنشده ارتجالاً:

تلوم على تـــرك الغنى باهليـــةٌ ... زوى الدهر عنها كـلَ طرفٍ وتالدِ

رأت حولها النسوان يرفلن في الكسا ... منظمةٌ أجيادهـــا بالقلائـــــد

أسرّك أني نلت ما نـــال جعفـرٌ ... من العيش أو ما نال يحيى بن خالد

وأن أمير المؤمنيـــن أغصّنـــي ... مغصّهمـــا بالمرهفـات البـــوارد

ذريني تجئني ميتتـــي مطمئنـــة ... ولم أتشجـم هول تلـك المـوارد

فهو يظهر حزنه على ما جرى لهم، وتخوفه، في الوقت ذاته من أن يصبح مصيره مثلهم، ويطلب من زوجته أن تدعه ينتظر منيته باطمئنان دون حوادث مفاجئة، ومثل هذا الشعر يكشف لنا أيضاً أن نكبة البرامكة "لم تقطع ذكرهم عند بعض الشعراء والمحبين لهم والعامة، بل كان بعضهم يندبهم"[٣].

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ٢/ص ٦٢١، ابن المعتز، البديع ط٣، تحقيق أغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٧.

(٢) الجاحظ الحيوان، ج ٤ /ص ٢٦٥، ٢٦٦، البيان والتبيين، ج٣/ص٣٥٠.

(٣) عصمت غوشة، الشعر في ظلال البرامكة، مركز كتب الشرق الأوسط، ١٩٧٥، ص ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مع الشعراء:

كان للعتابي صلات متعددة مع شعراء عصره، أما علاقته بأبي نـــواس، فكـــانت علاقـــة شاعرين تجري بينهما مطارحات شعرية أو مناظرات ومحاورات؛ فقد لقي العتابي أبـــا نـــواس فقال له: " أما تستحي من الله بقولك[١]:

وأخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التي لم تخلق"

فقال له أبو نواس: " وأنت أيضاً أما استحيت من الله بقولك:

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً يضيق عني وسيع الرأي من حيلي

فلم تزل دائباً تسعة بلطفـــك لـــي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

فقال العتابي: قد علم الله وعلمتَ أن هذا ليس مثل قولك، ولكنك أعـــددت لكـــل ســـؤال جواباً"[٢].

وكان الرشيد قد أمر بحبس أبي نواس حتى يدع الخمر، فقال في الحبس[٣]:

قل للخليفـــة إننـــي حتى أراك بكـــل بـــاس

من ذا يكون أبانوا سك إن حبست أبا نواسِ

إن أنت لم ترفع به رأساً هُديتَ فنصف راسِ

فقال العتابي : "ما أحسن نصف رأس الخليفة يرفع ! فقال له: جعلني الله فداءك يـــا أبـــا عمرو، لا تنبههم لهذا فتهلكني"[٤].

ويكشف ذلك قدرة العتابي على نقد الشعر، و قدرته اكتشاف العيب في المعنى.

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٢٥٨، ديوان أبي نواس، ص ٩٥

(٢) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(٣) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٥٨، ديوان أبي نواس، ص ٣٤٨.

(٤) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومر العتابي بأبي نواس وهو ينشد الناس[١]:

ذكر الكرخ نازح الأوطان فبكى صبوة ولات أوان

فلما رآه قام إليه، وسأله الجلوس، فأبى وقال: أين أنا منك وأنت القائل وقد أنصفك الزمان[٢]:

قد علقنا من الخصيب حبالاً أمنتنا طرائق الحدثان

وأنا القائل وقد جار عليَّ وأساء إليَّ[٣]:

لفظتني البلاد وانطوت الإلفـ ـاء دوني وملني جيراني

والتفت حلقة عليَّ من الدهـ ـر فماجت بكلكل وجران

وتظهر براعة العتابي في الربط بين المعاني، وقدرته على المحاورة والمجادلة في الشعر، "ومع ذلك لم يكن العتابي بحيث ينكر على أبي نواس تفوقه في بعض أغراض شعره، وتجديده في كثير من معانيه وصوره"،[٤] فقد روى أبو ثابت حبيب بن النعمان الحميري[٥]: " سمعت كلثوم بن عمرو العتابي يقول لرجلين تناظرا في شعر أبي نواس: والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد! ".

وورد على العتابي في حلب عدد من الكبار، من أهل قنسرين، فدخلوا وسلموا، وكان في يده رقعة ينظر إليها، فقال لهم، لقد سلك صاحب هذه الرقعة وادياً ما سلكه أحد قبله، لله دره ! فنظروا فإذا هو شعر أبي نواس في جنان جارية آل عبد الوهاب الثقفي"[٦].

---

(١) الحصري زهر الآداب، ج٢/ ص ٩٨٦، ديوان أبي نواس، ص ٤٧٦.

(٢) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ ص ٩٨٦، المرجع نفسه، ص ٤٧٧.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٢٧٨، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ ص ٩٨٧.

(٤) أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٨٩.

(٥) ابن منظور، أخبار أبي نواس، تحقيق محمد عبد الرسول إبراهيم، مصر، ٢٠٠٠، ص٥٠.

(٦) ابن منظور، المصدر نفسه، ص ٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مع منصور النمري:

كان منصور ممن عاشرهم العتابي، فقد التقى النمري بالعتابي، فلازمه وتتلمذ عليه، وأصبح راويته، ومنصور النمري "شاعر من شعراء الدولة العباسية، ووصفه العتابي للفضل بن يحيى، حتى استصحبه، ثم وصله بالرشيد، ثم جرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة فتهاجيا."[١]

وهذه الأحداث التي أدت إلى الوحشة بينهما، جعلت كل واحد منهما يسعى على هلاك صاحبه لدى الرشيد[٢].

وكان النمري يكن لأستاذه - إن صح التعبير- الاحترام والتقدير "لقناعة العتابي وديانته، ولعلمه مع ذلك، وسعة أدبه"[٣] وتجاوزت علاقة منصور بالعتابي حد التتلمذ في الشعر، لأن العتابي قد ساعده على الانتقال من الشام إلى بغداد، " فوصفه للفضل بن يحيى، وقرّظه عنده، حتى استقدمه الجزيرة، واستصحبه ثم وصله بالرشيد"[٤]. وفي رواية أخرى أن "النمري كان قد مدح الفضل بن يحيى بقصيدة وهو مقيم في الجزيرة، فأوصلها العتابي إليه..."[٥] .

وقد عكّر صفو هذه العلاقة أمور أدت إلى تهاجر الاثنين، ويعود ذلك إلى حادثة سخرية العتابي من شعر قاله النمري في الرشيد، ومن زوجة النمري، فوشى النمري بذلك للرشيد، الذي غضب عليه، واضطر العتابي للاستتار عند الفضل بن الربيع، الذي حاول التوسط عند الرشيد

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ١٩٩٥، ج٥/ ص ٢٦٧٤، الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٠٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ ص١٠٩.

(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٢٢.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٤٨، الكتبي، فوات الوفيات، ، ج٤/ص ١٦٤.

(٥) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣ /ص ١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليعفو عن العتابي ويسمح له بالظهور، واعتذر العتابي للرشيد قائلاً[١]: "والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذيب عليّ إلا وقوفي على ميله إلى العلوية، وذكر العتابي في ذلك شعراً للنمـــري يظهر فيه حبه للعلويين فأوغر بذلك صدر الرشيد على النمري".

ولم تكن هذه الحادثة الوحيدة التي أدت إلى تغاضبهما، فقد شكى النمري العتابي لطاهر بن الحسين الذي أصلح بينهما، وقد أوردت ذلك في علاقته مع طاهر بن الحسين، وقد قال العتـــابي في منصور شعراً عندما سأله لم لا أستحق منك العفو؟ فقال[٢]:

أصحبتُك الفضلَ إذ أنت لا تعرُفه حقاً ولا لك في استصحابه أرب

وعلى الرغم من ذلك فقد كان لعلاقة النمري بالعتابي حسنات إذ " أفاد من صلتـــه بـــه، ورواية شعره، والتلمذة عليه، فائدة جليلة، جعلته يواجه كبار الشعراء فيما بعد وينـــتزع منـــهم مكان الصدارة عند الرشيد"[٣].

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣ /١٤٩، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥/ص ٣٣٥.

(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣ / ص١١٨.

(٣) مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص ٦٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثّاني
العتّابي شاعراً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

مصادر شعره:

مصادر شعر العتابي قليلة إذا ما قيست مع مصادر شعر غيره من الشعراء المعاصرين له، والمتتبع لتلك المصادر يجد أن بعضها أوردت من شعره مقطوعات من قصيدة واحدة، ولم تذكر القصيدة كاملة، ومنها ما ذكرت له أبياتاً لا تتعدى البيت أو البيتين أو الثلاثة، ولم يصل إلينا ما عُرف باختيار شعر العتابي الذي وضعه ابن طيفور[١] (ت ٢٨٠هـ).

وقد يكون لضياع ذلك الاختيار دور في ضياع معظم شعره إذا ما قسنا ذلك بطول عمره، وحياته الحافلة، وعلاقاته مع خلفاء عصره وأمرائه، ومما يعزز هذا أن بعض الذين أوردوا شعراً له أشاروا أن الأبيات القليلة التي أخذوها إنما هي جزء من قصيدة جيدة، فقد أورد ابن المعتز بيتاً للعتابي: [٢]

رمى القلب بأسٌ من سليمى فأقصدا وكان لها هيّامةَ القلب مُهندا

وعلق ابن المعتز بعد أن روى البيت بقوله: "وهي قصيدة مشهورة جيدة"[٣]، ولم يصل من هذه القصيدة سوى البيت السابق الذي انفرد ابن المعتز بذكره في طبقاته، ويزيد ابن المعتز على ذلك فيقول: "وأشعار العتابي كلها عيون ليس فيها بيت ساقط"،[٤] ولكن ما وصل من تلك الأشعار لا يتعدى أن يكون مقطوعات شعرية، باستثناء قصائد قليلة وردت كاملة.

فالعتابي كان شاعراً كبيراً، نظم شعراً في معظم الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء، ولكن معظم هذا الشعر طواه النسيان إذ لم يجمع شعره في ديوان، ولم يكن شعره قليلاً، ودليل

---

(١) النديم، الفهرست، ص ١٤٦.

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٩٦.

(٣) ابن المعتز، المصدر نفسه. ص ٢٩٦.

(٤) ابن المعتز، المصدر نفسه. ص ٢٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك أن العتابي مثل كبار الشعراء كان له رواة، فمنصور النمري كان روايته،[١] وكذلك "محمد ابن موسى الضبي نديم عبد الله بن طاهر"،[٢] وأحمد بن المبارك الخزاز أبو جعفر كان راوية أبو حسن المدائني والعتابي"،[٣] وإلى جانب هؤلاء الرواة كان للعتابي كاتب هو عبد الله بن خراش من أهل الشام،[٤] كما كان له في بغداد -عند تردده عليها- تلاميذ يكتبون عنه[٥].

ونجد الأصفهاني يذكر له في مقدمات بعض القصائد أو أبياتاً قليلة منها، دون ذكر القصيدة كاملة، كقصيدة العتابي في مدح جعفر بين يحيى البرمكي، فذكر منها بيتين فقط، ويبدو أن بقية القصيدة قد فقد، والبيتان هما:[٦]

مازلت في غمرات الموت مُطّرحاً قد ضاق عني فسيح الأرض من حيلي

ولم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

وقد أوردت بعض المصادر شعراً للعتابي دون أن تترجم له، ولهذا سنلتقي بمصادر جديدة لشعره لم ترد عند الحديث عن حياته أو أخباره.

ومن أقدم مصادر شعر العتابي "الحيوان" و"البيان والتبيين". للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، فالجاحظ من أعلام القرن الثالث الهجري الذي توفي فيه العتابي (٢٠٨هـ)، فهو أقرب الذين ترجموا له، وذكروا شعراً له، وكان من المرجح إيجاد كثير من شعر العتابي في كتبه، ولكن الجاحظ لم يذكر سوى مقطوعات في مواضع متنوعة، تناثرت في البيان والتبيين والحيوان[٧].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ج٥/ص٢٦٧٤، الأصفهاني، الأغاني، ١٣/ص١٠٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٨، ص٥٦.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١/ص ٢٢٨.

(٤) النديم، الفهرست، ص ١٢٥، وانظر: ناصر حلاوي، المربد، ص ٣٨٢.

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج٣/ص ١٤٠، وانظر: أحمد النجار، العتابي أديب تغلبن ص٤٠.

(٦) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١١٩ .

(٧) انظر الجاحظ، الحيوان، ج٣/ص ٦٣، البيان والتبيين، ج١/ ص ٢٣٧، ج٣/ص ٣٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأورد الجاحظ قصيدة للعتابي مدح فيها هارون الرشيد، وهي من قصائده المشهورة، أورد القسم الأول منها في البيان والتبيين.

قال العتابي في مطلعها:[١]

إمام له كف يضم بنانها عصا الدين ممنوع من البرى عودها

ذكر منها الجاحظ ستة أبيات، ثم ذكر القسم الثاني منها في الحيوان، في مقطوعة تتكون من أحد عشر بيتا.[٢] ثم ذكر الجاحظ مقطوعة شعرية قالها العتابي بعد نكبة البرامكة تتألف من سبعة أبيات،[٣] وذكر أيضا مقطوعة من ثلاثة أبيات قالها معتذرا للرشيد،[٤] ونجد مقطوعة أخرى للعتابي في البيان والتبيين، قالها مفتخرا بنسبه، وفي الشكوى[٥].

وانفرد الجاحظ بذكر بيت للعتابي لم يرد عند غيره جاء في الحيوان قال العتابي فيه راجزا [٦]:

أسجد لقرد السوء في زمانه ولو تلقاك بخنزوانه

لاسيما ما دام في سلطانه

وفي القرن الثالث الهجري نلتقي بمصدر آخر لشعر العتابي وهو ما كتبه ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٦٧ هـ) في كتابيه عيون الأخبار والشعر والشعراء.

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٣/ص ٦٣.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣/٣٥٣.

(٣) الجاحظ، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٧٧، ١٧٨.

(٤) الجاحظ، المصدر نفسه، ج٣/ص ٣٩٥.

(٥) الجاحظ، المصدر نفسه، ج١/ص ٥١.

(٦) الجاحظ،المصدر نفسه، ج١/ص٢٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثل ما قاله العتابي بعد نكبة البرامكة ومطلعها:[١]

" تلوم على ترك الغنى باهليةٌ".

وذكر أربعة أبيات من قصيدته الرائية التي مدح بها الرشيد، ثم أورد للعتابي ثلاثة أبيات في طلب العفو، قال فيها ابن قتيبة: " ومن أحسن ما قيل مثله- أي طلب العفو- قول العتابي[٢]:

رحل الرجاء إليك مغترباً حشدت عليه نوائب الدهر

أما في الشعر والشعراء، فلم يتعد شعر العتابي فيه أربعة أبيات، منها قوله:[٣]

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبه البيض المباتير

ونلتقي بالمصدر الثالث في القرن الثالث الهجري، وهو كتاب بغداد لابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ)، وقد اهتم ابن طيفور فيه بترجمة العتابي وذكر أخباره مع طاهر بن الحسين، والمأمون ومنصور النمري، ولم يذكر شعراً كثيراً للعتابي، فقد أورد مقطوعة من أربعة أبيات من قصيدة العتابي الرائية في مدح الرشيد،[٤] وأورد أربعة أبيات في عتاب منصور النمري.[٥] ولعل، قلة شعر العتابي في "كتاب بغداد" عائد إلى أن ابن طيفور صنع اختياراً أسماه " اختيار شعر العتابي"،[٦] لم يصل لنا إلا اسمه كما تقدم، وقد أورد من نثر العتابي ما يعد مهماً في دراسة مواضيع نثره، سنأتي عليه في موضعه.

---

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١/ص ٢٦٦.
(٢) ابن قتيبة، المصدر نفسه، ج١/ص ١٣٩.
(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٢/ص ٦٤٦.
(٤) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ٨٩.
(٥) ابن طيفور، المصدر نفسه، ص ٦٩، ٧٠.
(٦) النديم، الفهرست، ص ٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مصادر القرن الثالث كذلك كتاب "الكامل في اللغة والأدب" للمبرد (ت ٢٨٥هـ)، وعلى الرغم من تقدمه، إلا أننا لا نجد فيه سوى بيتين من الشعر انفرد المبرد بذكرهما للعتابي، قال العتابي في أولهما: [١]

لا ترجع رجعة مذنب خلط احتجاجاً باعتذار

وفي الثاني: [٢]

وفيتُ كل خليل ودني ثمناً إلا المؤمل دولاتي وأيامي

ونلتقي بعد المبرد بطبقات ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، وقد ترجم ابن المعتز للعتابي، وذكر له عدة مقطوعات شعرية، وكان يذكر قبل إيرادها "وما يستحسن له"،[٣] أو قوله " ومن بديع قوله"،[٤] وقد انفرد ابن المعتز بذكر ثلاثة أبيات للعتابي لم ترد عند سواه ، وهي أبيات في الغزل قال عنها ابن المعتز: ومما يستحسن قوله: [٥]

تجنب دار العامرية إنها تكلفة عهد الصبا والكواعب

منازل لم تنظر بها العين نظرة فتقلع إلا عن دموع سواكب

ولا وصل إلا أن تعاج مطية على دارس الإعلام عافي الملاعب

وذكر ابن المعتز أبياتاً متفرقة لم تتعد البيت أو البيتين، وكان يذكر بعد أن يوردها، "وهي قصيدة مشهورة جيدة".[٦]

---

(١) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ط١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ج٣/ص ٣٨٣.

(٢) المبرد، المصدر نفسه، ج٣/ص ٣٣٠.

(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٩٥.

(٤) ابن المعتز، المصدر نفسه. ص ٢٩٥.

(٥) ابن المعتز، المصدر نفسه. ص ٢٩٥.

(٦) ابن المعتز، المصدر نفسه. ص ٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما في كتابه "البديع" فقد أورد ابن المعتز شعراً للعتابي، لم يتجاوز ستة أبيات، سبق إلى ذكر بيتين منهما في مدح العتابي للفضل بن الربيع قال فيها:[١]

ومعضلة قام الربيع إزاءها ليعمد ركن الدين لما تهدما

غداة عداة الدين شاحذة المدى إليه وغول الحرب فاغرة فما

وقد زاد الحصري في زهر الآداب عليها بيتاً ثالثاً،[٢] وقد تداولت المصادر هذه الأبيات، دون أي زيادة عليها، فابن المعتز أضاف جديداً لمجموع العتابي الشعري.

"وبالبديع" نختم المصادر التي ذكرت شعراً للعتابي في القرن الثالث الهجري، وهي في جملتها مصادر قليلة، وعلى الرغم من أنها كانت أقرب المصادر عهداً بالعتابي، إلا أنها لم تذكر من شعر العتابي شيئاً كثيراً.

وفي القرن الرابع الهجري نلتقي بابراهيم بن محمد البهيقي (ت ٣٢٠هـ) في كتابه المحاسن والمساوئ، وقد انفرد البهيقي بذكر بيتين من الشعر قالهما العتابي في طلب حاجة من صديق، وقد عدها البهيقي من محاسن المكاتبات، قالهما العتابي في نهاية رسالة: [٣]

بسطت لساني ثم أوثقت نصفه فنصف لساني بامتداحك مطلق

فإن أنت لم تنجز عداتي وتركتني وباقي لسان الشكر باليأس موثق

ونلتقي بابي الطيب محمد بن إسحاق الوشاء (ت ٣٢٥هـ) في كتابه "الموشى" ويمكن أن نعده من المصادر المهمة لشعر العتابي على الرغم من قلة ما أورد من شعر له، إلا أنه

---

(١) ابن المعتز، البديع، ط٣، اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٧.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج١/ص ٥٤٢.

(٣) ابراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، تحقيق عدنان علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أضاف شيئا جديا لشعر العتابي، فقد انفرد في القرن الرابع بذكر سبعة أبيات قالها العتابي متغزلا بجارية يحيى بن خالد البرمكي جاء في مطلعها قوله[١]:

بقيت بلا قلب لأني هائم فهل من معير يا خلوب بكم قلبا

ووردت أربعة أبيات من هذه المقطوعة في تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي،[٢] ونلتقي بعد الوشاء بمروج الذهب، للمسعودي (ت ٣٤٥هـ)، وانفرد المسعودي بذكر بيتين للعتابي لم يرد عند سواه، وقالهما العتابي في وصف الفتى: [٣]

لسان الفتى كاتبه ووجه الفتى حاجبه

وندمائه كله وكل له واجبه

وبذلك يكون المسعودي قد أضاف بيتين جديدين لمجموع العتابي الشعري، وعلى قلة هذه الإضافة إلا أنها مهمة، لأن ما وصلنا من شعر العتابي قليل.

وأورد المسعودي مقطوعة من قصيدة مدح فيها العتابي الرشيد قال فيها: [٤]

أمام له كف يضم بنانها عصا الدين ممنوع من البرى عودها

وقد أورد هذه القصيدة من سبق المسعودي، فهو بهذه المقطوعة لم يضف شيئا لشعر العتابي.

ونلتقي في القرن الرابع الهجري، بأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) صاحب الأغاني ويعد مصدرا من المصادر المهمة لشعر العتابي، وعلى الرغم من قلة شعر العتابي قياسا لغيره من الشعراء في الأغاني، إلا أنه يبقى مصدرا أضاف جديدا لمجموع العتابي

---

(١) أبو الطيب محمد بن إسحاق، الموشى، ت محمد يوسف نجم، بيروت، ١٩٦٥، ص ٤٨.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص ٤٩١.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص ٣٨٩.

(٤) المسعودي، المصدر نفسه، ج٣/ص ٣٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعري، بانفراده برواية أبيات لم ترد عند سواه، وقد سبق برواية أبيات أخرى، وأخذ عنه كثير ممن ترجموا للعتابي.

ومما انفرد به الأصفهاني من شعر للعتابي ما قاله العتابي وهو حدث يعرض شعره على بشار بن برد، وهي أبيات في الغزل منها قوله :[١]

أيصدف عن أمامة أم يقيم وعهدك بالصبا عهدٌ قديم

وانفرد كذلك برواية أبيات للعتابي في عتابه لمنصور النمري في حضرة طاهر بن الحسين عندما حاول الأخير الإصلاح بينهما فقال العتابي معاتباً النمري: [٢]

أصبحتكَ الفضل إذ أنت لا تعرفه حقاً ولا لك في استصحابه أرب

والملاحظ على صاحب الأغاني أنه يكرر رواية بعض المقطوعات الشعرية في موضعين،[٣] أو أكثر، وقد يكون سبب ذلك، اختلاف الخبر أو ضخامة الكتاب وما ينتج عنه من السهو في التكرار.

والأغاني من المصادر الأساسية لشعر العتابي، فقد روى الأصفهاني ما لا يقل عن الثمانين بيتاً للعتابي.

ثم نلتقي بأبي علي القالي، إسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) في أماليه، فقد أورد مقطوعة شعرية من خمسة أبيات قالها في نهاية رسالة بعثها لصديق له يستمنحه فيها منها قوله:[٤]

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١١٣.
(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ ص١١٨.
(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ ص ١١٣، ١٢٥.
(٤) القالي، الأمالي، عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ج٢/ص ١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يذكر لنا صاحب الأمالي سوى هذه المقطوعة للعتابي، ولم ترد هذه المقطوعة في الأغاني.

ونلتقي في القرن الرابع بابن النديم (ت ٣٧٨)، فقد انفرد بذكر أربعة أبيات قالها العتابي في وصف الكتب، لم ترد عند أحد سواه قال فيها : [١]

لنا ندماء ما نمل حديثهم أمينون مأمونون غيباً وشهدا

وفي القرن ذاته نلتقي بالمرزباني (ت ٣٤٨) الذي أورد في معجم الشعراء، ترجمة للعتابي ذكر ضمنها بيتين من قصيدته في مدح الرشيد قال فيها: [٢]

فُتّ المدائحَ إلا أن ألسُنَنَا مُستَنطقَاتٌ بما تُخفي الضَمائيرُ

وأورد المرزباني في معجمه أربعة أبيات من قصيدة العتابي في مديح الرشيد مطلعها[٣]:

أمامٌ لهُ كفٌ تضمُ بنَانَها عَصا الدين ممنوعٌ من البرى عُودُها

وأورد بيتي الشعر الذين مدح فيهما العتابي جعفر بن يحيى، ولكنه ذكر أن العتابي قالهما في مدح الفضل بن يحيى[٤]، وأورد بيتين من الغزل من ضمن قصيدة بلغت أربعة عشر بيتاً، ذكرتها مصادر سابقة ومصادر متأخرة عن المرزباني، أما في الموشح، فقد أورد المرزباني رسالة ابن المنجم التي كتبها في المفاضلة بين العباس بن الأحنف والعتابي، وأورد فيها ابن المنجم أبياتاً شعرية قالها العتابي ضمن قصيدته الرائية في الرشيد.[٥]

---

(١) النديم، الفهرست، ص ١١.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٥١.

(٣) المرزباني، المصدر نفسه. ص ٣٥١.

(٤) المرزباني، المصدر نفسه. ص ٣٥١.

(٥) المرزباني، الموشح، ط ٢، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٩هـ، ص ٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأورد أبياتاً منفردة من قصائد مدح فيها الرشيد أيضاً. ثم أورد بيتاً في الغزل قال فيه العتابي:[١]

رسلُ الضميرِ إليكَ تترى بالشوقِ متعبةً وحسرى

والمرزباني في كتابيه، لم يذكر للعتابي إلا أبياتاً مأخوذة من قصائد كاملة، فالمرزباني لم يضف لشعر العتابي شيئاً جديداً، ولكنه أكد نسبة بعض الأشعار إليه.

وفي نهاية القرن الرابع الهجري نلتقي بأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) في كتابه الصناعتين، وأورد فيه العسكري مقطوعات شعرية للشاعر تحت ألوان مختلفة من البديع كالتجنيس والتشبيه، والاستعارة والوصف، فأورد له أبياتاً في وصف الغيم عدها العسكري من أجود الوصف الذي استوعب أكثر معاني الموصوف قال فيها العتابي:[٢]

والغيم كالثوب في الآفاق منتشرٌ من فوقه طبق من تحته طبقُ

تظنهُ مصمتاً لا فتق فيه فإن سالت عز إليه قلت الثوب منفتقُ

إن معمع الرعد فيه قلت منخرقٌ أو لألأ البرق فيه قلت محترقُ

وأورد العسكري أبياتاً للعتابي في مدحه هشام بن بسطام التغلبي يعتذر له فيها، وأورد كذلك بيتين في باب التجنيس قالهما في مالك بن طوق،[٣] وبيتاً آخر تحت باب غرائب التشبيهات،

أما في ديوان المعاني فقد أورد العسكري بيتين من الشعر ضمن رسالة بعثها العتابي لصديق.[٤]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٢٦٦.

(٢) أبو هلال العكسري، كتاب الصناعتين، ص ١٢٩.

(٣) أبو هلال العسكري، المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

(٤) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بداية القرن الخامس الهجري نلتقي بأبي إسحاق المعروف بالرقيق النديم (ت ٤١٧) في قطب السرور في أوصاف الخمور، وقد ذكر رواية دخل فيها العتابي على طاهر بن الحسين، وعنده غلام يسقيه، فطلب من العتابي أن يقول بذلك شعراً ويهب به الغلام فقال:[١]

أيها الساقي الذي أصبـ ـح يسقينا الرحيقا

طاهرٌ جـوادٌ فاتخذناه طريقا

وهي مقطوعة من خمسة أبيات، أضافت إلى مجموع العتابي شعراً جديداً.

في بداية القرن الخامس الهجري نلتقي بالثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وله مصادر مهمة في الأدب، ولكن الثعالبي لم ينقل لنا كثيراً من شعر العتابي، على الرغم من كثرة مؤلفاته. ولكنه انفرد بذكر ثلاثة أبيات للعتابي، ذكر اثنين في المنتحل،[٢] وسبق برواية بيت في التمثيل والمحاضرة،[٣].

وأورد للعتابي ثلاثة أبيات في "خاص الخاص"،[٤] قد سبق ذكرها عند سواه أما في ثمار القلوب فقد ذكر فيه بيتين من قصيدته في مدح الرشيد،[٥] ذكرت كذلك في مصادر متقدمة، وعلى كثرة مؤلفات الثعالبي إلا أننا لم نجد للعتابي فيها أشعاراً تُذكر.

---

(١) الرقيق النديم، قطب السرور، في أوصاف الخمور، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩، ص١.

(٢) أبو منصور الثعالبي، المنتحل، ت أحمد أبو علي، الإسكندرية، ١٩٠١، ص ٤٧.

(٣) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، ١٩٦١، ص ٨٣. وقد ورد البيت ذاته في نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري، نسخة مصورة عن طبقة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة، ج٣/ ص٨٦.

(٤) الثعالبي، خاص الخاص، ط١، تحقيق محيي الدني الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٦٢.

(٥) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ص ١٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي القرن ذاته نصل إلى مصدر يعد من المصادر المهمة في الأدب، وهو تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)،وقد ترجم البغدادي للعتابي، ويعد تاريخ بغداد من المصادر المهمة لشعر العتابي على قلة ما جاء فيه من شعر له، ولكن أهميته تظهر في انفراده بذكر ثلاثة أبيات للعتابي قالها يائساً من الناس والحياة: [١]

ألا قد نُكس الدهرُ فأضحى حلوَهُ مراً

وقد سبق كذلك بذكر خمسة أبيات للعتابي يصف فيها الكريم. قال فيها: [٢]

إن الكريمَ لَيُخفي عنكَ عُسرَتَهُ حتى تَراهُ غَنياً وهو مَجهودُ

وأورد شعراً قاله العتابي متغزلاً بجارية يحيى بن خالد البرمكي واسمها خلوب،[٣] فالبغدادي أضاف لمجموع العتابي الشعري ما هو جديد، ثم يطالعنا مصدر مهم من مصادر الأدب هو زهر الآداب للحصري (ت ٤٨٨هـ)، ويعد من المصادر التي أضافت جديداً لمجموع العتابي الشعري، فقد انفرد الحصري بذكر أبيات للعتابي لم ترد عند سواه،، ونقل بعض قصائد العتابي كاملة، كالقصيدة البائية في مدح الرشيد ومطلعها: [٤]

جَعلتُ رَجاءَ العفوِ عُذراً وَشُبتُهُ بِهيبةِ إمَّا غافرٍ أو معاتبِ

فلم ترو بعدد أبياتها العشرين إلا عند الحصري.

وقد انفرد بذكر بيتين قالهما العتابي في هجاء البرامكة منهما قوله: [٥]

إنّ البَرامِكَ لا تَنفَكُّ أنجيةٌ بصفحةِ الدّين من نَجواهُمُ نَدَبُ

---

(١) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٢/ص ٤٩١.

(٢) البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٢/ص ٤٩١.

(٣) البغدادي، المصدر نفسه، ج ١٢/ص ٤٩١.

(٤) الحصري، زهر الآداب، ج٢، ص ٦٣٢، ٦٢٤.

(٥) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ ص ٦٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانفرد كذلك برواية ثلاثة أبيات قالها العتابي متغزلاً منها قوله:[١]

أما رَاعَ قَلبُ العامِريةِ أنني غَدوتُ ومَرجُوعُ السِقامِ قَرِيني

وانفرد كذلك برواية أربعة أبيات قالها العتابي يائساً يشكو الدنيا ومن فيها قال فيها: [٢]

لَفَظتني البلادُ وانطوتْ الأكفاءُ دوني ومَلَّني جِيرَاني

وانفرد بذكر عشرة أبيات للعتابي قالها يبث فيها أحزانه وأشواقه ومما قال فيها: [٣]

لو رأتني بذي المَحارةَ فَرداً وذِراعُ ابنةَ الفلاةِ وسِادي

أُطفِئُ الحُزنَ بالدِموع إذا ما حُمةُ الشوقِ أَثّرتْ في فُؤادي

وانفرد كذلك بذكر بيتين من شعر مدح فيه طاهر بن الحسين،[٤] وهي مقطوعة من أربعة أبيات ذكر الأصفهاني في الأغاني منها بيتين. وذكر الحصري كذلك شعراً للعتابي قاله في عتابه للمأمون،[٥] وبذلك يكون زهر الآداب من المصادر المهمة لشعر العتابي، إذ أضاف صاحبه شعراً للعتابي لم يرد عند سواه مما أثرى مجموع العتابي الشعري.

أما في القرن السادس الهجري فإنه مما يستغرب له عدم اهتمام أصحابُ المصادر بإيراد شعر جديد للعتابي بل هي مجرد أبيات متفرقة تكررت في مقطوعات شعرية من قبل، على الرغم من ترجمة بعض هذه المصادر للعتابي، ولكننا لم نحظ بشعر للعتابي يشكل أهمية لمجموعه الشعري أما في القرن السابع الهجري، فقد كانت المصادر فيه أكثر اهتماماً بشعر العتابي، وقد انفردت بعض هذه المصادر برواية شعر للعتابي لم يرد في مصادر سابقة.

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ ص ٦٢٥.

(٢) الحصري،المصدر نفسه، ج٢/ ص ٩٨٧.

(٣) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ ص ٦٢٥.

(٤) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ ص ٦٢١.

(٥) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ ص ٦٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلتقي في القرن السابع الهجري بياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه معجم الأدباء، وعلى الرغم من قلة ما أورده من شعر للعتابي، إلا أنها جعلت من المعجم مصدراً مهماً، لأن صاحبه انفرد فيه برواية عدة أبيات منها أربعة أبيات قالها العتابي يعاتب فيها عمرو بن مسعدة قال فيها:[١]

قدْ كنتُ أرجو أن تكونَ نَصيري وعلى الذي يبغي عليَّ ظَهيري

وانفرد كذلك بذكر بيتين يصف فيها العتابي، عدم الصدق في القول والصديق غير المخلص، فقال:[٢]

لومٌ يُعيذُكَ من سُوءٍ تُفارقهُ أبقى لِعِرضِكَ من قولٍ يُداجيكا

وقد رمى بكَ في تَيهاءِ مُهلكةٍ من باتَ يكمُنكَ العيبَ الذي فيكا

وأورد بيتين في عدم الاستغناء عن الشكر لم يروهما أحد قبله قال فيهما العتابي:[٣]

لو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ لعزةِ مُلكٍ أو عُلوِ مَكانِ

لما أمرَ اللّه العبادَ بشكـــــرِهِ وقال اشكروا لي أيُها الثَقَلانِ

ونلتقي في القرن السابع كذلك بأبي الفرج البصري ت(٦٥٩ هـ) في حماسته البصرية، وتعد الحماسة البصرية مصدراً مهماً لشعر العتابي، فقد انفرد بذكر ما قاله العتابي عن عوائر الدهر، وتقدم العمر دون أن يتبنه له، قال فيها: [٤]

تغرُّ الفتى مَرُّ الليالي سليمـــةٍ وهُنَّ به عما قليل عَـــوائرُ

فإن أعصى ريعانُ الشبابِ فطالما أطعتَ إليه الجهلَ والحلمُ وافرُ

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٥/ ص ٢٢٤٥.

(٢) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٦/ ص ٢٦١.

(٣) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج ٥/ ص ٢٢٤٥.

(٤) أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية، ط١، تحقيق مختار الدين أحمد للهند، ١٩٦٤، ج ٢/ ص ٤٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر كذلك تسعة أبيات، يودع فيها العتابي جارية له، قال فيها:[١]

ما غِنَاءُ الحَذَارِ والإشفاقِ وشآبيبُ دمعكَ المهراقِ

وروى كذلك للعتابي أربعة أبيات، قالها في الحكم والمواعظ، والدعوة إلى قهر النفس قال فيها:[٢]

وكم نعمةٍ أتاكَها اللهُ جزلةٍ مُبرَأةٍ من كلِ خلقٍ يُذِيمُها

وأعاد أبياتاً تكررت في مصادر متقدمة عليه استمنح فيها العتابي صديقاً له منها قوله:[٥]

إنّ الكريمَ لَيُخفي عنكَ عُسرتهَ حتى تراه غنياً وهو مجهودُ

وعلى الرغم من قلة الشعر الذي ورد في الحماسة البصرية للعتابي إلا أنها مصدر مهم من مصادر شعره، لأنها أضافت ما هو جديد لمجموع العتابي الشعري.

ونلتقي في القرن ذاته بأبي المحاسن اليغموري (ت ٦٧٣ هـ) في نور القبس المختصر من المقتبس، وقد انفرد اليغموري فيه بذكر ثلاثة أبيات من الشعر قالها العتابي في الصبر:[٣]

طمعُ النفوسِ مطيَّةُ الفقرِ ولِيَأسِها أدنى إلى الوَفْرِ

اصبْر إذا بَدَهَتك نازلةٌ ما عالَ مُنْقَطِعٌ إلى الصبرِ

الصبرُ أنْبَلُ ما اعتصمتَ بهِ ولَنِعم حشو جوانحِ الصدرِ

وانفرد كذلك بذكر بيتين في المديح[٤].

---

(١) البصري، الحماسة البصرية، ج٢/ص ٤٢٥، ٤٢٦.

(٢) البصري، المصدر نفسه، ج٢/ ص ٣٠٤.

(٣) أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمد الحافظ اليغموري، أنور القبس المختصر من المقتبس، تحقيق رودلف زلهايم، جمعية المستشرقين الألمانيين، فسبادن ١٩٦٤، ص ٣٩.

(٤) اليغموري، المصدر نفسه، ص ٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقبل نهاية القرن السابع نلتقي بابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) في "وفيات الأعيان" الذي خلا كتابه من شعر لم يرد سابقاً بل كان الشعر فيه قد تكرر في المصادر السابقة، فذكر مدح العتابي ليحيى بن خالد البرمكي،[١] وأعاد ما قاله في طوق بن مالك،[٢] وقد وردت من قبل في الأغاني.[٣] وذكر ما قاله العتابي لصديق له يطلب منه مساعدته،[٤].

وفي القرن الثامن الهجري يطالعنا ابن منظور (ت ٧١١) فقد ذكر في معجمه اللغوي "لسان العرب" ثمانية أبيات للعتابي قالها العتابي للرشيد بعد نكبة البرامكة قال في مطلعها:[٥]

تلومُ على تركِ الغنى باهليةُ زَوى الدهرُ عنها كلَّ طريفٍ وتالدِ

ووردت هذه الأبيات في مادة (برد) ويبين ابن منظور معنى قول الشاعر بالمرهفات والبوارد. قال : يعني السيوف وهي القواتل، وابن منظور لم يأت بجديد، بل كان ما جاء به من شعر للعتابي قد تكرر في مصادر عديدة.

ونلتقي في القرن الثامن الهجري بابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ)، في فوات الوفيات، فقد أورد الكتبي ترجمة للعتابي ذكر فيها شعراً لم يذكره ابن خلكان في وفياته، وقد انفرد الكتبي برواية بيتين من شعر العتابي قالهما في مدح طاهر بن الحسين:[٦]

بَهجاتُ الثيابِ يخلِقُها الدهـ ـرُ وثوبُ الثناءِ غضٌّ جديدُ

فاكسني ما يبيدُ أصلحكَ اللـ ـهُ فإني أكسُوكَ ما لا يبيدُ

أما بقية ما أورده الكتبي من شعر للعتابي فكان تكراراً ما جاء في المصادر.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢ / ص ٢٩٤.
(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ج٢/ص ٢٩٤.
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ ص ١١٧.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢/ ص٢٩٤.
(٥) ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧، مادة برد، ص ٨٨.
(٦) ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج٤/ ص ٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحدث عن حياة العتابي، ثم أورد له الكثير من شعره بيّن أهم الأغراض التي نظم فيها العتابي، مع دراسة لبعض السمات الفنية فيها، وأورد له بعضا من نثره، تحدث فيه عن المناسبات التي قال فيها ذلك النثر.

وقام ناصر حلاوي في مجلة المربد ببحث جمع فيه معظم شعر العتابي، ولكن دون أي دراسة لذلك الشعر، ولم يورد له أي شيء من نثره، أو آرائه النقدية.

ودرس محمد مصطفى هدراة، في كتابه المرسوم بـ "اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري" بعضاً من أشعار العتابي وتحدث عن صنعته الشعرية.

الأغراض الشعرية:

على الرغم من قلة ما وصل إلينا من شعر العتابي، إلا أننا نستطيع أن نتبين الأغراض الشعرية التي قال فيها العتابي وأهم المظاهر الفنية لشعره.

نظم العتابي في أغلب الأغراض الشعرية، وقد وصل إلينا من شعره الشيء اليسير في كل غرض من أغراض الشعر التي كانت سائدة في ذلك العصر، ومن الغريب أن يذكر د. هدارة عن شعر العتابي بأن "الذي وصلنا منه، لا يدل على مذهبه، إنما هي بضعة أبيات في المدح لا تكاد تجلو لنا شيئاً من شعره"[١]، وفي الوقت ذاته يذكر في موضع آخر "أن العتابي من أئمة الصنعة الشعرية في القرن الثاني الذين ذكرهم الجاحظ، مما ينفي أن تكون الصنعة أثراً من آثار الشعراء المولدين فحسب"[٢]، ويذكر أيضاً أن "شعر العتابي لم يصل إلينا إلا أقله، فالشأن فيه كما في ابن هرمة، بحيث لا نستطيع أن نحكم حكماً صائباً على نوع صناعته، ودرجتها من

---

[١] محمد مصطفى هدارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص ٣١٠.

[٢] محمد مصطفى هدارة ، المرجع نفسه، ص ٥٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يمدح الشاعر من الخلفاء إلا هارون الرشيد، واستهل العتابي مدائحه للرشيد في قصيدته الرائية، عندما عتب الرشيد عليه أيام الوليد بن طريف، فقطع عنه أشياء كان قد عوده إياها فأتاه متنصلاً بهذه القصيدة[١]:

ماذا شجاكَ بحوّارين من طَلَلِ	ودِمنة كَشَفَتْ عنها الأعاصيرُ
شجاكَ حتى ضميرُ القلبِ مُشترَكٌ	والعينُ إنسانُها بالماءِ مغمورُ
في ناظريَّ انقباضٌ عن جفونهما	وفي الجفونِ عن الآماقِ تقصيرُ
لَبِسْتَ أرديةَ النّوارِ من طَلَلٍ	وَزِلْتَ أخضَرَ تعلُوكَ الأزاهيرُ

وقد حافظ الشاعر في مدحته على النمط التقليدي لشكل قصيدة المديح، ولكنه تناول معاني جديدة، فقد وقف الشاعر على الأطلال إلا أنها أطلال ليست كأطلال شعراء الصحراء، "فالطلل لديه يقوم بأرض خصيبة تنتشر فيها الأزهار والورود والخُضرة"[٢].

وبدأ الشاعر مقدمته الطللية باستفهام عما أصابه من حزن وحسرة عندما وقف على أطلال محبوبته، وآثار ديارها الباقية، فأصابه الهم الذي جعله يحدث نفسه، فامتلأت عيناه بالدموع وظل ساهراً لا تغمض له عين. ويصف جفونه بأنها قصار عاجزة عن تغطية مقلتيه، وهي صورة تداولها من قبله جميل وبشار.

ويدعو لهذا الطلل بأن يبقى مزهراً زاهياً بألوان وروده. وبخضرته ويبدو الشاعر من خلال حديثه عن الطلل متأثراً ببيئته الشامية التي عاش فيها، فقد عاش في أرض خصيبة مليئة بالخضرة، فانعكس ذلك على شعره. فظهرت تلك المعاني الجديدة في طلله.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٢٣، طبعة دار الثقافة. ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف،ا لقاهرة، ١٩٥٦، ص ٢٦١. وانظر، ناصر حلاوي، شعر العتابي، المربد، عدد ٢-٣، ص ٣٩٩.

(٢) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحذو العتابي حذو الشعراء في نظم قصيدته، فيبدأ ببث أشواقه لمحبوبته، يقول[١]:

لو كنتِ تدرين ما شوقي إذا جَعَلَتْ ... تنأى بِناوبِك الأوطانُ والدورُ
علمتِ أنّ سُرى ليلي ومُطلعي ... من بيت نجران والغوْرَين تغويرُ[٢]
إذِ الركائبُ مخسوفٌ نواظِرها ... كما تضمنَّت الدُهنَ القواريرُ

ويتحدث الشاعر عن معاناته في الوصول إلى محبوبته، وعن التعب الذي يعانيه، لبعد ديارها عنه، ويصف رحلته والركائب التي كانت تحمله ليلاً ونهاراً، من نجران حتى نزلت به إلى أراضٍ منخفضة ويصور تعب الركائب، حتى أصبحت عيونها غائرة في محاجرها.

وبدأ الشاعر بعد المقطع الطللي، بنداء للخليفة، ولكن هذا النداء تنادية صلة الرحم التي تربط بين الشاعر والخليفة. يقول[٣]:

نادَتكَ أرحامُنا اللاتي تَمُتُّ بها ... كما تنادي جِلادَ الجلّة الخورُ

ومثل هذه البداية، تتناسب مع موضوع القصيدة، فالشاعر يمدح الخليفة ويعتذر إليه، والاعتذار يتطلب تمهيداً حتى يقبل المعتذر له عذر الشاعر، فالشاعر ركّز على صلة الرحم، وجعل نداءها كنداء النوق بعضها على بعض.

ونوّع الشاعر في الصفات التي أضفاها على الخليفة، فمنها ما يتعلق بشخص الخليفة، ومنها ما يتعلق بمكانته الرسمية، على اعتبار أنه خليفة المسلمين، ومن الصفات التي تتعلق بشخص الخليفة أن الخليفة لا يقدم على أمر قبل أن يتأمل ويتفكر به، يقول[٤]:

مُسْتَنبِطُ عزماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... ما بينَهُنَّ وبين الله مَعمورُ

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٦٣، الأصفهاني، الأغاني.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ١٣٤/ص ١٢٣.

(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص١٢٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٩.

(٤) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص١٢٣، الحصري، زهر الآداب، ج٢، ص ١٩٤٦. حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه الصفة التي يتمتع بها الخليفة، تنبع من مَهابة الخليفـــة لله، فـــهو لا يقـــدم علـــى أمر إلا بعد أن يطمئن أنه في مصلحة الرعية دون ظلم لهم أو عصيـــان لله، ويُظـــهر الشـــاعر إعجابه بالخليفة، فجعل ذلك الإعجاب عاماً، جعل كل المسلمين معجبين بالخليفة، يقول[١]:

فُتَّ المَمادحَ إلا أنّ ألسننا مُستَنْطَقَاتٌ بما تحوي الضمائرُ

فالخليفة بذلك اجتاز المدائح كلها، والذي ينطق به ليس ثناء ومدحاً للخليفة، وإنمـــا هـــو واقعٌ، لأنه يعبر عما يجول في نفوس المسلمين، من حب وتقدير للخليفة، ويتابع الشاعر مدحه ، بسؤال يخاطب فيه نفسه، فهو لا يدري كيف يثني على الخليفة لأنه لن يقدره حق قدره ويعلـــل ذلك فيقول[٢]:

ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ناداك في الوحي تقديسٌ وتطهير

والشاعر بذلك أغلق الطريق على نفسه، وعلى غيره، في قول المدح لأنه يحتاج إلـــى برهان ودليل قاطع في إثبات عدم قدرته وقدرة غيره على ذكر الثناء على الممدوح، وهو بذلـــك لا يبالغ، وأبعد عن نفسه أي مبالغة في مدحه للرشيد، بعد أن ناجاه في الوحي تقديس وتطـــهير، ويشير بذلك إلى قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكـــم الرجـــس أهـــل البيـــت ويطـــهركم تطهيراً)[٣].

---

[١] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٢٣، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ١٩٤٦، حـــلاوي، شـــعره، ص ١٩٩.

[٢] الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١٢٣، الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص ٩٤٦، حـــلاوي، شـــعره ٣٩٩٠.

[٣] سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووقف العتابي في عرضه لصفات الخليفة المعنوية موقف المحلل الدقيق في تعقب هـذه الصفات، ولم يتوقف عند صفة واحدة، بل حاول طرح أكثر من صفة للخليفـة لتـأكيد مثاليتـه يقول[١]:

إمـامٌ لـه كـفٌ يَضُـمُّ بنانُـها ... عَصا الدّين ممنوعٌ من البَرْي عودُهـا
وعيـنٌ محيـطٌ بالبريّـة طَرْفُـها ... سـواءٌ عليـه قُرْبُـها وبَعيدُهـا
وأصْمَـعُ يقظـانٌ يبيـت مناجيـاً ... له في الحشا مستودَعاتٌ يكيدُهـا[٢]
سميعُ إذا نـاداه فـي قَعْـر كُرْبـةٍ ... منـادٍ كفتْـه دعـوةٌ لا يعيدُهـا

يفصل الشاعر في مديحه للخليفة صفاته المثالية بدقة، فيصف يد الخليفة، التـي تحمـل عصا الدين، فالخليفة يرعى أمور رعيته فيضرب على يد العاصي، ويعين من أراد العون، وهو يتبع بذلك أمور الدين كلها، وعينه تحيط بأمور الرعية، في كل البلاد ويسمع نداء المظلوم، وقلبه اليقظ لكل الأمور يدّبر الأمر ويتفكر به قبل أن يقدم عليه، وذلك المظلوم المنادي للخليفة يكفيـه أن يدعو الخليفة مرّة واحدة، فينصفه الخليفة، ويجيبه دون إبطاء أو تأجيل.

ويؤكد الشاعر تلك الصفات، التي اختص بها إمام المسلمين في معظـم مدحـه للخليفـة يقول[٣]:

رعى أمّة الإسـلام فـهو إمامُـها ... وأدّى إليـها الحـقَّ فـهو أمينُـها
ويسـتنتج العَقْمـاءَ حتـى كأنـها ... تَغلغلُ في حيثُ اسـتقرَّ جنينُـها [٤]
وما كلُّ موصوفٍ له الحقُّ يـهتدي ... ولا كل من أمَّ الصّوى يسـتبينُها [٥]

---

[١] الحصري، زهر الآداب، ج٢، ص ٦٢٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٨.

[٢] أصمع يقظان: يقظ القلب فطنه.

[٣] الجاحظ، الحيوان، ج٣/٦٣، والبيتان الأول، والرابع، في الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٣.

[٤] المقماء: المشكلة العسيرة،

[٥] أمّ الصوى: قصد الإعلام، العلامات الهادية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقيمٌ بمُستَنِّ العُـــلا حيـــثُ تلتقـــي طوارفُ أبكارِ الخطوب وعُونـــها [١]

فهو يُظهر أحقية الخليفة في إمامة المسلمين، لأنه راعيها وأمينها الذي أدّى لها كل حـــق مطلوب، حتى رصد لنا قدرة الخليفة في حل الأمور الصعاب والخطوب العسيرة، وكأنه يستولد حلولها الخفية، وينفي الشاعر حلول هذه الصفات في غير الخليفة، فهو مؤهل لها وهي أهل لـــه. والشاعر يلجأ إلى براهين وأدلة في إثبات قوله هذا، ويصور الشاعر الخليفة، وقد بلغ قمة المجد والعلا، وأصبح مقيماً فيها، ولا يكون للرعية من سبيل إلا أن يعتمدوا عليه في حـــل مشـــاكلهم قديمها، وحديثها، صغيرها وكبيرها.

ومثل هذه الصور، تبدو فيها المبالغة، ولكن عذر الشاعر في ذلك أن الشعراء جميعاً فـــي مدائحهم للخلفاء يحاول كل منهم إيجاد أفضل الصفات لممدوحه، وأن يحظى بلقب شاعر الخليفة دون غيره من الشعراء، إضافة إلى أن ذكر الشعراء لمثل هذه الصفات ينالون عليـــه العطـــاء الجزيل، ويجعل الشاعر من ممدوحه الأول والملاذ والمجير، يقول[٢]:

مازلتُ في غمرات الموتِ مُطَّرحـــاً قد ضاق عني فسيحُ الأرضِ من حيلـــي
ولم تزل دائباً تَسْعَى بلطفـــك لـــي حتى اختلست حياتي من يَـــدَيْ أجلـــي

فممدوحه انتشل حياته من بين أنياب الموت، وهذه صورة بديعة من صور المديح، وفِـق فيها الشاعر بتصوير سوء حالته، وقساوة الزمن عليه، ووفق أكثر في تصويـــر عظيـــم كـــرم الممدوح وعلو قدره، ويصور براعة ممدوحه في تخليصه من الموت، عـــن طريـــق محاولتـــه للموت، حتى استطاع أن يختلس حياة صاحبه.

---

[١] المستن: مكان الاستنان، وهو سرعة العدو، والمراد بلوغ المجد والرفعة، أبكار الخطوب وعونـــها: حديثـــها وقديمها، أو صغيرها وكبيرها.

[٢] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١١٨، التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢/٣٢٧. الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ٢٢٣، وانظر، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف الشاعر شجاعة ممدوحه، وقدرته على صد الأعداء، يقول في مدحه للفضل بن الربيع[١]:

ومعضلةٌ قام الربيعُ أزاءَها ... ليَعْمُدَ ركنَ الدينِ لمَّا تهدَّما
بمكةَ والمنصورُ رهنٌ كما أتى ... أخا الوحي داعيَ ربهُ فتقدَّما
غداةَ عُداةُ الدينِ شاحذةُ المُدى ... إليه وغُولُ الحربِ فاغرةٌ فما

فجعل ممدوحه يتصدى للأمور الصعبة، ويعمد ركن الدين، ويجعل منه قائداً يحمل لواء الدين في تقدمه على الأعداء الذين يهددون الدين بثوراتهم.

والشاعر يبحث عن المعاني النادرة، حتى جعل من مدائحه البيتين أو الثلاثة أبيات، فقد دخل العتابي يوماً على عبد الله بن طاهر، فأنشده مادحاً[٢]:

حُسْنُ ظَنِّي وحُسْنُ ما عوَّد اللـ ... ـهُ سُؤلي منك الغداةَ أتى بي
أيُّ شيءٍ يكونُ أحسنَ من حُسْـ ... ـنِ يقينٍ حَداَ إليك ركابي

فالشاعر لا يطلب المال بشكل واضح، بل يمهد له، في مدحة قصيرة، فقد حَسُنَ ظنه بالأمير، كما هو شأن الناس كلهم في حُسْنِ ظنهم به، وهذا ما دفع الشاعر إلى المثول بين يديه، ورجع الشاعر للأمير في اليوم الثاني مادحاً[٣]:

وُدُّك يكفينيك في حاجتي ... ورؤيتي كافيةٌ عن سؤالْ
وكيف أخشى الفقر ما عِشْتَ لي ... وهذه كَفَّاك لي بيتُ مالْ

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج١/ص٥٤٢، ابن المعتز، البديع، ص ١٧. وانظر، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٥.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١١٥، الكتبي، فوات الوفيات، ج٣/ص٢٢١. وانظر حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٠.

(٣) الأصفهاني، الأغاني ج١٣/ص١١٥، الكتبي، فوات الوفيات، ج٣/ص ٢٢١. وانظر، حلاوي، شعر العابي، ص ٤١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُظهر الشاعر حاجته، وفقره، ويكفي تلك الحاجة ود الممدوح له، وهو لا يسأل الممدوح بشكل واضح، ذلك لأن مظهره يدل على سؤاله، فالفقر والعوز يظهران عليه، ولكنه لا يخشى الفقر. مادام الأمير يجود عليه بالمال. ويعود الشاعر في اليوم الأخير لينشد الأمير[١]:

بهجاتُ الثياب يُخلقُها الدهـ ـرُ وثوبُ الثناءِ غَضٌّ جديدُ
فاكسني ما يبيدُ أصلحكَ اللهـ ـهُ فإني أكسوكَ ما لا يبيدُ

وقبل أن يطلب الشاعر ما يريد من الأمير، يبين أن الثناء والمدح والذكر الحسن أمور باقية لا تنسى، أما الأموال والثياب الجديدة والملك المادي زائل لا محالة، فالأمير سوف يكسوه بما هو فانٍ منتهٍ، أما هو فسوف يكسوه بالمديح والثناء اللذين لا يزولان.

والعتابي في استخدامه لهذا اللون من المديح الذي لا يتعدى البيتين أو الثلاث "كأنه يتشبه في ذلك بالأمثال الفارسية التي كان يعكف عليها"[٢].

ويستمر الشاعر في مدحه لعبد الله بن طاهر في مقطوعات قصيرة يقول للأمير الذي عاده في بيته بسبب مرض ألمّ به[٣]:

يا من أفادتني زيارَتُهُ بعد الخمولِ نباهةَ الذكرِ
قالوا الزيارة خَطْرةٌ خَطَرتْ ومجازُ خَطْرِكَ ليس بالخطْرِ
فادفع مقالتهم بثانيةٍ تستنفذْ المجهودَ من شكري
لا تجعلن الوترَ واحدةً إن الثلاثَ تتمةُ الوترِ

---

(١) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١١٥، الكتبي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٢١.

(٢) شوقي ضعيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٣.

(٣) ورد البيتان الأول والثالث في الأصفهاني، الإنمائي، ج١٣/ص ١١٨، ووردت الأبيات، الحصري، زهر الآداب، ج٢/٦٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله، وركب، فعاده مرة ثانية[١] وثالثة[٢].

ويمدح الشاعر كريماً، ويصفه بالحكمة والروية في معاملته يقول:

صادفتُ منه بليغاً في مواهبهِ تُعطي يدَاه تفاريق الغنى جُملاً

فصاحبه كريم جواد، ويداه تجودان أكثر من غيره، وهو مستمر في عطائه، فكأنه يجمع أجزاء هباته المتفرقة لتتصل مجموعةً بالجُملة.

ويستمر الشاعر في التركيز على كرم ممدوحه وشجاعته، يقول في مدحه للحسن بن عمران[٣]:

ناهضتْ بالحسنِ بن عمرانَ العُلى وتنبَّهتْ لذكائهِ آمالي
سكناتُه عِدةٌ وفي نطقاتِهِ تفريقٌ بين قرائنِ الأموالِ[٤]
لما لجأتُ إلى ذُراك وأشرفتْ عُنق من الحِدثان قلتَ نزال[٥]

أوصل الشاعر ممدوحه إلى قمة المجد والعلى حتى أصبحت العلى تنافسه على مكانته التي وصل إليها، ووصف ممدوحه بالذكاء الذي بعث في نفس الشاعر الأمل في أن يكون له الملاذ والمنقذ، وممدوحه إذا لم ينطق كان سكوته استعداداً للقيام بأمور معينة، وإذا نطق فهو ينفذ ما ينطق به فيجود بأمواله.

والشاعر لجأ إلى ممدوحه بعد أن أشرف على الهلاك مما أصابه من مصائب الدهر، وجعل من ممدوحه يقاتل هذه المصائب وكأنه في حرب معها، فيدفعها بجوده وكرمه.

---

(١) الأصفهاني الأغاني، ج١٣/ص١١٨.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٢١.

(٣) الثعالبي، المنتحل، تحقيق أحمد ابو علي، الإسكندرية، ١٩٠١، ص ٥٢. حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٤.

(٤) ابن المعتز، البديع، ص ١٨، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٣.

(٥) عنق كل شيء أوله، الحِدثان: مصائب الدهر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ركز الشاعر على صفة الكرم في بيان صفات ممدوحيه، وسار في ذلك على نهج غيره من الشعراء السابقين، ولكنه استطاع أن يهب هذه المعاني ما يتناسب وذوق المجتمع العباسي، وقد تكلف لها من الألفاظ ما يناسبها، وكأنه حاول بشاعريته أن يبتكر. هذه الصفات ليضفي عليها ثوباً من الجدة.

وقد يمدح الشاعر من أجل طلب حاجة أو سد فاقة ويعد الاستمناح من الأغراض الشعرية التي تطرق إليها الشعراء وظهر الاستمناح لدى العتابي ممزوجاً بالمدح والثناء على المستمنح ويبدو أن العتابي في أواخر حياته كان معوزاً فأصبح يطلب المعونة من صحبه، بطريقة مؤثرة يحفظ معها ماء وجهه.

وعندما يريد الشاعر أن يطلب عطية من أحد لا يطلبها بشكل واضح أو مباشر، فنراه يستهل شعره بحسن ظنه بصاحبه، والدعاء له يقول[١]:

حسنَ ظني إليكَ أكرمكَ اللهُ دعاني فلا عَدمتَ الصلاحا

ويضمن الشاعر شعره من سنة رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، حتى يبين لصاحبه الذي يستمنحه أنه ممن قصدهم الرسول في حديثه، يقول[٢]:

ودعاني إليكَ قولُ رسولِ اللـ ـهِ إذ قال مفصحاً إفصاحا
إن أردتُم حوائجاً عند قومٍ فَتَنَقوا لها الوجوهَ الصباحا

---

(١) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج٢/ص ٤٦٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٣.

(٢) ابن عساكر، المصدر نفسه، المرجع نفسه، ج٢/ص ٤٦٣. حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد وظف العتابي ما أخذه عن سنة رسول الله ،صلى الله عليه وسلم، توظيفا جيدا يخدم ما يريده، فكأنه اتبع السنة الشريفة في قصده صاحبه الذي جاءه مستمنحا، يقول[١]:

ولعمري لقد تخيرت وجها ما به خاب من أراد النجاحا

وبذلك يكون قد ضمن تلبية صاحبه لطلبه دون أن ينتظر رفضا أو صدودا.

ويحسن الشاعر في استمناح صاحبه، فيكتب له رسالة يختمها ببيتين يقول فيهما[٢]:

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود[٣]

وهو بهذا يبين أن الكريم يجود بكل ما لديه، ولا يرد طلبا لأحد، وإن كان ذاك الكريم في عسرة من أمره. ولكن البخيل مهما كثرت أمواله فإنه يختلق الأعذار والأسباب حتى لا يعطي من ماله. ويشبه الشاعر تلك الأعذار والعلل الواهية التي لا تنطلي على أحد، كقبح العيون الزرقاء على الوجود السود.

وبعد أن قدم الشاعر لاستمناحه بهذه المقدمة، طلب حاجته من صاحبه دون أن يريق ماء وجهه، يقول[٤]:

إذا تكرهت عن بذل القليل ولم تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته فكل ما سد فقرا فهو محمود

---

(١) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج٢/ص ٤٦٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص ٤٩١. حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٥.

(٣) كانت العرب لا تحب، من أصحاب العيون الزرقاء، لأن الروم كانت عيونهم زرقاء وتتخذها رمزا للخديعة والقبح، وزاد العتابي من قبح تلك العيون، لأنه جعلها على أوجه سود.

(٤) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج١٢/ص٤٩١، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطلب الشاعر من صاحبه أن يبذل ولو القليل إلا أن ذلك القليل سوف يسد الحاجة، ويرفع الفقر، وسيكون محموداً في بذله وكان لهذا الشعر الأثر الكبير في نفس صاحبه، الذي شاطره نصف ماله، "حتى بعث له بقيمة نصف خاتمه وفرد نعله"[١].

وبعث العتابي رسالةً أخرى إلى صديق له كان قد ماطله في حاجة طلبها العتابي منه، وقضى الرجل نصف حاجته وماطله ببقيتها، يقول[٢]:

بسطتُ لساني ثم وثقتُ نصفهُ ... فنصفُ لساني بامتداحكَ مُطلقُ
فإن أنت لم تُنْجز عِداتي تَركْتَني ... وباقي لسانِ الشكرِ باليأسِ مُوثقُ

والشاعر بهذا الاستمناح يبدو شديد اللهجة مع صاحبه، وكأني به يقرّعه على مماطلته، فالشاعر بسط لسانه ليمتدح صاحبه الذي وافاه نصف حاجته وماطل في بقيته مما جعله ييأس منه فهو يستحثه على العطاء لينطلق لسانه بالثناء فعلى الممدوح ألا يدع لسان الشاعر مقيداً باليأس.

وقد يظهر الشاعر رغبته في شكر ممدوحه، ويبين أن الشكر من القيم الإنسانية التي لا يستغني عنها الناس فيما بينهم، يقول في ذلك[٣]:

ولو كان يستغني عن الشكرِ ماجدٌ ... لِعزةِ ملكٍ أو عُلُوِّ مكانِ
لَمَا أمرَ اللهُ العبادَ بشكرهِ ... وقالَ اشكروا لي أيُّها الثَقَلانِ

ويبين الشاعر أن الإنسان لا يستغني عن الشكر مهما عظمت مكانته وعزته، فهو محتاج لشكر الناس وحمدهم، ولولا ذلك لما أمر الله عز وجل العباد بشكره. وقال أيضاً في الشكر[٤]:

---

(١) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، ج١٢/ص ٤٩١.
(٢) البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٣٢٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٠.
(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥/ص ٢٢٢٤، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤١٦.
(٤) الأصفهاني، ج١٣/ص ١٠٨، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو كـــانَ للشّـــكرِ شَـــخصٌ يَبِيـــنُ إذا مـــــا تَأمَّلَـــــهُ النّـــــــاظِرُ
لَمَثّلتـــــهُ لـــــكَ حتـــــى تـــــراهُ لتعلـــمَ أنّـــي امـــرؤٌ شـــــاكرُ
ولكنّـــهُ ســـاكنٌ فـــي الضمـــــيرِ يحرّكَـــــهُ الكَلِـــــمُ الســـــائرُ

يتمنى الشاعر أن يكون الشكر على صورة شخص يراه الجميع ولكنه يستطيع أن يُعـــبّر عن هذا الشكر الذي يسكن أعماقه عن طريق الكلم السائر.

الاعتذار والعتاب:

مزج الشاعر مديحه بالاعتذار، وطلب العفو من ممدوحه، فقد وقف العتابي قصائد بعينها على الاعتذار ومن ذلك اعتذاره لهارون الرشيد بعد أن مدحه في الرائية التي مطلعها[١]:

ماذا شجاكَ بحوّاريـــن مـــن طَلَـــلٍ ودِمنَـــةٍ كشـــفتْ عنـــها الأعـــــاصيرُ

وقول الشاعر جاء معتذراً للخليفة بعد أن عاتبه في ثورة الوليد بن طريف التغلبي، وهـــو من قبيلة الشاعر، يقول[٢]:

إن كان منّـــا ذوُو إفـــكٍ ومارقـــةٌ وعصبـــةٌ دينُـــها العـــدوانُ والـــــزّورُ

والشاعر يقصد ابن طريف ومن معه، ويبين أنه لم يكن راضياً عن فعلتـــهم، فيدعوهـــم بأصحاب الإفك والعدوان، وأنهم خرجوا عن الدين بثورتهم على الخليفة، ولعله قال ذلك إرضاءً

---

[١] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٢٣، وانظر حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٩.

[٢] الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣، ١٢٣. وانظر حلاوي، المرجع نفسه، ٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للخليفة الذي قاطعه بعد وصلٍ ومودة. ويمضي الشاعر ليؤكد ولاءه وولاء الكثيرين من قبيلتـــه للخليفة يقول[١]:

فـــإنّ منّـــا الـــذي لا يُســـتحثّ إذا ... حُثَّ الجيـــادُ وحازتـــها المضـــامير[٢]
ومـــن عرائقـــهِ الســـفّاحُ عندكـــم ... مُجرَّبٌ مـــن بـــلاءِ الصـــدقِ مَخبـــورُ
الآن قد بَعُدِتْ في خطـــوِ طـــاعتِكم ... خُطـــاهم حيـــثُ يحتـــلُ الغشـــامير[٣]

ويبين الشاعر إخلاص قبيلة تغلب للخليفة فمنها الرجال المخلصون الأوفياء له، ويعنـــي يزيد بن مزيد الشيباني، وهو من ربيعة، وهشام بن عمرو التغلبي، وهما من القادة الذين أخمدوا الكثير من الثورات، والشاعر يعتذر مرّة ثانية للخليفة، يقول[٤]:

جعلتُ رجاءَ العفو عُـــذراً وشُـــبتهُ ... بهيبـــةِ إمّـــــا غـــــافر أو معـــــاتبِ
وكنتُ إذا ما خفـــتُ حـــادثَ نبـــوةٍ ... جعلتكَ حصنـــا مـــن حـــذار النّوائـــبِ

فالشاعر يرجو العفو من الخليفة، ولكن هذا الرجاء خالطته هيبة الشاعر من الخليفة، وهو يرجو أن يكون إما غافراً لذنوبه أو معاتباً له، ويبين الشاعر فضل الخليفة عليه، فهو الذي يمنحه الأمان والطمأنينة، حتى صار كالحصن الذي يحتمي فيه من نوائب الدهر ويشكو الشاعر هجران الخليفة له وصدوده عنه يقول[٥]:

فأنزلَ بيَ هِجرانَك اليـــأسَ بعدمـــا ... حللتُ بـــوادٍ منـــك رَحْـــب المشـــاربِ
أظلُّ ومرعـــــايَ الجديـــبُ مَكانـــهُ ... وآوي إلـــى حافـــاتِ أكـــدرَ نـــــاضبِ
ولم يثنِ عن نفسي الردى غيرِ أنـــها ... تَنـــوءُ ببـــاقٍ مـــن رجـــائكَ ثَـــــائبُ
هي النفسُ محبوسٌ عليك رجاؤُهـــا ... مقيـــدةُ الآمـــــالِ دون المطـــــالب

---

(١) الأصفهاني،المصدر نفسه، ج١٣/٢٣، وانظر حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٩.

(٢) المضامير: جمع مضمار، وهو الموضع الذي تضمر فيه الخيل.

(٣) الغشامير: من الغشمرة وهي التهضم والظلم، والغشامير: الذين يركبون رؤوسهم في الحق وفي الباطل.

(٤) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٤. حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٨٥.

(٥) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص٦٣٤. حلاوي،المرجع نفسه، ص ٣٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهجران الخليفة، كان سبباً في يأس الشاعر، بعد تعود الودّ من الخليفة، ويصور نفسه وقد أصبح مرعاه جديباً، فيلجأ إلى بئر عكرةٍ الماء، وهذا كله ناتج عن حزنه ويأسه بسبب هجـــران الخليفة، ولم يتبق لنفسه سوى أن تموت، ولكنها تأمل أن تنال العفو والمغفرة عما بدر منها.

والشاعر يستعطف الخليفة بطريقة إنسانية، فالإنسان لا ينبغي أن يحاسب صديقه على كل هفوة يرتكبها، بل ينبغي أن يتوقع الأخطاء من أخيه، وأن يعفو عنها وينساها، وهو قد يكون مع كل هذا مظلوماً، ولكنه لا يشتكي هذا الظلم، ولا يتبرم به، وإنما ينتظر الرضا، ويتوقعه ويصبر على ذلك لأمله في العفو، فيقول[١]:

وتحتَ ثيابِ الصبرِ مني ابنُ لوعـــةٍ يظـــلُّ ويُمســـي مُســـتَلين الجوانـــــبِ

ويعود الشاعر ليؤكد أنه نال عقوبات زلاته، يقول[٢]:

فتىً ظفـــرتْ منـــهُ الليـــالي بزلّـــةٍ فـــأقلعنَ عنـــهُ داميـــــاتِ المخـــــالبِ
حنانيكَ إني لم أكـــن بعـــتُ عِـــزةً بُـــذلٍ وأحـــرزتُ المنـــى بـــــالمواهبِ
فقد سُمتني الهجران حتـــى أذَقتَنـــي عقُوبـــةَ زلاّتـــي وســـــوءَ منـــــاقبي

والشاعر فتى لم تعرف نفسه الذل، وهو يطلب الرحمة من الخليفة، دون أن يبيـــع عـــزة نفسه بذل، وقد أحرزها بما تمتع فيه من مواهب أوصلته لمكانته، ولكن الليالي أوقعته بزلة حتى نال عليها عقوبة من الخليفة، وهي هجران الخليفة له وإبعاده عنه.

ويبين الشاعر حاجته إلى صداقة صاحبه وحبه، فيمضي بنا في موكب المعاني النـــادرة والأسلوب الرفيع في التعبير عما اختلج في نفسه من شوق للقاء صاحبه يقول[٣]:

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٤، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٨٥.
(٢) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص٦٣٤. حلاوي،المرجع نفسه، ص ٣٨٥.
(٣) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص٦٣٤. حلاوي،المرجع نفسه، ص ٣٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأَشعَثُ مشتاقٍ رمى فـــي جفونـــه غريبُ الكرى بين الفجاج السباســـب[١]
سَحَبْتُ له ذَيْلَ السُّرى وهو لابـــسٌ دُجى الليل حتى مَجَّ ضـــوء الكواكـــب
أمات الليالي شـــوقه غـــير زفـــرة ترددمـــا بيـــن الحشـــى والـــترائب[٢]
ومن فوقِ أكوارِ المـــــهارى لبانـــةٌ أُحِلَّ لـــها أكـــلُ الـــذّرى والغـــوارب[٣]

والشاعر يصور نفسه في رحلة شاقة استمرت ليالي طويلة، ويصور مـــا واجهـــه مـــن متاعب في هذه الرحلة علّه في ذلك يحظى بالعفو من صاحبه، فقد قطع رحلته إلى الرشيد، فكابد ما كابد من مشقة وتعب، ووصل الليل بالنهار حاملاً حاجته وأمله في عفو الرشيد، وهو فـــوق رحل ناقته متوجهاً بها إلى مبتغاة هارون الرشيد. والشاعر في تلك الأبيات كان تقليديـــاً، فـــي وصف رحلة الشاعر في سبيل الوصول لممدوحه.

ويُظهر الشاعر حبه للخليفة، ويصف له ذلك الحب الذي لم يكن لحاجة أو منفعة، ولذلـــك لم يعلن عن حبه له، ولم يكشفه لأحد من أصحابه يقول[٤]:

وكلُّ فتى عاداتـــــه قصـــر شـــوقه وطي الحشى دون الـــــهموم العـــوازب
يُسيرُ الهوى لم يبـــــده نعـــت فرقـــه صراخاً ولم تســـــمع بـــه أذن صـــاحب

---

[١] الكرى: النعاس، السباسب: جمع سبسب: الأرض البعيدة المستوية.

[٢] الترائب: جمع تريبة: العظمة من الصدر أو أعلى الصدر.

[٣] أكوار: جمع كور: رحل الناقة، لبانة: الحاجة من غير فاقة الغارب: الكاهل، ما بين الظهر والسنام.

[٤] الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٦٤ وانظر حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد أن كشف حبه للخليفة، يعود ليصف حاله وحال الركب في رحلته للخليفة يقول[١]:

إذا أدّرعَ الليلُ انجلى وكأنهُ ... بقيةُ هِنديٍّ حُسامِ المضاربِ[٢]

بركبٍ ترى كسرَ الكرى في جُفونهم ... وعهدَ الليالي في وجوهٍ شواحبِ

فكأن الليل قد أصبح غطاءً يلبسه الشاعر ليستتر، ذلك لطول سيره بالليل، وفي نهاية الرحلة المتعبة، كان جسده قد أصبح نحيلاً ضعيفاً ضامراً من شدة العناء والسهر، حتى شبه جسده النحيل ببقية باقية من سيف هندي قد بَلى طرفه من شدة الضرب به، وصور حال الركب ومن يرافقه في رحلته، فحالهم ليس بأفضل من حاله، فقد أعياهم التعب، وذبلت جفونهم من قلة النوم وشحبت وجوههم من تعب الرحلة، والشاعر في تصوير حاله بهذه الصور يأمل أن يُدخل الرحمة والشفقة إلى قلب الخليفة، ليعفو عن زلاته.

وكان من المتوقع أن يصور الشاعر نفسه بهذا الشكل، فقد بالغ في وصف حاله بعد غضب الخليفة عليه، وبالغ في تصوير ألمه وحزنه لفراقه عنه، وفي الوقت ذاته بالغ في تصوير فضل صاحبه عليه، ومن الطبيعي أن ينسى المُعتذر شخصه إلى جوار الغاضب عليه، وأن يعطي من نفسه ما يستطيع، وأن يتألم كثيراً، ويمدح كثيراً في شيء من المبالغة المقبولة التي تقبلها النفس، ويقبلها الذوق.

ويستمر الشاعر في اعتذاره للخليفة، فدخل سراً مع المتظلمين بغير إذن، ومثل بين يدي الخليفة معتذراً، يقول[٣]:

---

(١) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص ٦٦٤، وانظر حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٥٨.

(٢) ادّرغ الليل: دخل في ظلمته، كأنه تدرعها واستتر بها.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١١، وانظر، حلاوي، شعر العتابي ٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخضني المقامَ الغمرَ إن كان غرّني ... سناخُلّبٍ أو زلّتِ القدمانِ
أتتركني جَدبَ المعيشة مُقتراً ... وكفّاك من ماءِ الندى تَكُفّانِ
وتجعلني سهمَ المطامعِ بعدما ... بللتَ يميني بالندى ولساني

فالشاعر يلتمس الأعذار لنفسه، فقد كانت نتيجة اغتراره بأمور لا تجدي ولا تنفع، ويبين آلامه التي كانت قد لحقت به بعد غضب الخليفة عليه، سواء أكانت هذه الآلام معنوية أم مادية، ويؤكد الشاعر صفة الجود لدى الخليفة، ويُظهر حاجته لكرم الخليفة وعطفه.

ويعتذر الشاعر في مقطوعة أخرى، ويطلب العفو من الخليفة، يقول[1]:

رحلَ الرّجاءُ إليك مُغتربـاً ... حُشدت عليه نوائبُ الدهر
ردّت إليك ندامتي أملي ... وثنى إليكَ عِنانَه شُكري
وجعلتُ عتبك عتبَ موعظةٍ ... ورجاءُ عفوك مُنتهى عُذري

وعلى الرغم من قصر الاعتذار إلا أن الأبيات حشدت معاني كثيرة وطريفة، فاعتذاره يبين براعته في الإتيان بالمعاني الدقيقة المعبِّرة عما يجول في خاطره، فتضرعه وإظهاره لندمه والتماسه العفو منه يبين ضعفه وخوفه، ويرجو من صاحبه أن يصفح عنه فيرفع من شأن صاحبه حين جعل عفوه عنه منتهى غايته، بعد أن جعل رجاءه وأمله في عفو الخليفة مرتحلاً إليه وكأنه اغترب من بلد لآخر، وهذا الرجاء كان محملاً بنوائب الدهر وعثراته، وعتاب الخليفة إليه كان موعظة يعظ فيها الشاعر، فرسم الشاعر بذلك هالة وهيبة واضحة لشخص الخليفة، ومثل هذه الصور تشي بالمكانة التي كان يتمتع بها الخليفة في نفس الشاعر.

---

(1) الحيوان، ج٣/ص ٤٨٣، والبيتان، ٢، ٣ ابن المعتز، طبقات الشعراء ٢٦٣. ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١/ص ١٣٩، وانظر، حلاوي شعر العتابي، ص ٤٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر في اعتذاره للخليفة يتّبع أصولاً لفن الاعتذار، فابن رشيق يبين كيفية الاعتذار للخلفاء بقوله: "إن الاعتذار إلى الملوك لا ينبغي أن تأتي إليه من باب الاحتجاج، وإقامة الدليل، وإنما ينبغي أن تسلك إليه باب التضرع، والدخول تحت عفو الملك"[١].

والشاعر كان مدركاً لهذا الأمر، وظهر ذلك في اعتذاره لهارون الرشيد، فلم يكن يلجأ في اعتذاره للخليفة على الإتيان بالدليل أو الحجة، وقد قال ذلك صراحة كما يبدو في قوله[٢]:

لا تـــرجُ رجعـــةَ مذنـــــبٍ خلـــــطَ احتجاجـــــاً بـــــاعتذار

فالاعتذار عنده، كان محاولة لتبديد غضب الخليفة الناتج عـــن زلاتـــه أو عـــن وشـــاية الحاقدين، أو الناتج عن تقصيره في بعض الأمور، فسلك بذلك باب التضرع، واســـترحام مـــن يطلب العفو منه، واعترافه بذنبه دون أن يقدم دليلاً على براءته، علّه بذلك يسترضي صاحبـــه، ويستبقي وده.

ويعتذر الشاعر عن تقصيره في مساجلة فيقول[٣]:

ولا عار إن قصّـــرتُ دون مـــبرز شـــأوُ النـــاس قبلـــي ســـعيهُ وشـــأني
وإني كمن جارى جـــواداً بمقـــرفٍ قوائمَـــــهُ مَشـــــكولةٌ بجِـــــران

واعتذار الشاعر عن هذا التقصير دليل تواضعه على الرغم من شهرته في العلم والأدب، شأنه في ذلك شأن من سبقهم من قبل، ويصوّر الشاعر نفسه في هذه المساجلة وكأنـــه يســـابق فارساً يمتطي فرساً أصيلاً، لا يستطيع مجاراته.

---

(١) ابن رشيق، العمدة، تحقيق محي الدين الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٤، ج٢/ص١٢٧.

(٢) المبرد، الكامل، ج٣/ ص ١٥٠٢، ط١، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسســـة الرســـالة، بـــيروت، ١٩٨٦، ج٣/ص١٥٠٢، وانظر، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٥.

(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١، ج١/ص ٩٠. وانظـــر، أحمـــد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر في عتابه للمأمون يبدو غاضباً إلى درجة التعنيف حين صارت له الخلافة، فقد وفد الشاعر إلى الخليفة المأمون فاحتجب عنه، ولم يأذن له بالدخول فقال له معاتباً[١]:

ما على ذاكَ افترقنا بِسْندا ... نَ ولا هكذا عَهدنا الإخاءَ
لم أكنْ أحسبُ الخلافةَ يَزدا ... دُ بها ذو الصفاء إلاّ صفاءَ
تضربُ الناسَ بالمثقفةِ السُمـ ... ـرِ على غَدْرِهم وتنسى الوفاءَ

يعاتب الشاعر المأمون لنكثه وعده له، بعد أن طلب منه أن يفد إليه، وعتاب الشاعر تظهر فيه القسوة، عندما اتهمه بعدم الوفاء بالعهد، ونسيانه العلاقة التي كانت تربطهما معاً، والشاعر يتعجب من تغير أطباع المأمون بعد أن آلت إليه الخلافة، وكان يتوقع أن يزداد صاحب الطباع الحميدة تمسكاً بها حين يصبح خليفة. ويُظهر في البيت الأخير عدم رضاه عن مقتل الأمين ونكث عهد الرشيد[٢]. وعاتب الشاعر عمرو بن مسعدة حين بلغه أن الأخير قد سعى به لدى المأمون فكتب إليه معاتباً[٣]:

قد كنت أرجو أن تكون نصيري ... وعلى الذي يبغي عليّ ظهيري
وطفِقتُ آملُ ما يُرَجّى سِيبُهُ ... حتى رأيتُ تعلّقي بغرور
فحفرتُ قبرك ثم قلتُ دفنتُه ... ونفضتُ كفّي من ثرى المقبور
ورجعتُ مفترياً على الأمل الذي ... قد كان يشهد لي عليك بزور

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢/ص ١٠٠، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٢، وانظر حلاوي، شعره، ص ٣٨٤.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٢.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥/ص ٢٢٤٥، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبلغ الشعر عمراً فركب من وقته إلى العتابي في موكبه حتى اعتذر له[١]. وتظهر روح الشيخ الذي لم يتبق في صدره متسعٌ للسكوت عن أخطاء الآخرين، ويبدو عتابه جافاً وقاسياً، فقد بالغ الشاعر في عتابه حتى غدا كالهجاء، فالشاعر يُظهر دهشته مما بدر من صاحبه الذي كان يعتبره نصيراً له، وظهيراً له على أعدائه وحاسديه، وكان يأمل من صاحبه الخير الكثير لأنه ممن يعملون المعروف ويجزلون العطاء، ولكن هذا كله كان أملاً في غير محله فقد غرَّه صاحبه، وأدرك الشاعر أنه كان متعلقاً بسراب ولشدة يأس الشاعر من صاحبه ومما كان يرجوه منه، نرى الشاعر قد حاول نسيان صاحبه فدفنه، ونفض كفيه من تراب قبره، ثم جعل أمله في صاحبه وكأنه شاهد زور لم يطلعه على حقيقة صاحبه.

ويعاتب الشاعر في شعر آخر صديقاً له. وقد أورد ابن قتيبة الخبر بقوله:

"وقرأتُ في كتاب الهند: من علاقة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً، ولعدو صديقه عدواً"[٢].

ثم أورد ما قاله العتابي في ذلك يقول[٣]:

تـودُ عَـدوُّي ثـمَ تزعُـمُ أننـي ... صديقُكَ إن الـرأيْ عنـكَ لَعَـازبُ[٤]
وليسَ أخي مَنْ ودّنـي رأيَ عينـهُ ... ولكنْ أخي من ودّنـي فـي المغـايبِ
بلوتُك في أشـياءَ منـها منحتنـيْ ... أمـاني مَجّـاجٍ وقيـلَ مُخـالبِ[٥]

---

[١] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥/ص ٢٢٤٥، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٠.

[٢] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣/ ص ١٠، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٠٩.

[٣] ابن قتيبة، المصدر نفسه، ج٥/ص٢٢٤٥.

[٤] عزب: بَعُد.

[٥] مخالب: مخادع، من خَلَب: خدعه وفتن قلبه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويُظهرِ الشاعر في عتابه الحدة، وشدة غضبه من صديقه حتى غدا عتابه مختلطاً بالهجاء، فقد وصف صاحبه بصفات غير جيدة. كالخيانة، والخداع، والتملّق، وقد امتحنه الشاعر في أشياء لم ينل منها سوى الأماني والوعود الكاذبة المخادعة.

ويعود الشاعر ليؤكد صفات الصديق الحميدة، ويجرّد صديقه من تلك الصفات يقول[١]:

ومَنْ مالُه مالي إذا كنتُ معدماً ومالي له إن عضّ دهرٌ بغارب
فما أنتَ إلا كيف أنت ومرحباً وبالبيض رواعٌ كروغ الثعالبِ[٢]

يرى الشاعر الصداقة رابطاً يربط بين الأصدقاء، تتوطد أواصرها وتقوى أكثر من دائرة العلاقات الاجتماعية، ويفترض الشاعر وجود إطار موحد من المشاعر ضمن تلك الدائرة، ولكن صديق الشاعر لم يكن كما ينبغي، فعاتبه عتاباً مرّاً، وكانت المعاني التي دار عليها عتابه مع صديقه مادية ومعنوية، وعاتب العتابي الشاعر منصور النمري بعد أن وشى به الأخير لدى هارون الرشيد فقال في عتابه[٣]:

أصحبتُكَ الفضلَ إذْ لا أنتَ تعرفهُ حقاً ولا لكَ في استِصْحَابهِ أربُ

ويظهر الشاعر في عتابه لصديقه شيئاً من الألم الشديد من نكران الجميل الذي يتصف به صديقه، فقد أوصل العتابي صديقه إلى مكانة لم يكن ليصلها دون مساعدته، وعلى الرغم من ذلك لم يحفظ صديقه المعروف، ولم يحافظ على علاقته الجيدة بالشاعر، ويؤكد الشاعر فضله على صاحبه، فكل ما وصل إليه صاحبه من مكانة كانت بسببه وإن أنكر صديقه ذلك.

---

(١) البهيقي، المحاسن والمساوئ، ج٢/٢٠٦، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩١.

(٢) راغ الثعلب: ذهب بمنة ويسره في سرعة وخديعة، يقال هو أروغ من ثعاله: أشد مكراً منه.

(٣) ابن طيفور، كتاب بغداد، ص ٦٩-٧٠، الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١١٨، حلاوي شعر العتابي، ص ٣٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر في عتابه أكد مُثلاً أخلاقية توجب أن تكون فيمن عاتبهم. وكان الشاعر شديد اللهجة في عتابه خاصة في العتاب الموجه لأصدقائه الذين كانت تربطه بهم علاقات حميمة، ولذا جاء عتابه في معظمه ممزوجاً بالألم والحزن لدهشة جفاء أصحابه، وإخلالهم بوعودهم له، ولذا يمكن القول إن موضوعات عتابه كانت في معظمها تُصوِر أموراً اجتماعيةً من شؤون الحياة اليومية التي تناولت جانب المعاملات والعلاقات الاجتماعية بين الناس. ويعاتب الشاعر شخصاً كان يزوره ولكنه في كل مرّه لا يجده يقول[1]:

قد أتيناكِ للسلامِ مراراً ... غيرَ مَنٍّ مِنا بذاكَ المزارِ
فإذا أنتَ في استتاركِ بالليـ ... ـلِ على مِثلِ حالِنا بالنهارِ

وبهذا يؤكد الشاعر لصاحبه بأنه كان يأتيه للزيارة، ولكن صاحبه كان يحتجب عنه دائماً، فلا هو ظاهر في النهار ولا في الليل، حتى غدا استتاره بالليل كظهور الناس في النهار.

الغزل:

نظم العتابي في الغزل كغيره من الشعراء، ويمكن تقسيم غزله من خلال ما وصلنا من شعره إلى: تقليدي، نظمه في مطالع قصائد المديح حين أراد المحافظة على عمود الشعر العربي، وغزل عذري قاله في مناسبات طارئة، أو قاله متغزلاً ببعض الجواري.

ويورد العتابي في غزله بكاءه على الشباب وذكره للشيب، ويتحدث عن طيف الخيال كذلك، وجاءت هذه المجالات متداخلة ضمن قصيدة الغزل، ولهذا آثرت معالجتها في إطار واحد لاتصال أسبابها، والقدر الذي بين يدينا من المقطوعات والقصائد قليل بالنسبة لشعر غيره من الشعراء في هذا الغرض، ولكنه كافٍ ليعطينا صورة عن شعر العتابي في هذا الغرض.

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص ٧٤٠، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان العتابي قد نظم في بداية قوله الشعر أبياتاً في الغزل عرضها على بشـــار، يقــول فيها[١]:

أيصــدِفُ عــن أمامــة أم يُقيـــمُ ... وعــهدُك بالصبــا عـــــهدٌ قديـــمُ[٢]
أقــولُ لمســتعار القلــب عفّـــــى ... علــى عزماتــه الســـيرُ العديـــم[٣]
أمــا يكفيــك أن دمــوع عينـــــي ... شــآبيبٌ تفيـــــض بـــها الـــهمومُ
أشـــيم فـــلا أردّ الطـــرف إلاّ ... علــى أرجائـــــه مـــاء ســـجومُ[٤]

وعلى الرغم من أن العتابي قال ذلك الشعر في بداية حياته، إلا أنه يُظهر فيه أن عـــهده بالصبا أصبح قديماً، وكأن العمر قد تقدم به.

وقد بدأ الشاعر غزله باستفهام يفيد التعجب، فكيف يودّع محبوبته ويعرض عنها أم كيف يبقى، وقد أصبح عهده بأمور العشق قديماً، ويقول الشاعر وكأنه يخاطب نفسه، إن قلبــه الــذي اشتعل ناراً قد طمس الزمن على عزماته وقدرته على تحمل مشاق الهوى، فدموع عينيه تفيــض بسبب كثرة الهموم، ولا يلبث أن ينظر بعينه وقد غرقت في دموع غزيرة منصبة، ولعل الشاعر يقصد بتلك الهموم، هموم العشق ولوعة الهوى. ويبدو الشاعر في ذلك الشعر مقلداً للمأثور من الشعر الجاهلي والأموي في التعبير عن المعاني التي ترتبط بالبادية كقوله (عفىّ على غرماتـــه السير) وقوله (أشيم) و(سجوم)، ولعله كان متأثراً بنشأته الأولى، وقد كانت نشأة بدوية.

والشاعر اتخذ في غزله عدة أسماء للنساء اللواتي يوجه لهن النسيب، ولعل ذلك يدل على أن الشاعر لم تكن له محبوبة حقيقية يقول فيها النسيب، ولعل الاســم كــان رمــزاً لجــأ إليــه لظروف معينة. وفكرة تعدد أسماء المحبوبة، أصبحت من الأمور الفنية التي يعتمدها الشــعراء،

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١١٢، حلاوي، شعر العتابي ص ٤١٥.

(٢) يصدف: يعرض عن، يميل عن، ابن منظور، لسان العرب، مادة صدف.

(٣) عفّى: طمس، مادة عفا.

(٤) أشيم: انظر، اتطلع، سجوم: كثير، مادة شيم ومادة سجم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فأصبحت فكرة الكتمان، والموارية متكأ يتكيء عليه الشعراء، ومجالاً للتفنن، فالشاعر يعتمد أي اسم ليكني به عن محبوبته حقيقية كانت أم خيالية"[١].

ومن تلك الأسماء التي وردت في غزل المحبوبة اسم سليمى يقول[٢]:

رمى القلب يأسٌ من سُليمى فأقصدا وكان بها هيّامةُ القلبِ مُهتذا

والعتابي يظهر يأسه من حب سُليمى التي بَعُدت عنه، وقطعت حبل الوصل، وكأنه سهم أصاب مقتل قلبه المتيّم، الذي هام بها عشقاً ويعود الشاعر ليذكر اسم سُليمة في غزله يقول[٣]:

عرفتُ مصيفاً من سُليمى ومَرْبعاً بذروةِ نمّودٍ فأكناف بلتعا[٤]
بلادٌ تشتّاها الوحوش وترتعي قوماً من البُهمى وَجاراً مدعدعاً[٥]
ترودُبها الأُدْمُ المتالي وربما تراها مَحلاً من أُناس ومجمعا[٦]

ويُظهر الشاعر في هذا الغزل النهج التقليدي الذي سار عليه الشعراء منذ العصر الجاهلي. فيصف ديار محبوبته سليمة التي خلت من أهلها وأصبحت مراعي للوحوش والحيوانات بعد أن كانت تلك الديار من أجمل الديار التي كان يرتادها في الصيف وفي الربيع، وبعد أن خلت من ديارها أصبحت مرتعاً للوحوش البرية التي ترتعي منها العشب الذي يملأ المكان، ومن الحيوانات التي ترعى فيها البقر وأولادها، بعد أن كانت تجمع الناس وأهل محبوبته.

---

(١) عبد الكريم اليافي، دراسات فنية في الأدب العربي، ط١، ١٩٦٣، ص ٨٧.
(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٦١، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٤.
(٣) المصدر نفسه، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٧.
(٤) نمود، وبلتع: أسماء مواضع، أكناف: جوانب.
(٥) الجار: ما ارتفع من النبت، البهمة: نبت يشبه الشعير، المدعدع: المملوء ما يملأ المكان.
(٦) الأدم المتالي: البقر الشديدة السمرة، وهي أمهات البقر التي تتلوها أولادها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكر الشاعر بعض أسماء النباتات التي تعيش في الصحراء، واستخدم أسماء لحيوانات تعيش في الصحراء كذلك، وكأن الشاعر بهذا الشعر من شعراء العصر الجاهلي الذين عاشوا في الصحراء، ولعل ذلك يعود إلى أن الشاعر كان من أهل البادية.

ويذكر الشاعر اسماً آخر لمحبوبته في غزله، وقد ورد اسم العامرية في مقطوعتين غزليتين يقول في إحداهما: [١]

تجنّب دارَ العامرية إنها ... تُكَلِّفُه عهد الصِّبا والكواعب
منازل لم تنظر بها العينُ نظرةً ... فتُقلِعَ إلا عن دموعٍ سواكبِ
ولا وصل إلا أن تُعاج مَطِيَّةٌ ... على دارس الأعلامِ عافي الملاعبِ

والشاعر سار في هذا الشعر أيضاً على النمط التقليدي للقصيدة، فذكر دار محبوبته التي خلت من أصحابها، فيثير ذلك في نفسه الشجون والبكاء، ويشتاق لوصل أحبته، فيعطف بمطيته على ما تبقى من آثار منازلهم التي عفت مع الزمن.

ويشكو الشاعر من محبوبته العامرية التي لم ترحمه ولم يرق قلبها على ما أصابه من هموم وألم في حبه لها، يقول[٢]:

أما راعَ قلبَ العامريةِ أنني ... غدوتُ وموجوعُ السَّقام قريني
أكاتمُ لوعاتِ الهوى ويَبِينُها ... تخلُّلُ ماءِ الشوقِ بين جفوني
ومطروفةُ الإنسانِ في كلِ لوعةٍ ... لها نظرٌ موصولةٌ بحنينِ[٣]

يحاول الشاعر استعطاف محبوبته، وإثارة حزنها عليه، وعلى ما أصابه من كتمانه الهوى، حتى غدا لا يفارقه الألم والمرض ويصف الشاعر حاله، ونظرته الحزينة، لعل ذلك يثير

---

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ١٢٤، حلاوي شعر العتابي، ص ٣٨٩.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٥، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٧.

(٣) مطروفة الإنسان، يقصد العين التي لا تنظر إلا إلى المحبوب، يقال فلان مطروف بفلان إذا كان لا ينظر إلا إليه، ابن منظور، لسان العرب، مادة طرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حزن محبوبته، ويظهر في هذا الشعر أثر الصنعة والتجديد في المعاني التي عبّر فيها عن أشواقه.

ويذكر الشاعر في مقطوعة غزلية اسم محبوبته فيكنيها بأم العلاء يقول[١]:

أعاليَ أختَ المالكيين نولي ... بما ليس مفقوداً وفيه شفائيا
أصارمتي أمُ العلاءِ وقد رمى ... بيَ الناسُ في أمِ العلاء المراميا
أيا أختي لأصبحن بمضلةٍ ... تشيبُ إذا عُدت على النواصيا

ويخاطب الشاعر محبوبته، وينادي عليها بأخت المالكيين، ويطلب منها أن تشاركه في هواه الذي عدّه شيئاً ثميناً غير مفقود، وعدّه شفاءً له من كل سقم، وينادي الشاعر محبوبته التي هجرته بقوله: "أهاجرتي"، يقول عن الناس قد اتهموه في حبه لأم العلاء بتهم باطلة، ويرد الشاعر عليهم بأنه تقدم في العمر حتى شاب شعر ناصيته.

وأنشد الشاعر في رده على جارية ليحيى بن خالد البرمكي، وكانت قد أنشدت بيتا من الشعر[٢]:

إذا شئتَ أن تقلي فَزُرْ متواتراً ... وإن شئت أن تزداد حُبّاً فزُرْ غِبّا[٣]

فهي تدعوه لزيارتها، زيارة متقطعة حتى يزداد حبها له. فرد عليها بقوله، وكان اسمها خلوب[٤]:

بقيتُ بلا قلبٍ لأني هائمٌ ... فهلْ من معيرٍ يا خلوبُ بكم قلبا
حلفتُ لها بالله إنكِ مُنيتي ... فكوني لعيني حيثُ ما نظرتُ نُصبا
عسى الله يوماً أن يُرينكِ خالياً ... فأحظى بلحظٍ من محاسِنِكم قُربا

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠/ص ١٥٨، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٢١.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ص ٤٨٩، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٨٦.
(٣) يقال جاء غبّه: أي يوماً بعد يوم، قلى فلانا: أبغضه وهجره، تواتر الشيء: تتابع.
(٤) الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، /ص ٤٨٩، حلاوي، نفسه، ص ٣٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قال بيتــاً مــا ســمعتُ بمثلــهِ خلى مــن الأحــزان لــم يــذقْ حُبّــا
إذا شئتَ أن تقلــى فَــزُرْ متواتــراً وإن شئتَ أن تــزادَ حبّــاً فــزر غبّــا

يخاطب الشاعر الجارية، ويقول إنه بقي بلا قلب لأنه هائم في الهوى الذي أفنــى قلبــه، ويطلب منها أن تعيره قلباً خالياً من هموم الهوى والعشق، ويبدو الشاعر حزيناً، متمنياً رؤيــة محبوبته.

ويأتي الشاعر على ذكر طيف محبوبته، وقد زاره في نومه يقول[١]:

صــدّتْ نَــوّارُ فَصــدّ واجتنبنــا وطــوتْ فــأعرضَ دونــها السَّــببا
فكأنــها وصلــتْ بمُقلتــهِ تمثالَــها مــن حيــثُ مــا ذهبــا

فمحبوبته نوار صدت عنه ولم يحاول هو بدوره أن يلح عليها بالتقرب لها، فقطعت بذلك أسباب الوصل بينهما، إلا أن هذا الوصل تبدّى له في منامه، حين رأى طيف محبوبتــه الــذي لازمه ولم يفارقه.

ويذكر الشريف الرضي مقطوعة شعرية للعتابي في طيف الخيال، وعدّه الرضي من جيد الشعر فقال: وجوّد العتابي في قوله[٢]:

ولما استقرَ النومُ في جفــنِ عينيْــهِ ومــاتتْ لــهُ أوصالُــه والمفــاصلُ
رمتْ غمراتُ الموتِ رمياً بنفسِــها وللّيــلِ ســترٌ حولــها متــهادلُ
فأهدى إلينا الليلُ شــخصاً تناســبَتْ إلى الحُســنِ منــهُ صــورةٌ وشــمائلُ
فباتتْ غمامــاتُ النعيــمِ تَجودنــا لــها ديــمٌ حتــى الصبــاحِ ووابــلُ[٣]

٥٤٥٤٩٧

(١) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٦٤، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩١.
(٢) الشريف الرضي، طيف الخيال، تحقيق محمود أبو ناجي، دار التربية للطباعة، بيروت، ص ٥٥.
(٣) الديم: جمع ديمة، وهو المطر الذي يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. الوابل: المطر المستمر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صوّر الشاعر الليل بصورة بديعة، فجعل منه شخصاً يستقر في مكانه، وجعل الأوصال تموت لاستسلامها لنوم، وأهدى الليل للشاعر طيف محبوبته التي جمعت بين جمال الصورة والأخلاق، فبات هو وطيفها في فرحة اللقاء الذي استمر حتى الصباح، وكأنه المطر الرقيق المستمر دون انقطاع.

ويخلط الشاعر في معظم الأحيان الشكوى بالغزل وكأنه في ذلك يعبر عما صار إليه من اليأس والحزن من الناس، وتظهر شكواه، ويتبدى حزنه، وهو يخاطب جارية له، ويحزنه هذا الوداع، يقول[١]:

ما غناءُ الحذارِ والإشفاقِ ... وشآبيب دَمعِك المُهراقِ
ليس يقوى الفؤادُ منكَ على الصدِ ... ولا مُقلتا طليحِ المآقي
غدراتُ الأيامِ مُنتزِعاتٌ ... ما غنمْنا من طولِ هذا العناقِ

يبكي الشاعر على فراق جاريته، حتى غدت دموعه كالمطر المستمر في النزول، وهو غير قادر على ذلك الفراق لأن قلبه لا يحتمله، وقد تعبت عيونه من شدة الحزن والبكاء. وعانى الشاعر كما عانى غيره من المحبين، فجرب مآسي الحب وويلاته، وشكا الفراق، وعدّ هذا الفراق غدرة من غدرات الزمان.

وكان لهذا الفراق أثر في شعور الشاعر باليأس، يقول[٢]:

إن قضى الله أن يكون تلاقٍ ... بعدما قد ترين كان تلاق
هوّني ما عليك واقني حياءً ... لست تبقين لي ولست ببراق
كم صفيين مُتّعا باتفاق ... ثم صارا لغربة وافتراق

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٢-٦٢٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٩.

(٢) الحصري، المصدر نفسه، ج١/ص ٦٢٢-٦٢٣، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن أي تلاق بينهما هو بإذن الله، ولكن لابد لمثل هذا التلاقي أن ينتهي بفراق، ويطلب الشاعر من محبوبته أن لا تجزع لهذا الفراق، لأنه في نهاية الأمر كل تلاق مُنتَه بفراق مُحتّم.

والشاعر مستمر في بث شكواه وحسرته في نسيبه يقول[١]:

رسلُ الضميرِ إليكَ تترى ... بالشوقِ ظالعةً وحسرى[٢]
مُتزجياتٌ ما ينينَ ... على الوجى من بُعدِ مسرى[٣]
ما جفَ للعينين بعـ ... ـدك يا قريرُ العينِ مجرى

ويظهر الشاعر رقة واضحة في هذا الشعر، فالشعر ينساب منه انسياباً في التعبير عن مشاعره اتجاه محبوبته، وقد استُشهد بهذا الشعر على رقة طبع العتابي وأسلوبه الذي امتاز بصناعة مقبولة لا تكلف فيها[٤].

ويشخص الشاعر بصورة طريفة أشواقه التي يرسلها لمحبوبته وقد تعبت من طول السير إليها حتى غدت تغمز في مشيتها، ومع ذلك، فتلك الأشواق مصممة على الوصول، مستمرة في مشيتها لا يثنيها التعب ولا بُعد المسافة.

ويصور الشاعر نفسه دائماً بالباكي الذي لا تجف دموعه أبداً على فراق محبوبته، ومثل هذه المظاهر هي التي ترضي محبوبته، وتقربه منها.

ويستمر الشاعر في تصوير حاله البائسة كما يبدو في قوله[٥]:

فأسلَم سَلِمت مبرّأ ... من صَبوتي أبداً مُعرّى
إن الصبابة لم تدَعْ ... مِنّي سوى عظمٍ مُبرّى
ومدامع عبرى على ... كَبدٍ عليك الدّهرَ حرّى

---

[١] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٠٩ حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٣.
[٢] ظالعة، ظلع السائر: غمز في مشيته وظهر عرجه، الحسرى: المتعبة المعياء.
[٣] المتزجيات، المنساقة، ما ينين: ما يبطئن ولا يفترن، الوجى: الحفا.
[٤] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١٠٩.
[٥] الأصفهاني، المصدر نفسه، ج٣/ص ١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر يدعو لمحبوبته بأن تسلم مما أصابه، فالشوق والهوى سببا له الهزل، ويؤكد أنه دائم البكاء، حتى احترقت كبده من شوقه مدى الدهر.

من خلال ما وصلنا من شعر قاله العتابي في الغزل، نرى أنه كان منوعاً في تناوله لهذا الغرض، فتارة يجعله في مقدمة قصائده التي يمدح فيها وتارة يجعله في مقطوعات غزلية قصيرة، وابتعد الشاعر في غزله عن الفحش، فكان من أصحاب التيار المحافظ آنذاك، وتناول العتابي في غزله معاني عذرية انبثقت من أحاسيس صادقة، فوصف تأثير العيون، وتذلل لمحبوبته، ووصف حال المحب وما يعتريه من شقاء ويأس، ووصف حال المحب وهو يذرف الدموع ووصف تلك الدموع التي يذرفها على محبوبته بأنها دموع متواصلة المسيل، وذلك من إشارات الغزل العفيف عند العتابي.

الوصف:

يتنوع الوصف في شعر العتابي بين وصف الطبيعة ووصف الخمر ومجالسها، ووصف الكتب، وصف العتابي المطر والسحاب في قصيدة أثارت إعجاب النقاد، وبدأ الشاعر واصفاً البرق، يقول[١]:

أرقْتُ للبرقِ يخفو ثم يأتلقْ ... يُخفيهِ طوراً ويبديه لنا الأفقُ
كأنه غُرّةٌ شهباءُ لائحةٌ ... في وجهِ دهماءَ ما في جلدِها بَلَقُ[٢]
أو ثغرُ زنجيّةٍ تَفترُ ضاحكةً ... تبدو مشافِرُها طوراً وتنطبقُ
أو سلةُ البيضِ في جأواءَ مظلمةٍ ... وقد تلقّتْ ظُباها البيضُ والدُرقُ

---

[١] أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، تحقيق الشيخ محمد عبده، محمد محمود الشنقيطي، دار الجيل، بيروت، ج٢/ص ٩، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٨.

[٢] بلق: الفرس كان فيه سواد وبياض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد علق العسكري على وصف العتابي بقوله: "ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب، والقطر، والرعد والبرق، ما أنشدناه أبو أحمد عن نفطويه للعتابي: وذكر الأبيات"[١].

ويبدو الشاعر في وصفه للرعد معتني بالصورة التي بدت واضحة في تشبيهات مختلفة للصور البرق، فقد صور ظهور البرق ولمعانه بعدة صور، فصوره بالصورة الأولى كالفرس السوداء التي لا يوجد في جلدها أي بياض، تظهر غرتها شهباء اللون، وقد جاء الشاعر بالشيء وضده حتى يبرز الصورة بشكل جلي وصوّره في الصورة الثانية، وكأنه زنجية إذا ما ضحكت ظهرت أسنانها البيضاء، وإذا ما أغلقت فمها اختفت، وهو بذلك يعبر عن لمعان البرق الذي يظهر في السماء ليلاً ثم يختفي، والصورة الثالثة للبرق، كالبيض الذي وضع في سلة صنعت من جلد ظبية، مال لونها إلى السواد.

والصور كلها وما تحمله من عناصر اللون والحركة والتضاد، كان الشاعر موفقاً في إيرادها بطريقة جعلت الموصوف يتشخص أمام المتلقي، ويحمل صفات عدّة تقربه للمتلقي.

وبعد أن وصف الشاعر البرق، بدأ يصف السحاب يقول[٢]:

والغيمُ كالثوبِ في الآفاقِ منتشرٌ ... من فوقِهِ طبقٌ من تحتهِ طبقْ
تظنهُ مُصمتاً لا فتْقَ فيهِ فإنْ ... سالتْ عزاليهِ قلتَ الثوبُ منفتقْ[٣]
إن مَعمعَ الرعدُ فيه قلتَ مُنخرقْ ... أو لألأ البرق فيه قلتَ يحترقْ[٤]

ويستمر الشاعر في حشد معانٍ متعددة لإظهار صفات الموصوف، فشبه الشاعر انتشار السحاب في الآفاق، وتراكمه فوق بعضه بالثوب الذي تلاحم نسيجه حتى اصبح مصمتاً

---

[١] أبو هلال العكسري، ديوان المعاني، ج٢/ص ٩. حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٨.
[٢] أبو هلال العكسري، المصدر نفسه،ج٢/ص ٩. حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٨.
[٣] عزالية: يقال ارسلت السماء عزاليها: أي انهمرت بالمطر.
[٤] معمع: صات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا فتق فيه، وإذا ما بدأ المطر ينهمر من السحاب، يصبح الثوب وكأنه انفتق، وكـــأن الســحاب انفتق من شدة انهمار المطر.

وإذا اشتد صوت الرعد كان السحاب كالثوب المنخرق ويستمر الشاعر في إبداع المعاني سعيقة لوصف موصوفه، فإذا لألأ البرق بدا، كأنه النار التي تحرق الثوب وبهذا يقدم الشـــاعر صورة تطابق الموصوف في الحركة واللون والصوت. ويعطي صورة كاملة لصوت الرعـــد ولون البرق، وهطول المطر يقول[١]:

فالرعدُ صهْصَلق والريحُ منْخـــرق ... والـــبرقُ مُؤتلـــق والمـــاءُ منبعـــق[٢]
قد حالَ فوق الربُى نـــورٌ لـــهُ أرقٌ ... كأنـــهُ الوشـــيُ والديبـــاجُ والسُـــرق[٣]
من صفرةٍ بينـــها حمـــراءُ قانيـــةٌ ... وأصفـــرُ فـــاقعٌ أو أبيـــضُ يقـــق[٤]

وتصوير الشاعر لهذه الأحوال، يجعل المتلقي يعيش فيها وكأنه يسمع صـــوت الرعـــد، ويرى لون البرق، ويشعر بنزول المطر. وبرد الريح وهبوبها. فالرّعد يرتفع بصوت شـــديد، والبرق سيظهر متلألئاً في السماء، والمطر يستمر بالهطول بغزارة. وكل هذه الصور حولـــت الربى والأراضي إلى نور له بريق مشتعل، وكأنه الذهب والديباج، اختلطت ألوانها بين الصفرة المحمرة، والصفرة الفاقعة، والأبيض الناصع.

يتحدد

ويصف العتابي الكتب فيقول[٥]:

لنـــا ندمـــاءُ مـــا نمـــلُّ حديثَـــهم ... أمينـــونَ مَـــأمونونَ غِيْبَـــاً وشُـــهّدَا
يُفيدُونَنَا من علمِهِم علمَ مـــا مـــضَ ... ورأيـــاً وتأديبـــاً وأمـــراً مُســـددا

ولكنها في

ووه

حضرة الرشـ

---

(١) أبو هلال العكسري، ديوان المعاني، ج٢/ص ٩. حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٨.
(٢) صهصلق من الأصوات الشديدة، انبعق السحاب: انبثق بمطر غزير ونزل نزولاً شديداً.
(٣) السرق: جمع سرقة، وهي الشقة من الحرير وهي فارسية معربة، الديباج: نوع من الثياب خامة من الحرير، وهي فارسية معربة.
(٤) يقق: شديد البياض.
(٥) النديم، الفهرست، ص ١١، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٦.

(١) النديم، الفهرـ
(٢) النديم، المصدر
(٣) محمد بن ذوؤيب
الدولة العباسية تم
(٤) ابن عبد ربه، العقد

University of Jordan - Central Library Thesis Deposit
All Rights Reserved

كـــأن أذنيـــــه إذا تشـــــوفا قادمـــــةً أو قلمـــــاً محرّقـــــــا

وقد فَطِن الرشيد للخطأ فقال له: قل: "تخال أذنيه إذا تشوفا"[١].

ولعل ما نُسب إليه من لحن في البيت السابق هو من وهم الرواة، فلم يكن العتابي ليخطئ في قاعدة نحوية عامة وبسيطة، ولعل البيت في أصله ليس للعتابي لأنه كما قلت ســـابقاً نســـب للعماني قاله بين يدي الرشيد وأوله تخال[٢].

وله في وصف كريم قوله[٣]:

يجـــود علـــى العفـــاة بكـــل مَـــنٍّ إذا مـــا الســـين شـــح بمـــا يـــــراد[٤]

فإذا انقطع الناس عن كل مَنٍّ وكرم، فهو بينهم جواد كريم، وإذا بخل من كان غنياً ذا مال ومنع من أمواله ما يأمله الناس، كان هو بينهم كريماً جواداً.

الخمريات:

حظي وصف الخمر باهتمام العديد من الشعراء وكان لهذا الفن شعراؤه كأبي نواس الذي طوّر في معاني هذا الغرض من الشعر. ويبدو أن العتابي كان يهيم بمجالس الشراب والغنـــاء

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥/ص ٢٩٧، وانظر أحمد النجار، العتابي، ص ٢٩٧.

[٢] ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج١/ص ٦٧٧.

[٣] الحسيني، نزهة الجليس ومنية الأديب والأنيس، النجف، ١٩٦٨، ج٢/ص ٣٦٧. حلاوي، شـــعر العتـــابي، ص ٣٩٦.

[٤] السين: الغني البخيل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر أنه كتب لمنصور النمري بعد أن تقدمت به السن يبين شوقه للغناء والطرب أو مجالس الخمر، يقول[١]:

تقضّت لُباناتٌ ولاح مشيبُ ... وأشفى على شمس النهار غروبُ
وودعتُ إخوان الصبا وتصرّمت ... غوايةُ قلبٍ كان وهو طروبُ
خلا بيتَ نُدمائي موضع مجلسي ... ولم يبقَ عندي للوصال نصيبُ

ويبدو الشاعر متحسراً على أيام الشباب بعد أن لاح المشيب، وصور الشاعر انقضاء العمر بشمس النهار التي أوشكت على الغروب، ويودع بذلك أصحاب صباه، لأن أيامه انقضت، ولهوه وغواية قلبه قد انتهت. وتذكر الشاعر تلك الأيام التي كان يرد فيها مجالس الشراب، يقول[٢]:

وَرَدْتُ على الساقي تفيضُ وربُما ... رَددتُ عليه الكأسَ وهي سليبُ
ومما يهيجُ الشوقَ لي فَيرُدّهُ ... خفيفٌ على أيدي القيانِ صَخُوبُ
عَطَونَ بهِ حتى جرى في أديمه ... أصابيغُ في لبّاتهنّ وطيبُ[٣]

وهكذا يصف الشاعر كأس الخمر التي كان يرجعها تارةً وتارةً يردّها وهي فارغة من الشراب، فيردها الساقي له على أيدي الجواري اللاتي كن في مجالس الخمر. ممزوجة بعطرهن ومصبوغة بلون قلائدهن.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٥٤ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٨٩.

(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه ج١٣/ص ٦٧٧، المرجع نفسه، ص ٣٨٩.

(٣) اللّبة: موضع القلادة من العنق، أو القلادة نفسها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعود الشاعر في مجلس آخر من مجالس الشرب ينادي على الساقي ويطلب إليه أن يخصّه بأفضل ما عنده يقول[١]:

يا ساقياً خصّني بما تهواهُ ... لا تمزُج أقداحي رعاكَ الله
دعها صرفاً فإنني أمزجُها ... إذ أشربُها بذكر من أهواه

ويطلب من الساقي أن لا يمزج كأسه بالماء، ويدعو له كي لا يفعل. ويطلب إليه أن يعطيه كأس الخمر صافية دون مزج، لأنه عندما يشربها سوف يمزجها بذكرى أحبابه.

وينادي على الساقي مرّة، ويدعوه ليسقيه الخمر مع ندمائه، يقول[٢]:

أيّها الساقي الذي أصبـ ... ـحَ يسَقينا الرحيقا
سقِ ندمائي عقاراً ... واسقِني من فيكَ ريقا
فمُنى نفسي هذا ... نِ صَبوحاً وغَبُوقا

ويصف العتابي الخمر بالرحيق، وبالعقار، ووصفها بالصبوح الغبوق[١]، أي التي تشرب في وقت الصباح، وفي وقت المساء.

وهو يشارك ندماءه بشرب الخمر، حتى تصبح منية نفسه الأولى أن يشربها في كل وقت.

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٢/ص ١٨٦. حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٢٠.

(٢) الرقيق النديم: قطب السرور في أوصاف الخمور، تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦٩، ص ١، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشكوى:

إن الظروف التي عاشها العتابي في عصره جعلته متذمراً شاكياً غير راض عن كثير من الأحداث، حتى أدار شكواه على الزمن والدهر، فقاده ذلك إلى اليأس من الناس والحياة.

والشاعر في هذه الحالة النفسية تتجاذبه مشاعر الحزن والخوف، حتى تخيل أن وطنه وأهله وجيرانه قد رفضوه ونبذوه بقول[٢]:

لفظتني البلادُ وانطوتْ الأكـ ـفاءُ دوني وملّني جيراني
والتَقَتْ حلْقَةٌ عليّ من الدّهـ ـرِ فماجَتْ بكَلكَلٍ وجرانِ
نازعتني أحداثُها مُنْية النفـ ـسِ وهدّت خطوبُها أركاني
خاشعٌ للهموم معترفُ القلـ ـب كئيبٌ لنائبات الزمانِ

يبدو الشاعر حزيناً كئيباً، لأن الدهر التف حوله بنوائبه ومصائبه، والتف حوله كما يلتف الحبل حول عنق الناقة وصدرها.

وصور تلك النوائب، وكأنها نازعته أمانيه، حتى هدّت أركانه فخضع لتلك الهموم، وبات صابر القلب حزيناً على ما أصابه.

ويواصل الشاعر شكواه من الدهر والزمن عله يستطيع التخفيف من حدة القهر والحزن الذي يشعر به، ويرى أن الدهر سبب له المتاعب والآلام يقول[٣]:

ألا قـد نُكِّسَ الدهـرُ فـأضحى حُلـوَهُ مُـرّا
وقـد جربـتُ مَـنْ فيـه فلـم أحمَدهُـم طُـرّا[٤]
فـالزِمْ نفسَـكَ اليـأسَ مِـنَ النـاسِ تعـشْ حُـرّا

---

(١) الغبوق: ما يُشرب بالعشيّ.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٩٨٧ن حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٧، ٤١٨.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ص ٤٩١، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠١.

(٤) الطُّرة: القُصّة من الشعر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم يعد في حياته ما هو جميل حلو، حتى الشيء الجميل غدا مرّا غير مقبول لديه، لأنه جرّب الناس وخبرهم، فلم يتذكر لأحد منهم معروفاً يحمده عليه ولو بمقدار ضئيل، ويطلب من نفسه ومن غيره أن ييأس من الناس حتى يعيش حياته حرّا بعيداً عنهم.

ويمزج الشاعر شكواه من الزمن بشعوره بالغربة والعزلة يقول[١]:

ونازحُ الدارِ ما أنفكّكَ مُغتربـاً ... عن الأحبةِ ما يدرونَ ما حالي
بمشرقِ الأرضِ طوراً ثم مَغربِها ... لا يخطرُ الموتُ من حرصي على بالي
ولو قنِعتُ أتاني الرزقُ في دَعةٍ ... إنّ القنوعَ الغنيُ لا كثرةَ المالِ

فالشاعر يشعر بغربته عن أحبته الذين لا يدرون ما أصابه، ويُظهر ندمه على ما أفناه في حياته التي قضاها دون أن يخطر الموت على باله، ويدعو الشاعر إلى القناعة بما يقسمه الله من الأرزاق.

ويؤكد الشاعر المعنى ذاته، ويبين فوات العمر والتقدم في السن، وضياع عمره دون أن يتنبه لزوال الدنيا وما فيها يقول[٢]:

يغرُّ الفتى مَرُ الليالي سليمةً ... وهُنَّ به عما قليلٍ عوائرُ
فإن أعصى ريعانُ الشبابِ فطالما ... أطعت إليه الجهل والحلمُ وافرُ

وكأن الشاعر يندم في وقت لا ينفع فيه الندم، فهو يتذكر أيام الشباب التي ضاعت في اللهو والجهل، على الرغم من أنه كان يستطيع أن يكون أكثر حلماً وحكمة آنذاك.

ويبث الشاعر شكواه، وهو يخاطب محبوبته التي سألته عن حاله، يقول[٣]:

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣/ص ١٦٠، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٢.
(٢) أبو الفرج البصري، الحماسة البصرية، ج٢/ص ٤٢٨، حلاوي، شعر العتابي ص ٤٠٤.
(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص ٧٤٠، حلاوي، المرجع نفسه ص ٤٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقائلةٍ لمـا رأتنـي مُسـهّدًا ... كـأن الحشـا مِـنْ تلدّغـهُ الجمْـرُ
أبـاطنُ داءٍ أم جـوىً بـكَ قـاتلُ ... فقلتُ الذي بي مـا يقـومُ لـهُ صـبرُ
تفـرّقُ آلافٍ ومـوتُ أحبـةٍ ... وفقدُ ذوي الأفاضلِ قالتْ كـذا الدهـرُ

فمحبوبته تسأله عن سبب سهره وأرقه، وكأن أحشاءه احترقت بالنار، أسبب ذلك مرض، أم عشق وحزن قاتل، فأجابها إن ما به أكبر من ذلك فلا يقوى عليه صبراً، فهو حزين على ما آل إليه من تفرق أصحابه وموت أحبته، وفقده من يحب من أفاضل الناس. وردّ ذلك كله على لسان صاحبته إلى الدهر الذي يدور على كل إنسان.

ولا يزال الشاعر على حاله يبث همومه. وأحزانه، وشكواه، من الزمان وحوادثه، ويبث هذه الأحزان شاكياً لمحبوبته يقول[١]:

أيّنـا قدّمَـتْ صـروفُ المنايـا ... فـالذي أخّـرت سـريعُ اللحـاقِ
ويـدُ الحادثـاتِ رَهـنٌ بمُـرّا ... تٍ مـن العيـشِ مُصـبراتِ المـذاقِ

ويبدو الشاعر متشائماً في شكواه، فإذا أصابته نائبة من نوائب الدهر فهو ينتظر التي تليها، فالمصائب تتوالى عليه، لذلك أصبح عيشه مرّ المذاق على الدوام، ويوجه كلامه بعد ذلك إلى من يظن أن الدنيا دائمة له يقول[٢]:

غِرٌّ مَـنْ ظـنَ أنْ تفـوتَ المَنايـا ... وعُراهـا قلائـدَ الأعنـاقِ

فالمنايا تصل إلى كل إنسان ولا يمكن أن تفوت أحداً، لأن مبدأها ومنتهاها أن تتقلد أعناق البشر، ولا يقتصر الشاعر في بث يأسه من الناس، بل نجده يخاطب النجوم فيقول[٣]:

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٩.

(٢) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص ٦٢٣، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٩.

(٣) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص٦٢٣، وورد البيتان، لدى شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة المصرية، ج٣/ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلتُ للفرقدين والليلُ مُلقٍ سُودَ أكنافِهِ على الآفاقِ
ابقَيا ما بقيتُمَا سوف يُرمى بينَ شخصَيكُما بَسهمِ الفِراقِ

فالفراق سوف يطال هذين النجمين على الرغم مما عُرف عن وجودهما دائماً مع بعضهما ماداما في السماء، فالشاعر يؤكد لهما، بعد أن شخصهما بشخصين يوجه لهما حديثه، بأن الفراق سوف يلقى سهمه عليهما وهو لا يمكن أن يخطئ أحداً.

ويبين الشاعر في نهاية شكواه سبب حزنه ويأسه، يقول[١]:

بينما المرءُ في غَضارةِ عَيْشٍ وصلاحٍ من أمرِهِ واتّفاقِ
عَطفتْ شِدّةُ الزمانِ فأدّ تْه إلى فاقةٍ وضيقِ خِناقِ

فبينما الإنسان ينعم في عيشه، لا ينغص عيشه شيء، يعطف الزمان بنوائبه عليه ليقلب حياته من سعادة إلى شقاء، ومن غنى إلى فاقة وحاجة.

ويقرّر الشاعر في نهاية قصيدته حكمة لابد للمرء أن يؤمن بها وهي أن (دوام الحال من المحال) وأن الدوام لله وحده، والبقاء له وحده عز وجل، فيقول:

لا يدومُ البقاءُ للخَلْقِ لكنْ نَ دوامَ البقاءِ للخلاّقِ

ويستمر الشاعر في إظهار حزنه ووحدته، ويستمر في الشكوى والخوف من الناس ومن الزمان، يقول[٢]:

لو رأتْني بذي المحارةِ فَرداً وذراعُ ابنةَ الفلاةِ وسادي
أُطفيءُ الحزنَ بالدموعِ إذا ما حُمَةُ الشوقِ أثّرتْ في فؤادي
خاشعُ الطرفِ قد تَوشحني الضُرُ فلانتْ قناةُ قيادي

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٢٦٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٩.
(٢) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص ٦٢٥. حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٤-٣٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدو الشاعر في شكواه، حزيناً يائساً من الناس، خاضعاً لنوائب الدهر ويصور الشاعر الضرّ الذي أصابه بالوشاح الذي يتوشح فخشعت بذلك عيناه أو لانت قناة قياده، فاستسلم للبؤس والحزن، ولم يعد قادراً على المقاومة، يقول[١]:

تَرِبَ بؤسٍ أخا هُمومٍ كأنَ الـ ـحُزن والبؤسَ وافيا ميلادي

وقد وصل الشاعر إلى حالة من اليأس والحزن جعلته يعتقد أنهما قد وُجِدا منذ ولادته ولازماه في حياته أبداً.

ونفس كنفس الشاعر تحمل مشاعر من اليأس والحزن، تجعله يشتكي من كل من حوله من الناس، وتجعله يتهمهم بالحقد والكراهية، يقول[٢]:

وكأنّي استشعرتُ ما لفظَ النـ ـاسُ من النَّائراتِ والأحقاد

فأصبح لا يأنس بأحد، ولا يأمن جانب أحد من الناس، وتعود الوحدة والانفراد، يقول[٣]:

أوحش الناس جانبي فما آنس إلا بوحدتي وانفرادي

ويبين الشاعر عدم مقدرته على التصدي لهمومه ومصاعب دنياه، يقول[٤]:

أتصدّى الرّدى وأدّرعُ اللّيـ ـلَ بهوجاءَ فَوقَها أقتادي

فبدا وكأنه في رحلة طويلة يتصدى فيها للموت وهو يركب راحلته الهوجاء التي لا تدري أين تتجه وهي حاملة حاجاته فوقها. ويصور لنا حاله وهو في رحلته تلك، يقول[٥]:

حَظُ عيني من الكرى خفقاتٌ بين سَرْحي ومُنحنَى أعْوادي

---

[١] الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٥، حلاوي شعر العتابي، ص ٣٩٥

[٢] الحصري، المصدر نفسه،ص ٦٢٥، و المرجع نفسه، ٦٢٥

[٣] الحصري، المصدر نفسه،ص ٦٢٥، و المرجع نفسه، ٦٢٥

[٤] الحصري، المصدر نفسه،ص ٦٢٥، و المرجع نفسه، ٦٢٥

[٥] الحصري، المصدر نفسه،ص ٦٢٥، و المرجع نفسه، ٦٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصور الشاعر عينه الساهرة التي لم تنل إلا السهر والتعب طوال رحلتـــه منـذ بـدأ يرتحل، فغادر بذلك ديار الأحبة والأصحاب دون رجعة، ويعلن الشاعر عن حقده وكرهه للناس يقول[١]:

قد رددتُ الـــذي بـــه أتقـــي النـــا سَ وأبـــرزتُ للزمـــان سَـــوَادي

فردّ على الناس ما كان يخشاه منهم، فقد كرههم وحقد عليهم لأنهم كانوا يبادرونه بتلـــك المشاعر. ومع كل هذه المشاعر والآخران، والمصائب التي توالت على الشاعر، كان يشـــتاق لأحبته الذين فارقوه فبكى عليهم بكاءً شديداً، يقول[٢]:

فاســتهلّتْ علـــيّ تَمطُرنـــي الشـــو قِ شـــآبيبُ مُزْنـــــةٍ مِرْعَـــــادِ

ومزج العتابي شكواه بشيء من الافتخار بنسبه الذي لم يجنِ منه ما يسد حاجته، يقول[٣]:

إنّي امرؤٌ هـــدمَ الإقتـــارُ مـــأثرتي واجتاحَ ما أبدتْ الأيـــامُ مـــن خَطَـــري
إنَي ابن عمروُ بن كلثـــوم يُسَـــوّده حيـــا ربيعـــةَ والأحيـــاءُ مـــن مضـــرِ
أرومـــةٌ عَطّلتْنـــي مـــن مَكارِمـــها كالقوسِ عَطّلـــها الرامـــي مـــن الوتـــرِ

فعلى الرغم من شرف نسب قبيلته، وعَظِم شأنها، إلا أنه لم ينل من مكارمها شيئاً، فكـأن قبيلته نزعت مكارمها عنه كما ينزع الرامي القوس من مكانه، ويبين الشاعر أن الحاجة والفاقة،

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٥، حلاوي شعر العتابي، ص ٣٩٥

(٢) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص ٦٢٥، خلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٥.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ص ٥١، والبيتان ١، ٣ في زهر الآداب، مع ٦٢/٢ حلاوي، شعر العتـــابي، ص ٤٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هدّمت فضله على الناس، واجتاحت ما أبدت الأيام من شرف ورفعة، الذي اكتسبهما الشاعر من نسبه لقبيلته، ويبدو الشاعر في بعض أحواله قد فَطِن إلى ذهاب الشباب والتقدم في السن يقول[١]: صحوتُ فودّعتُ الصِبى بعد كبْرةٍ ولم أقر ذكراهُ الدموعَ الجواريا
ولم أتفجعْ في بقايا شبيبةٍ جنيتُ بما فيها على الدواهيا

ومع تقدمه في العمر إلا أنه لم يبك على ذهاب شبابه، فإذا تذكّر شبابه لا يتبع تلك الذكرى البكاء، ولم يحزن على ما تبقى من الشباب الذي انقضى أكثره.

ويخاطب الشاعر شخصاً كان قد يئس منه بقوله[٢]:

اعتَضْتُ باليأس منكَ، صبْراً فاعتَدل الحزنُ والسرورُ
فلستُ أرجو ولستُ أخشى ما فعلتْ بعدكَ الدهورُ

وتبدو شكواه ممزوجة بعتاب لصاحبه، وقد أعتاض الشاعر بأسه منه بالصبر.

الهجاء:

نظم العتابي في هذا اللون، وكان هجاؤه لا يتعدى أن يكون مقطوعات قصيرة. قد لا تتعدى بيتاً واحداً كقوله[٣]:

ظلَ اليسارُ على العباسِ ممدودُ وقلبهُ أبداً بالبخلِ معقودُ

---

(١) ابن القيسراني، الأنساب المتفقة، تحقيق، دي يونج، بريل، ١٩٧٥، ص ١٠٦، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٢١.

(٢) ابن يموت المهلهل، سرقات أبي نواس، تحقيق محمد مصطفى هدارة القاهرة، ١٩٥٧، ص ٥٤، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٥.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢، ص ٤٩١، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فعلى الرغم من يسر حال هذا العباس الذي قصده الشاعر، إلا أن قلبه عُقد على البخل عقداً، وهذا كناية عن شدة بخله، ونرى الشاعر يهجو بعض أصحابه الأمر الذين يحتجبون دون غيرهم من الناس، يقول[١]:

حجابك ليس يشبهه حجاب ... وخيرك دونَ مطلبهِ السحابْ
ونومكَ نوم من وردَ المنايا ... فليس لهُ إلى الدنيا إيابَ

فحاجب ذلك الوالي المستتر عن الناس، لا يوجد له مثيل، وخيره صعب النوال.

وصوّر الشاعر نوم ذلك الوالي كمن ينام للأبد، فهو مثل الميت الذي لا عودة له للحياة.

وهجا العتابي البرامكة في وقت كان قد قُطع فيه حبل الوصل بينه وبينهم، يقول[٢]:

إن البرامكَ لا تنفكُ أنجيَة ... بصفحةِ الدينِ من نجواهُمُ نَدبُ
تجرّمتْ حججٌ عشرٌ ومنصلُهمْ ... مضرّجٌ بدمِ الإسلامِ مُختضبُ

فهم قوم يتآمرون على الدين وأهله، حتى صارت أفعالهم تلك كالجرح الذي لا يذهب أثره، وهو واضح ومكشوف للناس كلهم، وحججهم التي كانوا يحتجون بها على أعمالهم انقضت وانكشفت، وظهر سيفهم الذي ارتوى بدم الإسلام وأصحابه.

وقال في طاهر بن علي بعد عزله، وكان عدواً له[٣]:

يا صاحباً متلوّناً ... متباينا فِعلي وفِعلُهُ
ما إن أحبُّ لهُ الردى ... ويسرُّني واللهِ عزلُهُ
لم تَعدْ فيما قلتَ لي ... وفعلتَ بي ما أنتَ أهلُهُ
كم شاغلٍ بكَ عَدْوَتِه ... وفارغٍ من أنتَ شُغلهُ

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص ٦٠، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٨٨.

(٢) زهر الآداب، الحصري ج٢/ص ٦٢١، ابن المعتز، البديع، ص ١٧، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٨٨.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٧، حلاوي، شعر العتابي، المرجع نفسه، ص ٤١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف الشاعر مهجوه بالشخص المنافق المتلون، وهذه الصفات هي التي جعلت الفرق واضحاً بين الشاعر ومهجوه، والشاعر لم يتمنَّ له الموت، ولكنه مسرور بعزله من منصبه لأنه يستحق ذلك، لضآلة قدره، وصوره الشاعر شخصاً لا فائدة ترجى منه، ويبين الشاعر في موضع آخر لؤم من يهجوه، وتبدله وتحول أخلاقه، يقول[١]:

لئنْ كانتْ الدُنيا أنالَتْكَ ثَروةً ... فأصبحتَ ذا يسرٍ وقد كنتَ ذا عسرِ
لقد كشف الإثراءُ منكَ مخازياً ... من اللؤمِ كانت تحت ثوبٍ من الفقرِ

يتعجب الشاعر من ذلك الشخص الذي كان في سابق عهده فقير الحال، ولكن أخلاقه لم تكن تبدو سيئة، وعندما أصبح حاله في يسر وغنى، كشف عن أخلاق سيئة كانت مستترة تحت ثوب الفقر، وكان أشدّها وقعاً في نفس الشاعر لؤم ذلك الشخص.

ونلاحظ أن هجاء العتابي لا يتعدى ما وصل إلينا البيت أو البيتين في معظمه ومن ذلك أنه يهجو شخصاً كان باغياً، يقول[٢]:

بغيتَ فلم تقعْ إلا صريعاً ... كذاكَ البغيُ يَصْرِعُ كلَ باغِ

ولم يقتصر العتابي في هجائه على الأفراد بل تعداه إلى هجاء الجماعات، فكان غير راضٍ عن أفعال أهل عصره وتصرفاتهم، ويتعجب من أحوالهم المتقلبة، فتقدهم ووقف منهم موقفاً سلبياً. يقول[٣]:

تساوى أهلُ دهركَ في المساوئِ ... فما يستحسنونَ سوى القبيحِ
وصار الناسُ كلُهم غُثاءً ... فما يُرجون للأمرِ النجيحِ
وأضحى الجودُ عندَهم جنوناً ... فما يستعقلون سوى الشحيحِ

---

[١] حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٥.

[٢] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢/ص ١٦٣، حلاوي، نفسه، ص ٤٠٧.

[٣] ابو إسحاق الكتبي، غرر الخصائص الواضحة، مكتبة المطبعة الأدبية المصرية القاهرة، ١٩٠٠، ص ٢٦٩، ٤٦٤، وانظر أحمد النجار العتابي أديب تغلب، ص ٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانوا يغضبـــون مـــن الأهـــاجي فصـــاروا يغضبـــون مـــن المديـــــح

ويصب الشاعر جام غضبه على أهل عصره فيتهمهم بتهم سيئه، فقد انقلبـــت موازيـــن الخير والإحسان، وأصبح الناس يفضلون الأمور السيئة على الحسنة منها. وأصبحوا لا فـــائدة تُرجى منهم، ولا يُعتمد عليهم في الأمور العظام.

وقُلبت الحقيقة لديهم حتى غدا الكرم لديهم جنوناً، وصاحب العقل هو من كـــان بخيـــلاً، لذلك لم يعد يعجبهم المديح، لأن المديح يشيد بمكارم الأخلاق وبالشجاعة والكرم، بل أصبحـــوا يفضلون الهجاء الذي يذم البخل والبخلاء.

ركّز الشاعر في هجائه للفرد وللجماعة، على هجاء صفات ذميمة فيهم كالبخل، واللـــؤم، والنفاق، والخداع، ويبدو أن العتابي كان يعاني من البخلاء لأنه كان في بعـــض أحوالـــه مـــن أصحاب الفاقة والحاجة، فاضطر لطرق أبواب من هم في سعة العيش ليعينوا من هم مثله علـــى حاجاتهم وفقرهم.

وطلب طوق بن مالك من العتابي أن يزوره، ويدعوه إلى أن يصل القرابة بينـــهما فـــردّ عليه العتابي[١]:

إني بلـــوتُ النـــاس ثـــم ســـبرتُهم وخبرتُ مـــا وصلـــوا مـــن الأســـباب
فـــإذا القرابـــة لا تقـــرّب قاطعـــاً وإذا المـــودّة أكـــبرُ الأنســـــاب

فقد عرف العتابي الناس وسبر ما في أعماقهم من المشاعر، وعلم أسباب الوصـــل بيـــن الناس وعلم أن القرابة ليست وحدها التي تقرب بين الناس، لأن المودة والرحمة أكبر مـــن أي نسب أو دم، وينقد الشاعر بعض القيم التي سادت في عصره فيقول راجزاً[٢]:

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٦.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج١/ص ٣٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اسجد لقرد السوء في زمانه وإن تلقاك بخنزوانـــــه[١]

لا سيما ما دام في سلطانه

فالناس تتملق من يصل إلى المناصب العليا، ويكون له سلطان عليهم فلو كان هذا الإنسان لا يملك من العقل أو الحكمة ما يؤهله لما هو فيه إلا أن الناس تحترمه وتقدره لأنه في مكانـــة تفرض عليهم ذلك ولو أن الذي وصل إلى منصب كان قرداً لسجد الناس له، وهذا من المبالغـــة التي تبين موقف العتابي من تغير قيم الناس.

الحكمة:

لم ترد الحكمة عند العتابي بكثرة، بل جاءت متناثرة، تضمنت نصائح عامة، يدعو فيـــها إلى الصبر على الفقر، وعلى نوائب الدهر.

وكأني به قد عاش أواخر عمره في شظف العيش، بعد أن كان ينعم في الغنى في مرحلة من مراحل عمره، فقال شعره بعد طول حياة جرّب فيها مختلف مظاهرها، وكأن هذه التجربـــة مصدراً من مصادر الحكمة عنده فنجده يقول في زوال النعم[٢]:

ولا عارٌ إن زالتْ عن الحُر نعمـــةٌ ولكـــنّ عـــاراً أن يـــــزولَ التجمـــــلَ

ولم يجعل الشاعر من زوال النعمة عاراً أو منقصة، وإنما العار أن يزول الصبر والحلـم من المرء، وهذه صفات يجب أن يتحلى بها المرء في فقره وغنـــاه، ويبيـــن العتـــابي صـــورة الشخص الذي ينال من غيره، يقول[٣]:

---

[١] الخنزوان: الكبر.

[٢] حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٢.

[٣] حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لشجرٌ في سبخٍ نابتٍ يجنى بأنيابٍ وأضراسِ
أحسنُ حالاً مِن آخى فاقة يحاولُ النيلُ من الناسِ

وقد جاء الشاعر بصورة يصور فيها من ينال من الناس، كأنه كمن يقتلع الأشجار من أرضٍ رطبة شديدة الملوحة، ولكنه يقتلعها بأضراسه وأنيابه، وهذه الصورة الصعبة لقلع الأشجار أهون وأحسن حالاً من أخ أنت بحاجة إليه ولكنه لا ينفك من محاولة النيل من الناس، ويُظهر الشاعر حلمه، وصبره على الجاهل في شعر الحكمة ، يقول[١]:

إن كنتَ لا ترهبُ ذمّي لِما تعرفُ من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتي فَطناً مُنصتاً فيك لتحسينِ جنى القائل
مقالةُ السوءِ إلى أهلها أسهلُ من منحدرٍ سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمةٍ ذموهُ بالحق وبالباطلِ

ويبدو الشاعر في شعره حكيماً حليماً، فهو يصفح عن الجاهل، ولكنه في الوقت ذاته لا يسكت على حق له، ويبين أن مقالة السوء في الناس تنتشر بسهولة لتصل إلى من قالها، ويختتم الشاعر قوله بحكمة مفادها أن من يذم الناس، سوف يذم بالحق وبالباطل.

ويبث العتابي حكمه من خلال شعره إما متأثراً ببعض الحكم، أو بالأحاديث النبوية، فقد تأثر بقول للرّسول، صلى الله عليه وسلم فقال[٢]:

ولله في عرضِ السمواتِ جنةٌ ولكنها محفوفةٌ بالمكاره

---

[١] الأغاني، ج١٣/ص ١١، حلاوي المصدر نفسه، ص ٤١٣.

[٢] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية للنشر ٣٤٠/ص ٨٦. حلاوي شعر العنابي، ص ٤٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أخذ هذا المعنى من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "حُفّت الجنـــة بالمكـــاره، وحُفّت النار بالشهوات"[١]. فمن أراد أن يكون من أهل الجنة يجب أن يحارب هـــواه ونفســه، ويبعدها عن ملذاتها المحرمة، ويحصن نفسه بأوامر الله ليحظى بالجنة.

ويظهر الشاعر في شعره وكأنه واعظ يعظ الناس ويرشدهم، يقول[٢]:

وكـــم نعمـــةٍ أتاكَـــها اللهُ جزلـــــةٍ مـــبرأةٍ مـــن كـــل خُلـــــقٍ يُذيمـــــها
فســـلّطت أخلاقـــاً عليـــها ذَميمـــةً تَعاورْنـــها حتـــى تفـــرّى أديُمـــــها[٣]

ويؤكد الشاعر النعم الكثيرة التي أنعم الله بها على عباده، وهذه النعم تكون صافية نقيـــة من كل خلق سيء ولكن أصحاب الأخلاق السيئة يسلطون على تلك النعم من أخلاقهم، فتتنـــاوب هذه الأخلاق على كل ما هو محمود ليجعل منها أداة لنزع النعم عن أصحابها.

ويؤكد الشاعر الابتعاد عن الأخلاق الذميمة فيقول[٤]:

ولوْعاً وإشفاقاً ونطقـــاً مـــن الخنـــا بعوراءَ يجري فـــي الرجـــالِ ذميمُـــها
وكنتَ امرءاً لو شئتَ أن تبلغَ المدى بلغـــتَ بـــأدنى نعمـــةٍ تَســـتديمها

فالأخلاق الذميمة لا يمكن للمرء أن يتخلص منها بسهولة، والأشياء القبيحة يستطيع كـــل امرئ الوصول إليها، ويتحدث الشاعر عن فطام النفس، وقد تحدث عن هذا الكثير ممن سبقه من الوعاظ والنساك، يقول [٥]:

ولكن فطامَ النفسِ أعســـرُ محمـــلاً من الصخرةِ الصمـــاءَ حيـــن تُرومَـــها

---

(١) الحافظ زكي الدين النيسابوري، مختصر صحيح مسلم للإمام مسلم، ط٢، تحقيق محمد ناصر الدين الألبـاني، المكتب الإسلامي، دار الطباعة، ١٩٧٢، ص ٥٣٢.

(٢) الجاحظ، الحيوان ج ٣/ب٦٢-٦٣) حلاوي، شعر العتابر ص ٤١٩.

(٣) الجاحظ، المصدر نفسه، ج١/ص٦٢-٦٣، حلاوي، المرجع نفسه ٤١٩.

(٤) الجاحظ، المصدر نفسه، ج١/ص٦٢-٦٣، حلاوي، المرجع نفسه ٤١٩.

(٥) الجاحظ، المصدر نفسه، ج٣/ص ٦٢-٦٣، حلاوي، المرجع نفسه، ٤١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن حمل النفس على الابتعاد عن مساوئ الأخلاق، أصعب على الإنسان من حمل صخرة ضخمة، وتحدث عن فطام النفس قبل العتابي وعاظ عُرفوا في عصرهم، منهم محمد بن كناسة الذي قال في فطام النفس: "إذا اعتادت النفس الرضاعة من الهوى، فإن فطام النفس عنه شديد"[١].

وتحدث عن فطام النفس مالك بن دينار في قصصه فكان يقول: "ما أشد فطام الكبار"[٢].

ويبدو الشاعر واعظاً قادراً على بث الحكمة من خلال ما يقول من شعر[٣]:

هيبةُ الإخوان قاطعةٌ ... لأخي الحاجاتِ عن طلبه
فإذا ما هِبْتَ ذا أملٍ ... مات ما أمّلت من سببه

وقال ابن مهرويه عن هذا الشعر: "هذا سرقة العتابي من قول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، "الهيبة مقرونة بالخيبة، والحياء مقرون بالحرمان، والفرصة تمر مرّ السحاب"[٤].

ويمكن القول إن العتابي تأثر بقول علي بن أبي طالب، رضي الله عنه وأعجب بمعانيه، فنظم ما قاله شعراً، وذلك خارج عن نطاق السرقات الأدبية، فأقوال الإمام علي تحمل من المعاني العظيمة ما يجعلها نهراً لا ينضب يستقي منه الشعراء في نظم المعاني السامية، فضلاً عن ذلك، فإن قول الإمام علي سار كالحكمة التي يُتمثل فيها بالنثر والشعر.

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ص ١٢٠، وانظر، أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٨٥.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص ٣٦٩، وانظر أحمد النجار، نفسه، ص ٨٥ ومالك بن دينار من كبار الوعاظ والقصاص في عصر بني أمية، توفي (١٣١هـ).

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٥.

(٤) الأصفهاني، المصدر نفسه ج١٣/ص ١١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويظهر الشاعر في ذلك القول حقيقة يجب أن يعيها المرء وهي أن من هـــاب المطالبـــة بحقه، فإنه لن يستطيع أن يأمل بعد ذلك بقدرته على طلب ذلك. وعلق دعبل الخزاعي الشاعر، على شعر العتابي السابق قائلا: "ما حسدت أحدا قط على شعر كما حسدت العتابي على قولـــه: هيبة الإخوان..."[١].

لقد جعل الشاعر من شعر الحكمة غرضا متداخلا مع غيره من أغراض أخرى كالشكوى والوعظ، والشاعر آثر السلامة على طلب المعالي من الأمور، حتى يتجنب مـــا حصـــل مـــع البرامكة في نكبتهم يقول[٢]:

دعينـــي تجئنـــي ميتتـــي مطمئنـــة ولـــم أتجشـــم هـــول تلـــك المـــوارد
فـــإن رفيعـــات المعـــالي مشـــوبة بمســـتودعات فـــي بطـــون الأســـاود

ويطلب الشاعر من زوجته أن تدعه ينتظر ميتته وهو في حال مطمئنة، دون أن يصيبـــه ما أصاب غيره من مصائب، ويبين الشاعر أن من يطلب المعالي من الأمور فإنه سوف يواجـــه الصعاب لأن طريقها محفوفة بالمخاطر.

ويبدو العتابي متأثرا في البيتين السابقين بابن المقفع، وقد سئل: لـــم لا تطلـــب الأمـــور العظام؟ فقال: رأيت المعالي مشوبة بالمكاره، فاقتصرت على الخمول ضنا بالعافية[٣].

واتخذ الشاعر في شعره الذي اقتصر على الحكم شكلا قصـــيرا لا يتجـــاوز البيتيـــن أو الثلاثة، وأحيانا لا يتجاوز البيت الواحد كقوله[٤]:

وأكلت دهـــرك أربعيـــن وأربعـــا فـــاصبر لأكلتـــــه وعضـــــة نابـــــه

---

[١] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٥.
[٢] الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/١٢٢، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٣.
[٣] الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ج١/ص ٢١٣، وانظر أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٤٤.
[٤] الثعالبي، المنتحل، ص١٤١، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشاعر يدعو في هذا البيت إلى الصبر على نوائب الدهر، وتظهر حكمته في معاملتـــه مع أصحابه، فقد تحدث عن وفائه لهم وإعطاء كل ذي حق حقه، يقول[١]:

وفيـــتَ كـــلَّ خليـــلٍ ودّنـــي ثمنـــاً إلا المؤمـــــلَ دَولاتـــــي وأيـــــامي

فالشاعر لاقى الجميل بالجميل، والعرفان بالعرفان، إلا أنه لم يستطع أن يـــرد جميـــلاً لمن كان يؤمل منه أن يكون في منزلة رفيعة، كأن يكون قائداً أو مسؤولاً ذا شأن.

ويدعو الشاعر في وعظه وحكمه إلى التحلي بالصبر على مصائب الدنيا، يقول[٢]:

طمـــعُ النفـــوسِ مطيّـــة الفقـــــرِ وليأسِـــــها أدنـــــى إلـــــى الوَفْـــــرِ
اصـــــبرْ إذا بدَهتـــــكَ نازلـــــةٌ مـــا عـــالَ منقطـــعٌ إلـــــى الصـــــبرِ
الصبرُ أنبـــلُ مـــا اعتصمـــتَ بـــهِ ولنعـــمَ حشـــــوَ جوانـــــحِ الصَّـــــدرِ

ويعدّ الشاعر الطمع مؤدياً إلى الفقر، وبابتعاد النفس عن الطمع تكون أقرب بذلـــك إلـــى الغنى، ويذهب إلى أن الغنى ليس مادياً، وإنما هو غنى النفس ويدعو الشاعر إلى الصـــبر، لأن كل من يصبر على فاقة لن يكون محتاجاً لغيره، ويجعل من الصبر أنبل الأخلاق التي يتحلى بها المرء.

---

(١) المبرد، الكامل، ج٤، ص ١٢٧، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤١٦.

(٢) الحافظ اليغموري، نور القبس، ص٣٩، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أقواله في الحكمة ما أشاد به ياقوت الحموي كما يبدو في قوله: "وما أحسن قول العتابي وأحكمه"[١]:

لومٌ يُعيذكَ من سوءٍ تفارقَهُ ... أبقى لعرضكَ من قول يُداجيكا
وقد رمى بك في تيهاءَ مهلكةٍ ... من باتَ يكتُمكَ العيبَ الذي فيكَا[٢]

والشاعر في هذه الأبيات يدعو إلى الصدق مهما كان صعباً، لاسيما بين الأصدقاء والمعارف، فلوم المرء لصديقه على سوء اقترفه هو أفضل له من قول ينافقه فيه، ويبالغ في كتمان أخطائه والصديق لا يكون صديقاً إذا كتم عيباً يراه في صديقه، وكأنه بذلك يرمي صديقه في أرض مظلمة لا قرار لها.

---

(١) ياقوت الحموي معجم الأدباء، ج٥/ص ٢٢٤٥، حلاوي، نفسه، حل ٤١١.

(٢) التيهاء: الأرض المظلمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

العتابي ناثراً:

كان تطور النثر العربي في العصر العباسي الأول جلياً؛ لأن ذلك العصر أرفد بثقافات أجنبية لم تكن موجودة من قبل في الحياة العربية، كالثقافة اليونانية والهندية والفارسية، وخليط من حضارات مختلفة للأمم التي دخلت في نطاق الدولة العربية الإسلامية.[١] وشهد أول القرن الثاني للهجرة ظهور الحياة العقلية الجديدة، ونشأة النثر الفني، فأخذ النثر يقوى شيئاً فشيئاً، واتسعت موضوعاته، وكان من الأسباب التي أدت إلى ذلك اشتداد الاتصال بين العرب والفرس وغيرهم من الموالي.[٢]

وعلى سنن من طبائع الحياة، أخذ النثر يتطور تطوراً واسعاً، فتعددت شعبه وفروعه، فظهر النثر العلمي، والنثر الفلسفي، والنثر التاريخي. وفي النثر الأدبي كان أثر اللغات والثقافات الأجنبية واضحاً، كما نجد ذلك جلياً في ترجمة ابن المقفع لقصص كليلة ودمنة الهندي الأصل[٣]، وكان العتابي واحداً من الأدباء الذين عاشوا ازدهار النثر وتطوره، وله من الرسائل والمأثور من أقواله البليغة ما يدل على ذلك.

وللعتابي رسائل وخطب، وأقوال وأحاديث أدبية، وله آراء في النقد والبلاغة، وهي ذات قيمة على الرغم من قلتها.

---

(١) انظر شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢١، ٤٢٣.

(٢) انظر طه حسين، من تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧١، ج٢/ ص ٤٥٣، ٤٣٦.

(٣) انظر طه حسين، المرجع نفسه، ص ٤٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبدأ الحديث عما كتبه العتابي من كتب ورسائل ، فقد اقتصرت كتابته فيها على ما يُعرف بالرسائل الإخوانية، التي كانت متبادلة في محيط علاقاته الخاصة وجلها يدور حول العلاقات الاجتماعية، والمشاعر الخاصة مثل المحبة، والرضا، وكل ما يتعلق بالأحاسيس.

واختلفت مضامين رسائله تبعاً لاختلاف الأشخاص الذين تكتب لهم، فكتب العتابي في المديح، وفي الاستمناح، وفي العتاب والاعتذار، وفي التعازي.

المدح:

يحمل المدح في النثر المعنى ذاته في الشعر، فهو الثناء على المناقب والصفات التي يتحلى بها الممدوح، ولعل المدح كان شائعاً بوصفه فناً من فنون الشعر، فكان الأدباء يؤثرون الشعر على النثر في مدحهم، وكان المدح فناً شعرياً أكثر منه فناً نثرياً حتى منتصف القرن الثاني، حيث أصبح المدح فناً نثرياً أيضاً، قائماً بحد ذاته، ويعد ذلك وجهاً من وجوه التطور الذي طرأ على الأدب النثري.

وقد تطرق الكتاب في مدائحهم النثرية إلى المعاني التي تناقلها الشعراء، وقد تتسع المعاني، فتتضمن المدحة النثرية معاني ليست مطروقة في الشعر لعدم وجود تلك القيود الصارمة التي يتقيد الشعر بها.

ومن الرسائل التي كتبها العتابي في المديح، رسالة بعثها للأمير خالد بن يزيد يقول فيها: "أنت أيها الأمير وارث سلفك، وبقية أعلام أهل بيتك، المسدود بك ثلمهم، والمجدد بك قديم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرفهم، والمنبه على أيام صيتهم، وأنه لم يخمل من كنت وارثه، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله، ولا أمحت أعلام من خلفته في رتبته."[١]

وقد عني العتابي في هذه الرسالة بإظهار عزة أصل الأمير وشرف أعراقه، مع تأكيد صفات الممدوح التي استمدها من قومه، وهم أصحاب المجد والرفعة، وهو سائر على دربهم، وحامل صيتهم وشرفهم، وعلى شاكلتهم حمل شمائلهم الحميدة.

وكتب العتابي كتاباً يمدح فيه يقول: " من اجتمع فيه من خلال الفضل ما اجتمع فيك، وانحاز إلى نواحيك، لم يخش المطنب في الثناء عليه أن يكون مفرطاً، كما لا يأمن أن يكون مفرطا، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التقريظ، أولى من الإطناب الذي غايته التقصير، ومآله الحشو."[٢]

وهكذا يشيد الكاتب بالممدوح ويركز على المناقب الحميدة التي يتشبه بها الناس من خلال تقربهم للممدوح، ومهما كان الكاتب بارعاً في إظهار تلك المناقب فإنه غير قادر على الإحاطة بها مهما بذل من وسع، فإذا أوجز كان مقصراً في حق ممدوحه، وإذا أطال فإنه لن يأمن الحشو الزائد الذي لا معنى له.

ويدخل في فن المديح، الاعتذار إلى الأمراء وأصحاب الشأن فقد يعتذر من خلال مدحه، ويبين الكاتب حاجته لرضى ممدوحه، وكما أحسن العتابي في مجال الاعتذار في الشعر، فإنه قد أحسن في النثر الذي وصل إلينا.

ومن ذلك أنه بعث رسالة إلى الأمير هشام بن عمرو التغلبي معتذراً يقول فيها:" دعيت إليك ونفسي رهينة بشكرك، ولساني علق بالثناء عليك، والغالب على ضميري لائمة لنفسي في

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج ٤/ ص ٢٣٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإبطاء عنك، واستقلال لجهدي في مكافأتك، وأنت – أعزك الله– في عز الغنى عني، وأنا تحت ذل الفاقة إلى عطفك، وليس من متشابه أخلاقك أن تولي جانب النبوة منك، من هو عـــان فـــي الضراعة إليك.[١]

ويظهر العتابي في رسالته هذه حاجته لصاحبه، ويعبر عن ذلك بصور عدة فنفسه رهينـــة بالشكر لصاحبه، ويلوم العتابي نفسه على إبطائه، وينحو منحى يضمن فيه قبول عذره، فيدعـــو للأمير بالعز، ثم يبدأ بإظهار العلاقة بينه وبين الأمير، فالأمير مستغنٍ عنه لا يحتاجه في شيء، أما هو فإنه يعيش تحت ذل الحاجة إلى عطف الأمير، وذلك أدعى إلى اســـتمالة قلبـــه وقبـــول عذره.

ومن رسائله في الاعتذار قوله:" إن أقل من بلائك عندي يستغرق ثنائي، وأقل من تـــأميلي إياك يعفي على ما كان مني، وليس لك – مع فضلك ورجائي تجاوزك– سبيل إلى قطيعتي".[٢]

وعلى قصر هذه الرسالة نجدها تحمل من المعاني الدقيقة، في عبارات موجـــزة، وفيـــها يقر العتابي بذنبه، ويبدو أن العادة كانت جارية بتقديم الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ، لما في ذلك من امتصاص غضب المخاطب، ويظهر العتابي أمله في استرضاء المخـــاطب، وتفضلـــه بالصفح عنه، ولا يتوسع الكاتب في الحديث عن ذنبه أو عن أسباب ارتكابه لذلك الذنـــب، بـــل يؤكد فضل صاحبه وقدرته على تجاوز أخطائه وزلاته.

ويتداخل الاستمناح بالمديح كذلك والاستمناح هو طلـــب الحاجـــة، مـــن ذوي الســـلطان والاقتدار. وغالباً ما يكون في طلب المال أو المساعدة في أمر معين، أو نحو ذلك مما ينتظم في

---

(١) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، تحقيق محسن غياض، بيروت، ١٩٧٣، ج ٣/ ص ٣٨٩، الحصـــري، زهـــر الآداب، ج٢/ ص ٦٨٦، وانظر أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ص ٣٩٧.

(٢) ابن طيفور، المصدر نفسه، ج٣/ ص ٣٨٩، أحمد زكي، صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص ٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"... حتى أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف، واشتد علينا كلبـــها، وغـــابت قطتها، وكذبتنا غيومها، وأخلفتنا بروقها، وفقدنا صالح الإخوان...."[١].

فقد أصابته شدة، وحاجة وفاقة بعد يسر حاله ولهذا نجده يشكو تلك الحال إلى صاحبـــه، ويصور حاجته، وفقره الذي أصابه، وتبدل حاله بطريقة مؤثرة، ولهذا التفت إلى صاحبه الـــذي ادخره لوقت الحاجة، وبعد أن مهد الكاتب لطلب حاجته، بدأ بسؤال صاحبه كما يبدو في قولـــه: "...فانتجعتك، وأنا بانتجاعي إياك شديد الشفقة عليك، مع علمي بأنك موضع الرائد، وتغطي عين الحاسد، والله يعلم أني ما أعدك إلا في حومة الأهل، ذا علم أن الكريم إذا استحيا فـــي إعطـــاء القليل، ولم يمكنه الكثير، لم يعرف جوده، ولم تظهر أهميته، وأنا أقول في ذلك:

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود"[٢]

فالكاتب انتجع صديقه، وطلب منه ما يسد فقره، ويلبي حاجته، على الرغم من أنه لا يسره أن يطلب من صاحبه، فهو شديد الشفقة عليه من ذلك الطلب، ولكنه يؤكد أن صاحبـــه ســـيكفيه حاجته، ويكفيه ذل السؤال، وأنه لم يطلب منه إلا لأنه يعده من أهله، واستطاع الكاتب في نهايـــة رسالته أن يؤثر في صاحبه، من خلال ما أورد من معان في البذل والكرم ولو كان هذا البـــذل قليلاً ولكنه كفيل بسد حاجة المحتاج، وقد أنهى الكاتب رسالته بأبيات من الشعر أكد فيـــها تلـــك المعاني، التي تطرق إليها في رسالته.

وكتب العتابي إلى بعض أصحاب السلطان يستمنحه قائلاً: " أما بعد فإن سحائب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها سالماً من علل المطل، والسلام."[٣]

---

(١) أبو علي القالي، الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ج ٢/ ص ١٣٥، احمـــد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ ص ٣٩٨.

(٢) أبو علي القالي، المصدر نفسه، ج٢/ص ١٣٥. أحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ج٣/٣٩٨.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والكاتب في رسالته هذه لجأ إلى الاختصار والإيجاز، وعلى الرغم من ذلك الإيجاز الذي كاد يخل بالمضمون، إلا أن الكاتب وفق في حشد أكبر قدر ممكن من المعاني في أقل لفظ ممكن، وصور العتابي طلبه واستمناحه "بصورة طريفة عرف كيف يستتمها، وكيف يرسمها في عبارات موجزة."[١]

وجاء طلبه من المستماح بطريقة معبرة، ولم يطلب صراحة، فقد طلب من صاحبه أن ينجزه وعداً كان قد وعده إياه، وطلب منه عدم المماطلة بقضاء الحاجة.

وكتب العتابي رسالة لصاحب له يطلب منه قضاء حاجة بقوله: " قد عرضت قبلك حاجة، فإن نجحت بك فالفاني منها حظي، والباقي حظك، وإن تعذرت فالخير مظنون بك، والعذر مقدم إليك".[٣]

والكاتب في هذه الرسالة، لم يذل في طلب حاجته، وتبدو دقته في الإتيان بالمعاني التي يطرقها، وقد تخفف في سؤاله حفاظاً على كرامته، ويؤكد للمستماح إنه إذا لبى حاجته، فإن ذلك من حظ الكاتب، ولكن الحظ الأكبر والذكر الأشمل، سيكون للمستماح لأنه لبى تلك الحاجة، ولكن إن تعذر على صاحبه تلبية طلبه، فإن الكاتب راضٍ بذلك لا يغير ذلك شيئاً من قناعته في كرم صاحبه.

---

(١) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٩٧.

(٣) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، مكتبة لويس سركيس، القاهرة، ١٩٣٥، ص ٣٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العتاب:

وقد يظهر الشوق مختلطاً بالعتاب، كما يبدو عند العتابي، فالكتاب في هـذا النـوع مـن الرسائل يتخذون العتاب وسيلة للتعبير عما يكابدونه من آلام الشوق ومتاعبه، وكانوا يلجأون إلى لوم من يشتاقون إليهم وعتابهم، ويعبرون في تلك الرسائل عن فرط شـوقهم إلـى أصدقائـهم، والحنين إلى رؤيتهم، ويظهر العتابي شوقه لصديقه إلى جانب لومه على هجرانه، يقول: " لـو اعتصم شوفي إليك بمثل سلوك عني لم أبذل وجه الرغبة إليك، ولم أتجشـم مـرارة تمـاديك، ولكن استخفتنا صبابتنا، فاحتملنا قسوتك، لعظيم قدر مودتك، وأنت أحق من اقتص لصلتنا مـن جفائه، ولشوقنا من إبطائه."[١]

يعبر الكاتب عما يحمله من مشاعر نحو صديقه، ويبين عدم قدرته على معاملة صاحبـه بالمثل، بل يظهر رغبته الشديدة بلقاء صديقه، وأعرب الكاتب عن معاناته الناتجة عن هجـران صاحبه وجفائه، وعلى الرغم من ذلك فهو باقٍ على شوقه ورغبته في لقاء صاحبه، وقـد عـدّ جفاء صاحبه وإبطاءه عن لقائه أمراً غير مقبول، ويعاتب الكاتب أحد أصحابه بلهجة قاسية حتى اختلط عتابه بالذم والتقريع، يقول:" تأتينا إفاقتك من سكرتك، وترقبنا انتباهك من رقدتك، وصرنا على تجرع الغيظ فيك، فها أنا قد عرفتك حق معرفتك في تعديك لطورك وإطراحك حـق مـن غلط في اختيارك.[٢]

يتحدث الكاتب عن صبره على صاحبه الذي تحول حاله من الحسن إلى السيء، ويـأمل الكاتب صلاح حال صاحبه، وقد عمد إلى أسلوب المقابلة في وصف حال صاحبه وتحوله، ممـا يزيد الفكرة وضوحاً وعمقاً، ولما تمتاز به المقابلة من القدرة على التعبير عن التحول والانقلاب

---

(١) ابن طيفور، المنظور والمنثور، ج ١٣، ص ٣٩٢.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص ٢٣٧، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣/ص ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يريد الكاتب إظهاره، ويبين الشاعر أن تحول حال صاحبه وتماديه في أخطائه كان سبباً في الكشف عن حقيقته ومعرفته المعرفة الصحيحة، فصاحبه لا يقدر الصداقة، ولا يصون حق المعرفة.

ويرى الكاتب أنه لم يحسن اختيار صديقه كما يبدو في قوله" فها أنا قد عرفتك حق معرفتك في تعديك لطورك، واطراحك حق من غلط في اختيارك".[١]

وكتب العتابي كتاباً إلى أحد أصحابه ينكر عليه اعتذاره، وكان صاحبه قد اعتذر له عن شيء بدر منه، دون إقراره بذنبه، يقول:" إما أن تقر بذنبك فيكون إقرارك حجة علينا في العفو عنك، وإلا فطب نفساً بالانتصاف منك فإن الشاعر يقول:

أقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزنا عنه فإن جحود الذنب ذنبان" [٢]

فالعتابي لم يقبل عذر صاحبه، لأن صاحبه لم يقر بذنبه ، وهو يخيره بين إقراره بذنبه وبين قبول العتابي لعذره والعفو عن ذنبه ويستشهد العتابي ببيت من الشعر ليس من نظمه ليؤكد المعنى الذي قاله ويزيده إيضاحاً، فالاعتراف بالذنب أوقع في قبول العذر.

وكتب العتابي لرجل اعتذر إليه، وقبل العتابي عذره، " إني إن لم أقبل عذرك لكنت ألأم منك، وقد قبلت عذرك فدم على لوم نفسك في جنايتك، نزد في قبول عذرك، والتجافي عن هفوتك."[٣]

وعلى الرغم من قبول العتابي لعذر صاحبه إلا أنه يلومه على خطئه، ويعد قبوله عذره إنما هو من كرم أخلاقه، وعدم اتصافه باللؤم الذي وصف صاحبه به.

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص ٢٣٧، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣/ص ٣١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١١٣.
(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج ١٣/ ص١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعزية:

رسائل التعزية، من فنون النثر التي تكشف عن العلاقات الشخصية التي تظهر في المجتمع ضمن علاقات كثيرة متعددة، ترسم ملامح عامة للحياة الاجتماعية في العصر العباسي.

ولم نحظ في هذا المجال إلا برسالة واحدة كتبها العتابي يعزي فيها صاحباً له فقد أحداً من ذوي القربى، يقول فيها: " إن أشد من المصيبة الأجر فيها والحسبة، وقد ذهب منك ما رُزئت، فلا يذهب منك ما عوضت، قال الشاعر:

وعوضت أجراً من فقيد فلا يكن فقيدك لا يأتي وأجرك لا يذهب"[١]

ويدعو الكاتب صاحبه إلى الصبر واحتساب الأجر عند الله، بعد أن فقد أحد أحبته، ويبين لصاحبه أن الحزن والجزع لن يعيدا من ذهب، فالفقيد لن يعود، ولذا فقد دعا صاحبه إلى التمسك بما هو باقٍ، فالمفجوع بمصيبة، يعوضه الله عن تلك المصيبة بالصبر واحتساب الأجر، وختم الكاتب رسالته ببيت من الشعر، أكد فيه المعنى الذي جاء في الرسالة، وزاد المعاني المطروقة إيضاحاً.

والعتابي في تعزيته يجمع بين العزاء، وإظهار الفجيعة، والدعوة إلى الصبر والرضا بقضاء الله، والدعوة لمن أصابته المصيبة بأن يعظم الله أجره.

---

(١) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج١٣/ ص ٣١١، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص ٤٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصايا والحكم:

تنوعت أقوال العتابي التي ذهبت مذهب الحكم والوصايا في مجالاتها، فكتب في الإخـوان الإخوان، وفي أحوال الناس وصفاتهم.

كتب العتابي كتابا إلى أبي يوسف القاضي،[١] وكان عالما فقيها جاء فيه: " أما بعد، فخـف الله الذي أنعم عليك بتلاوة كتابه، واحذر أن يكون لسانك عدة للفتنة، وعملك ردءا للمعتدين، فإن أئمة الجور إنما يكيدون الصالحين باستصحاب أهل العلم.[٢] وقد ظهر العتابي في كتابـه ناصحا واعظا، على الرغم من أنه وجه كتابه إلى عالم فقيه، وهذا يدل على مكانـة العتـابي، وعلاقته بأصحاب العلم والسلطان، وقد أوصى القاضي، بمخافة الله، وذكره بنعم الله عليه، ومـن أكبر تلك النعم، نعمة تلاوة القرآن، وحذره من قول غير الحق، فهو يتبوأ مكانة كبيرة بين الناس فيتبعون لذلك كل قول يقوله، فإن كان قوله حقا فخير، وإن كان قوله باطلا فذلك أدعى للفتنـة، وأقرب للإثم، وأن لا يعمل إلا صالحا، لأن علمه يقتدي به، فإن كان عمله باطلا شـجع بذلـك الظالمين، والمعتدين على ظلم الناس والاعتداء على حرماتهم.

والكاتب يظهر بمظهر الواعظ، الذي يورد آراءه، ثم يأتي بالحجة والدليل، فيجعـل مـن موعظته أقوى أثرا في نفس المتلقين وظهرت في الدعوة إلى الاصلاح، والتحلي بالتقوى، والبعد عن إثارة الفتنة، والتصدي للجور وأهله.

---

(١) أبو يوسف القاضي، أول من دعي بالإسلام بقاضي القضاة، توفي ١٨٢هـ.

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن كتبه التي تظهر حكمته، وقدرته على استنباط المعاني قوله:" أما بعد، فإن أحداً ليس بمستخلص شيئاً من غضارة عيشٍ إلا من بين خلال مكاره، فمن انتظر بعاجل الدرك آجل الاستقضاء سلبته الأيام فرصته، لأن من صناعتها السلب، ومن شرط الزمن الإفاتة."[١]

يتحدث عن اغتنام الفرص في الحياة، ويبين أن المرء لا يصل إلى ما يصبو إليه من رغد العيش إلا بعد أن يتشجم المتاعب، ومن يؤجل عملاً كان باستطاعته أن ينجزه، ويفيد منه، لن يستطيع أن يحققه بعد ذلك لأن الأيام لن تعيد فرصة لم يغتنمها صاحبها، ويبدو العتابي من خلال ما كتب في هذا الكتاب شخصاً مجرباً عالماً بأمور الدنيا، وبتقلب الأيام.

وقد أوصى العتابي بحامل كتاب إلى أحد أصدقائه جاء فيه:

يقول:" حامل كتابي إليك أنا، فكن له أنا والسلام."[٢]

فقد اختزل الكاتب المعاني المراد التعبير عنها في أقل لفظ ممكن.

أما كتاباته في الحكم، فقد تناولت عدة موضوعات في السياسة وفي الأخلاق، وفي التعامل مع الناس ومداراتهم. ومما كتبه حول المدارة، قوله: " المدارة سياسة رفيعة، تجلب المنفعة وتدفع المضرة، ولا يستغني عنها ملك ولا سوقة، ولا يدع أحد منها حظه إلا غمرته صروف المكاره".[٣]

وهو بهذا يدعو إلى مدارة الناس، ومعاملتهم معاملة حسنة، وأن يكون الإنسان حليماً في موضع الغضب، وعادلاً في موضع الظلم. ويعفو عن مقدرة، وتلك المعاني تدور في فلك المدارة، وعدها العتابي سياسة رفيعة، لا يمكن لأي شخص أن يستغني عنها، فكل شخص

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص١٠٧٣، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص٣٩٨.

(٢) ابن عبد ربه العقد الفريد، ج٤/ ص ٣٢٧.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٩٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محتاج لتلك السياسة، لأن من لا يتبع تلك السياسة فإنه مغمور بصروف المكاره ولن يجد للراحة سبيلاً بسبب غضب الناس عليه.

ومما كتبه العتابي في السياسة قوله:" ما يعين على العدل اصطناع مـــن يؤثـر التقـى، واطراح من يقبل الرشُا، واستكفاء من يعدل في القضية واستخلاف من يشفق على الرعية".(١)

يرسم العتابي صورة واضحة لذوي السلطان والحكم، ليحكموا بين الناس بالعدل، وذلـــك باتباع مبادئ أساسية في العدل، فيجب على صاحب السلطان أن يقرب مـــن عُـرف بـالتقوى والصلاح، ويبعد كل من عرف عنه قبول الرشوة، وأن يؤثر من يعدل بالقضاء، ويجعـــل مـــن يخلفه رحيماً بالرعية، بعيداً عن ظلمهم.

وكتب العتابي في أصناف الأخوان، فقال: " فرع بـــائن مـــن أصلـــه، وأصـــل متصـــل بفرعه،وفرع ليس له أصل. فأما الفرع البائن من أصله فإخاء بني على مودة ثم انقطعت، فَحُفـظَ على ذمام الصحبة، وأما الأصل المتصل بفرعه فإخاء أصله الكرم وأغصانه التقوى، وأما الفرع الذي لا أصل له، فالمموه الظاهر الذي ليس له باطن". (٢)

يصنف العتابي الإخوان، ويشبه العلاقات بين الناس بالشجرة التي تحمل فروعـــاً عـــدة، فالصداقة المبنية على المودة والمحبة لا تنقطع أبداً، لأن تلك الصحبة وإن تباعد أهلها باقية لأنها مبنية على المودة، وأصل الصداقة والإخاء ما كان مبنياً على التقوى والكرم، والصداقة الكاذبـة، من تعارف أهلها على إظهار غير ما يكتمون، فكأنه ليس لهم باطن ولا سر.

---

(١) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ٥٥.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢/ص ٣٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبين العتابي في كتاب آخر شر الإخوان، فيقول:" شر الإخوان من إذا وجد مادحاً مدح، وإن وجد قادحاً قدح، وإن استودع السر فضح".[١]

يبين العتابي في كتابه هذا شر الإخوان، وهو الرجل المتملق المتزلف، الذي يتبدل ويتغير دون رادع أو سبب، فإذا كان في مجلس وجد فيه من يمدح أحداً، فعل ذلك دون أن يكون على علم بالمدح أو بصاحبه، وإذا وجد من يقدح ويشتم فعل فعله دون تدبر، ومثل هذا الشخص لا يؤمن جانبه، ولا يستودع سراً، وتظهر دعوة العتابي إلى إصلاح اجتماعي قائم على الصدق، في القول والفعل.

ومن حكم العتابي قوله" ببكاء القلم تبتسم الكتب"[٢] وقوله:" الأقلام مطايا الفطن"[٣] وقوله:" الشيب تاريخ الكتاب"[٤].

وتلك الحكم تصور كاتبها حكيماً يبث خلاصة تجاربه في تلك الحكم، فقد جعل الأقلام أناساً يبكون، من أجل سعادة غيرهم، فلولا القلم لما كان الكتاب، وجعل من الأقلام مطايا لكل حكيم فطن، لأنه بالقلم سيصل إلى كل مبتغى يبتغيه، وجعل من الشيب تأريخ الكتاب لأنه يأتي في نهايته وفي آخره.

وقد تأثر العتابي في تناوله لمعاني تلك الحكم بابن المقفع، وسأبين ذلك في الدراسة الفنية.

ومن حكمه التي تحمل بين ألفاظها معاني كثيرة، ودقيقة قوله:" لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف"،[٥] وهو يدل بذلك على عدم الخوض في أمور لا يعرفها المرء، فإذا كان

---

(١) أبو إسحاق الكتبي، المعروف بالوطواط، غرر الخصائص الواضحة، مكتبة المطبعة الأدبية المصرية، القاهرة، ١٩٠٠، ص ٤٧١.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص ٢٨٤.

(٣) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٨٢.

(٤) ابن عبد ربه، المصدر نفسه.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥/ ص ٢٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرء غير عالم بموضوع بعينه، وأخذ يجادل فيه من غير علم، فإن ذلك الجدال لن ينتهي بسبب الخلاف الذي ينجم عن ضآلة المعرفة.

أحاديث العتابي ومساجلاته:

رويت للعتابي أحاديث كانت تدور مع الخلفاء، أو من جالسهم، أو مع عامة الناس، وكان في أحاديثه معبراً عن مشاعره وأحاسيسه أو محادثاً أحد أصحابه مؤنساً له أو مجيباً أو ناقداً وفي بعض الأحيان تدور أحاديثه حول أمور اجتماعية، وتكشف هذه الأحاديث عن ذكاء لماح، وعين فاحصة، وعلم غزير، وحجة قوية، ومن تلك الأحاديث:

سُئل:" هل تعلم أحداً لا عيب فيه؟ فقال: إن الذي لا عيب فيه لا يموت أبداً، ولا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة".[١]

وينم العتابي بتلك الإجابة عن إدراك لأمور عامة، تنطبق على البشر جميعهم، فكل بني آدم خطاء، ولذلك لا يخلو إنسان من العيب، ويدلك على قوله ذلك بحجة قوية وبرهان مقنع، فمن لا عيب فيه لا يموت، ولذلك لا يخلد أحد على وجه الأرض، وهي حقيقة لا جدال فيها، وإذا حاول المرء إخفاء عيوبه أو كتمانها، فإن ألسنة الناس كفيلة بإظهارها.

وأتى العتابي وهو بالري رجل يودعه، فقال: " أين تريد؟ قال: بغداد، قال: إنك تريد بلداً اصطلح أهله على صحة العلانية، وسقم السريرة، كلهم يعطيك كله، ويمنعك قله"[٢].

ويبدو العتابي غير راض عن أهل بغداد، من خلال ما وصفهم به وكأنه يهجوهم، فأهل بغداد اتفقوا على أن يكونوا في العلن على أحسن حال، وعلى أكمل وجه، فقد يعطون

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريدن ج١/ ص ٣٠.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ١٠٧٣، القلّ: الشيء القليل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرء كل شيء من خلال كلامهم ووعودهم، ولكنهم على الحقيقة قوم مرضت سريرتهم، لأنهم يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون.

ومن أقواله التي تظهر رأياً في الناس، ما دار بينه وبين طوق بن مالك حين قال له ابن مالك:"أما ترى عشيرتك كيف تدل علي؟ فقال العتابي: أيها الأمير إن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإن ابن عمك من عمك خيره، وإن قريبك من قرب منك نفعه، وإن أحب الناس إليك من كان أخفهم ثقلاً عليك، وأنا أقول[١]:

إني بلوت الناس في حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب

فقد صنف العتابي الناس إلى أصناف فكل واحد حسب معاملته مع غيره، فالعشيرة ليست ممن ينتمي إليها المرء حسب بل هي من تحسن عشرة أبنائها، وتنفعهم بالسراء والضراء والقريب ليس من قرب الدم والنسب، بل هو من نفع غيره في السر والعلن، وأحب الناس للمرء من لا يثقل على صاحبه ولا يستغل حب صاحبه له، ونظم العتابي فيما نثره من معان شعراً ليؤكد تلك المعاني ويزيدها توضيحاً.

ومما قاله واصفاً بعض أحوال المرء، في مجلس الرشيد:" إن المرء لا يحمد أول أمره على صواب، ولا يذم على خطأ لأنه بين حالين، من كلام قد سواه، أو حصر تعناه، ولكن يبسط بالمؤانسة، ويبحث بالمناقشة".[٢]

وبهذا يصنف العتابي المرء بين حالين في بادئ أمره، فإذا أصاب فقد يكون أصاب بالحظ أو الصدفة، لأنه قد يجيد أو يصيب بعد خطأ، ولأنه بين حالين أيضاً، بين كلام قد يجيد فيه، أو

([١]) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٦.

([٢]) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص ٣٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يعاني ويقاسي في إظهار منطقه أفلا يقدر على الكلام، فيخفف عنه بالملاطفة وإزالة وحشته ومعاناته.

ومن مساجلاته ما دار بينه وبين القاضي يحيى بن أكثم، "وقد صادفه العتابي بباب المأمون ينتظر الإذن، فقال له العتابي: إن رأيت – أعزك الله– أن تذكر أمري لأمير المؤمنين إذا دخلت فافعل، فقال له: لست – أعزك الله – بحاجبه، فقال: إن لم تكن حاجباً فقد يفعل مثلك ما سألت، واعلم أن الله –عزوجل– جعل لكل شيء زكاة، وجعل زكاة المال رفد المستعين، وزكاة الجاه إغاثة الملهوف، واعلم أن الله – عز وجل– مقبل عليك بالزيادة إن شكرت، أو التغيير إن كفرت، وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك، لأني أدعوك إلى ازدياد نعمتك، وأنت تأبى، فقال له يحيى: أفعل وكرامة".[1]

لم يعدم العتابي الوسيلة في إقناع القاضي بأن يستأذن له بالدخول، بعد أن أعرض القاضي عن ذلك، لأنه كما قال: ليس بالحاجب، فاتخذ العتابي سبيله إلى الإتيان بالحجة والدليل القاطع لإقناع القاضي، وجعل قبول القاضي طلبه بأن يستأذن له زكاة عن جاهه ومركزه الذي يحتله، كالزكاة التي فرضها الله على أموال الأغنياء، والزكاة تزكي المال وتربيه، وكذلك زكاة الجاه، تزكيه إن شكر العبد ربه، وأعان الملهوف على أمره، وبين للقاضي أنه يدعوه لأمر تزداد به نعمه، ويحفظ جاهه ومركزه، وإن لم يستجب لذلك، فلابد أن يغير الله حاله، وقد تأثر القاضي بذلك المنطق الذي أقنعه به العتابي، وجعله ينفذ طلبه من فوره.

---

(1) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تلك المساجلات ما حدث بينه وبين إسحاق الموصلي[١] في مجلس المأمون، فقد حضره العتابي، وكان آنذاك شيخاً جليلاً، وقد طلب المأمون من الموصلي أن يداعب العتابي، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب يذكره ويزيد عليه، فعجب منه وهو لا يعلم أنه إسحاق، ثم قال: أياذن أمير المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه؟ فقال: افعل، فقال له العتابي: من أنت؟ وما اسمك؟، قال: أنا من الناس واسمي كل بصل! فقال له العتابي: أما النسبة فقد عرفت، وأما الاسم فمنكر، وما كل بصل من الأسماء؟ فقال له إسحاق: ما أقل إنصافك وما كلثوم؟ والبصل أطيب من الثوم، قال العتابي: قاتلك الله ما أملحك! ما رأيت كالرجل حلاوة".[٢]

إن تقدم العتابي في العمر لم يمنعه من قبول تلك المداعبة، دون أن يغضب، فعلى الرغم من سخرية الموصلي من اسمه، إلا أنه تقبل ذلك منه واستلطفه، ويدل على أن العتابي لم يعرف الموصلي على الرغم من شهرة الأخير التي طارت في الآفاق، لأن العتابي في أواخر عمره اعتزل الناس، وتظهر سرعة العتابي على الرد، فقد أنكر اسم الموصلي، وقبل نسبه.

أما الخطب فقد نسبت للعتابي خطبتان، واحدة وردت في الأغاني،[٣] وكان العتابي فيها يسخر من العامة، ويبين أنهم قوم لا يفقهون، وقد أوردت تلك الخطبة في الحديث عن أخباره.

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ونسب إلى الموصل، لأنه سافر إليها وأقام فيها مدة يعلم الغناء، عاش في كنف الرشيد والأمين والمأمون، كان يناظر أهل الكلام واللغة والأدب، له أخبار طويلة، في الأغاني، ومعجم الأدباء وغيرهما، انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤/ص ١٦٠٩.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٠، المسعودي، مروج الذهب، ج٧/ ص ٢٩.

(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الخطبة الثانية التي تنسب إليه، فهي خطبة موجزة، أوردها الجاحظ في البيان والتبيين جاء فيها:

" أما بعد، فإنه لا يجوز عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه، ولا يعبر عنه في تزكية أصحابه أصدق من اعتماده برغبته، وائتمانه إياهم على حرمته".[١]

وفي هذه الخطبة يبين العتابي بعض الصفات التي يجب على المرء التحلي بها، ومنها بعد المرء عن مدح نفسه، لأن الناس لن تحمده على ذلك، فأفعال المرء الحسنة، تنبئ عن صاحبها، وتظهر فضله وحسن أخلاقه، ولا يعبر المرء عن تزكيه أصحابه بالكلام بل يكون ذلك بالفعل الصادق والعمل الطيب ويبين العتابي أن حب الإنسان يجب أن يكون لمن هم أهل لذلك الحب، ولمن هم أهل للأمانة على أعراضه وأعراض غيره من الناس.

والعتابي يتبع في تلك الخطبة نهج الواعظ الذي يربط ما يقوله بروح الدين وتعاليمه، فقد اعتمد في رسالته على قوله تعالى": ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا".[٢]

ومن ذلك نتبين أن العتابي طرق موضوعات متعددة في نثره نستطيع من خلالها الكشف عن سمات عمله النثري.

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢/ص ١٤١.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العتابي ناقداً

كان العتابي ناقداً أدبياً صاحب نظرة ودراية متمكنة، يعرف مواطن الجمـــال ومواطـــن القبح، ولسنا نعني بهذا أنه كان يحترف النقد ويشتغل فيه، أو أنه كان مشرعاً لنظريـــات النقـــد والبلاغة، ولكنه كان مفطوراً على حب الأدب، فكان يسمع الأدب ويتذوقه وينقده، وكان العتـــابي في استحسانه أو استهجانه يسلك طرقاً مختلفة، فقد يظهر الرضا أو السخط دون أن يعلل ذلـــك، وقد يبنى نقده على نظرية ذاتية محضة، وقد ينقد نقداً فنياً خالصاً.

وكان العتابي ناقداً لبعض شعراء عصره، وظهر نقده موضوعياً، فإذا كان الشاعر محسناً بين ذلك، وإذا كان مسيئاً بينه كذلك. ومن ذلك أنه سئل عن أبي نواس يوماً: كيف تضع من قدر أبي نواس، وهو الذي يقول: [١]

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني

وإن جرت الألفاظ منا بمدحة لغيرك إنساناً فأنت الذي نعني

قال العتابي: هذا سرقه، قال: ممن؟ قال: من أبي هذيل الجمحي، قال، حيث يقول مـــاذا؟ قال: حيث يقول: [٢]

وإذا يقال لبعضهم نعم الفتى بابن المغيرة ذلك النعم

عقم النساء فلا يجئن بمثله إن النساء بمثله عقم

قال: فقد أحسن في قوله:[٣]

فمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص ٧٣، انظر أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٨٧.

(٢) المسعودي، المصدر نفسه، ج٣/ص ٧٣، المرجع نفس، ص ٨٧.

(٣) المسعودي، المصدر نفسه، ج٣/ ص ٧٣، المرجع نفس، ص ٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال العتابي: سرقه أيضاً، قال له: وممن؟ قال: من سوسة الفقعسي، قال: حيث يقول ماذا؟ قال: حيث يقول:[١]

إذا ما سقيم حل عنها وكاءها تصعد فيه برؤها وتصوبا

وإن خالطت منه الحشا خلت أنه على سالف الأيام لم يبق موجبا

قال: فقد أحسن في قوله:[٢]

وما خلقت إلا لبذل أكفهم وأقدامهم إلا لأعواد منبر

فقال العتابي: قد سرقه أيضاً، قال: ممن؟ قال: من مروان بن أبي حفصة، قال: حيث يقول ماذا؟ قال: حيث يقول[٣]

وما خلقت إلا لبذل أكفهم وألسنهم إلا لتجبير منطق

فيوماً يبارون الرياح سماحةً ويوماً لبذل الخاطب المتشدق

فسكت الرجل، ولو أتى بشعره كله لقال سرقه.[٤]

ويدل ذلك على قدرة العتابي الواضحة في معرفة الشعر وثقافته العالية بذلك، وكان نقده لشعر أبي نواس قائم على الدليل والحجة، فعندما يتهم أبا نواس بالسرقة الأدبية، يأتي بالدليل والشاهد الشعري، ويبين موضع تلك السرقة، وهو بذلك يتبع مبدأ يؤمن به، فهو القائل: " من قرض شعراً .....، فقد استهدف الخصوم، واستشرف للألسن إلا عند من نظر فيه بعين العدل، وحكم بغير الهوى...".[٥]

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص ٧٣، انظر أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٨٧.

(٢) المسعودي، المصدر نفسه، ج٣/ ص ٧٣، المرجع نفس، ص ٨٧.

(٣) ديوان مروان بن أبي حفصة، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ٨٣

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٣/ص ٧٣، انظر أحمد النجار، العتابي أديب تغلب، ص ٨٧.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣/ص ٢٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونقد منصور النمري بيت العتابي الذي يقول فيه :[١]

يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

فقال النمري: العصافير تتكلم؟ فقال العتابي: نعم تتكلم وتنطق، ويقال ذلك لمن أعرب عن نفسه بحال ترى فيه فيقال: أخبرت الدار بكذا، وتكلمت بكذا، فكيف ما له نطق، أما سمعت قول كثير:[٢]

سوى ذكرة منها إذا الركب عرسوا وهبت عصافير الصريم النواطق

وقول الكميت:[٣]

كالناطقات الصادقا ت الواسقات من الذخائر

فسكت المنصور منقطعاً.[٤]

وتظهر قدرة العتابي في الرد، وسرعة البديهة لديه، والإتيان بالبراهين والأدلة التي تعزز إجابته، ولعل هذا كان من أثر الاعتزال في نفسه أولاً، وأثر الحكم والمنطق اليوناني في عقله ثانياً، فإنه لم يكن يجيب عن مسألة أو نقد إلا وعززها بدليل وبرهان، ونقد قول أبي نواس الذي قاله، وهو في سجنه، لهارون الرشيد كما تقدم،[٥] حين قال:

إن أنت لم ترفع به رأساً هديت فنصف راس

فقال العتابي: ما أحسن نصف رأس الخليفة يرفع ![٦]

([١]) الجاحظ، الحيوان، ج٢/ ص٢٩٦.

([٢]) ديوان كثير عزة، شرح عدنان زكي درويش، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤، ص ١٧٨.

([٣]) شعر الكميت بن زيد الأسدي، جمع داوود سلوم، عدد (١-٢) مجلة بغداد، سنة ١٩٦٩، ص ١٣٤.

([٤]) الزجاجي، مجالس العلماء، ط٢، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٣.

([٥]) في علاقة العتابي بأبي نواس، ص ، من هذا البحث.

([٦]) المرزباني، الموشح، ص ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالعتابي فطن بذلك الشعر للعيب الذي قد يعاب به، فأبو نواس يستعطف هارون الرشيد، ويخاطبه إذا أنت لم ترفع رأسك بأبي نواس فكأنك فقدت نصف رأسك، وهو بذلك يقلل من شأن الخليفة ولا يمدحه.

ونقد كذلك بعض شعر أبي نواس، فقال عنه: " والله إنه لشاعر، ولكنه، تمادى به حب البديع حتى أغرق فيه"[١] فهو ينظر إلى شعر غيره بعين الناظر إلى شعره، فيحب لهم ما يحب لنفسه، فقد أعجب ببعض شعر أبي نواس فنقده نقداً إيجاباً، ولم يعجب ببعضه الآخر.

وكانت للعتابي آراء وتعريفات في البلاغة والفصاحة، كان لها الأثر الواضح بين أصحاب النقد والبلاغة، حتى تداولوها في كتبهم ومؤلفاتهم.

ومن الذين اهتموا بآراء العتابي في البلاغة أبو عمرو الجاحظ، في البيان والتبيين، في معرض الحديث عن البيان وتعريفه، فقد عد الجاحظ أن الغاية من البلاغة والبيان، هي الفهم والإفهام، فيقول: " إنما تدار الأمور والغاية التي يجرى إليها بالفهم ثم الإفهام".[٢]

فالجاحظ يؤكد أن الغاية من البلاغة، أن يفهم المتكلم أو المتحدث ما يريد أن يقوله من أفكار وغايات، قبل أن يتحدث، ثم أن يكون قادراً على إفهام تلك الأفكار للمتلقين، لأن من غمضت عليه الفكرة، فإنه لن يستطيع أن يوضحها، وليؤكد الجاحظ قضية الفهم والإفهام، عرض قول العتابي[٣] ليفسره قائلاً: "... والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون، والمعدول عن جهته، والمصروف عن حقه، أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان، بعد أن نكون قد فهمنا عنه..."[٤]

([١]) المرزباني، الموشح، ص ٢٤٥.

([٢]) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص ٣٩.

([٣]) الجاحظ، المصدر نفسه، ج١، ص ١١٣.

([٤]) الجاحظ، المصدر نفسه، ج١، ص ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والجاحظ في تفسيره لقول العتابي يورد مفهوم رأي العتابي بصورة جوهرية، دون أن يورد النص حرفياً في ذلك الموضع، ولكنه يذكره في موضع آخر، فقد أجاب العتابي بعد أن سئل ما البلاغة؟ بقوله:" كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة، فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب، فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق".[١]

وقول العتابي هذا، يؤكد ما ذهب إليه الجاحظ في تفسيره من حيث العناية بالمعاني والألفاظ، والبليغ هو من خلى كلامه من العقد التي تصيب اللسان كالإعادة والحبسة، ومن خلال ما فسره الجاحظ، وما قاله العتابي، أكدا بذلك نظرية الجاحظ الخاصة في هذه القضية، وذلك في تركيزه على أن الغاية من البيان والبلاغة، هي الفهم والإفهام.

وكما ناقش الجاحظ رأي العتابي في البلاغة، وعد الغاية منها، الفهم ثم الإفهام، فقد ناقش أبو هلال العسكري رأي العتابي نفسه، فالعتابي عد كل من أفهم حاجته فهو بليغ، ورد أبو هلال العسكري على ذلك بقوله:" إنما عنى أن من أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة، والعبارة النيرة فهو بليغ. ولو حملت هذا الكلام على ظاهره للزم أن يكون الألكن بليغاً، لأنه يفهمنا حاجته، بل يلزم أن يكون كل الناس بلغاء حتى الأطفال.[٢]

وجعل العتابي، البليغ الذي يزيد فضله على غيره، ويفوق كل خطيب، يتصف بأفضل الصفات، فقال:" فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب، فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل صورة الحق."[٣] وهو بذلك يؤكد صفات البليغ، وأسس البلاغة،

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١١٣.

(٢) أبو الهلال العسكري، الصناعتين، ص ١٦٠.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١١٣، راق عليه، زاد عليه فضلاً وقد عداه هنا بغير حرف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانتقاء الألفاظ للتعبير عن المعاني المطلوبة، وهذه الأفكار أيضاً من آثار بشر بن المعتمر في تعريفه للبلاغة والبلغاء. [١]

وإذا عرف العتابي البلاغة، والغاية منها، فقد اهتم كذلك بصفات البليغ، والأوقات التي يحسن أن يكتب فيها، ولعل العتابي تأثر في هذا المجال بفكره المعتزلي وبآراء المعتزلة خاصة علماء الأدب واللغة منهم.

ويؤكد العتابي أن البليغ يجب أن يفهم الفكرة والمعنى أولاً، ويثبتها في ذهنه حتى يستطيع التعبير عنها، فقد جاء صديق للعتابي يوماً فقال له:" اصنع لي رسالة، فاستمد مدةً بعد أخرى، ثم علق القلم، فقال له صاحبه: ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك، فقال له العتابي، إني لما تناولت القلم تداعت علي المعاني من كل جهة، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه، ثم اجتبي لك أحسنها"،[٢] فلم يستطع العتابي وهو البليغ العالم بأسرار اللغة أن يصنع الرسالة لصاحبه، لأن المعاني تكاثرت عليه، فأراد أن يرتبها حتى يستطيع أن ينظم ألفاظه.

وأكد العتابي المعنى ذاته حين قال في البلاغة: "رسائل المرء في كتبه أدلُ على مقدار عقله، وأصدق شاهداً على غيبة لك، ومعناه فيك.[٣] فما يكتبه المرء يكون دالاً عليه، وعلى فكره ويكون أصدق شاهداً عليه إذا غاب.

والعتابي في تعريفه للبلاغة، وفي توقفه عن كتابة رسالة صديقه يطبق أحد الأسس التي تبناها ووضعها بشر بن المعتمر في صحيفته القيمة التي نقلها الجاحظ في البيان والتبيين، وقد

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ص ١٢٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ١٧٤.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعرض فيها ابن المعتمر إلى أمور أساسية في البلاغة، نصح فيها الكاتب أن يتخير وقتاً للكتابة، وليعمد إلى أوقات الفراغ، ومواتاة الطبع، ذلك أحرى أن يخرج الكلام عنده سهلاً سائغاً.[١]

سئل العتابي : " بم قدرت على البلاغة، فقال: " بحل معقود الكلام"[٢]، وهو بذلك يجعل الكلام البليغ، ما سهل لفظه، وكان معناه ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً.[٣]

وأورد أبو هلال العسكري وصفاً للعتابي يصف فيه الألفاظ والمعاني، يقول:" وقال العتابي: الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخراً، أو أخرت منها مقدماً، أفسدت الصورة وغيرت المعنى، لتحولت الخلقة، وتغيرت الجبلة".[٤]

وقد علق العسكري قائلاً: وقد أحسن في هذا التمثيل،[٥] فالعتابي شخص الكلام، فجعل اللفظ كالجسد، والمعنى كالروح، ولا يمكن لأحدهما أن يصلح دون الآخر، فإذا فسد الجسد فسدت الروح، وكذلك الكلام، وقد شبه الجاحظ الأسماء بالأبدان، والمعاني بالأرواح،[٦] وقد تحدث في ذلك غير واحد من النقاد العرب الذين تناولوا موضوع اللفظ والمعنى.[٧]

ويستمر العتابي في بث أسس واضحة في علم البلاغة والنقد، وتصبح هذه الأسس قواعد تحتذى من بعده وله في حسن النظم قول نستطيع أن نعده قاعدة راسخة في ذلك، يقول:" ليست البلاغة بالإكثار والإقلال، لكن البلاغة سد الكلام بمعانيه وإن قصر، وحسن التأليف وإن طال"[٨].

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ١٢٦.
(٢) ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ٧٨.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ص ١٢٦.
(٤) الجاحظ، المصدر نفسه، ج١/ص ١٥١.
(٥) الجاحظ، المصدر نفسه، ص ١٦٠.
(٦) الجاحظ، الحيوان، ج٣/ ص ١٣٢.
(٧) تحدث عن ذلك ابن طباطبا في عيار الشعر، ص ١٢١، وابن رشيق في العمدة .ج٢/ص ٩٤.
(٨) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ٣٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعتابي بذلك يدعو إلى أن لكل مقام مقالاً، فإذا كان المقام يتطلب الإيجاز في الكلام وأوجز المتكلم يكون بذلك قد وصل إلى معنى البلاغة، وإذا كان المقام متطلباً الإطالة، وأطال المتكلم يكون قد وصلها كذلك.

ولعل العتابي تأثر في ذلك القول، برأي ابن المقفع في البلاغة حيث قال: الإيجاز هو البلاغة، "فأما الخطب بين السماطين، وفي إصلاح ذات البين، فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال، وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك".(١)

وللعتابي رأي في عيوب الفصاحة، وقد أورد ابن عبد ربه في باب الفصاحة، فصل آفات النطق، قولاً للعتابي حول ذلك يقول: " إذا حبس اللسان عن الاستعمال، اشتدت عليه مخارج الحروف".(٢)

ولعل العتابي قصد بذلك القول: إن التمرن على قول الفصيح من الكلام يجعل المرء قادراً على قوله، وإن من حبس لسانه عن قول الفصيح منه، أصبح غير قادر على الكلام الفصيح الصحيح.

وعدّ البليغ بأنه الذي لا يحتاج إلى إعادة لكلامه أو إلى استعانة، "وقد قيل له ما الاستعانة؟ فقال: يقول عند مقاطعة كلامه: ياهناه، وسامع، وفهمت، وما أشبه ذلك من إمارات العجز ودلائل الحصر، فإنما ينقطع كلامه، فيحاول وصله بهذا فيكون أشد لانقطاعه"(٣) .

فالاستعانة على الكلام، بكلمات تقطع الحديث، والإتيان بإشارات مبالغ فيها، يعد من عيوب البليغ المتكلم.

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ص١٥١.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣/ ص ٢٥٥.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ج١/ص ١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطلق العتابي حكماً عاماً، يطلب فيه من النقاد إذا أراد أحدهم أن يكون موضوعياً في نقده، بأن يبتعد عن الميل والهوى في نقده، يقول: " من قرض شعراً، أو وضع كتاباً، فقد استهدف للخصوم، واستشرف للألسن، إلا عند من نظر فيه بعين العدل، وحكم بغير الهوى، وقليل ما هم".[١]

ونتبين من ذلك أن العتابي كان قادراً على نقد الشعر بطريقة موضوعية، فكان إذا نقد أحدهم، أتي بالدليل والحجة على قوله ونقده، وبدا العتابي قادراً على الحديث في البلاغة، وقد كانت آراؤه البلاغية ذات أهمية واضحة في علم البلاغة، وقام بمناقشة هذه الآراء كبار المشتغلين في هذا العلم، ويدل ذلك على معرفة العتابي بالبلاغة والنقد، ولأن العتابي كان ممن عرفوا باعتزالهم، فكان ممن عني بمعرفة الأصول التي تقوم عليها براعة القول. لأن صناعة المعتزلة كانت تقوم على إحسان فن الكلام، وفن المناظرة والمجادلة، فنثر أقواله وملاحظاته عن البيان والبلاغة، مستوحياً ذلك من قدرة المتكلمين حوله في مناظرة خصومهم وإفحامهم بالحجج الصحيحة. [٢]

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣/ ص ٢٥٥،

(٢) انظر: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٤٤- ٤٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع
الدراسة الفنية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

بناء العمل الأدبي

بناء القصيدة:

يتطلب الحديث عن بناء القصيدة الحديث عن مقدمة القصيدة وحسن التخلص، وخاتمتها، ثم الحديث عن وحدة القصيدة وترابط أجزائها، والحديث عن المطولات والمقطوعات، وقد عني القدماء بمطالع الأعمال الأدبية، فقالوا "أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات، فإنهن دلائل البيان"[١]. "وركز القدماء على مطلع القصيدة كثيراً، وكانوا يعدونه أحسن شيء في صناعة الشعر"[٢]. فالمطالع هي أول ما يطرب الأسماع ولذلك حرص الشعراء على ضرورة أن تكون رشيقة تجذب الأسماع، وتستميل القلوب، وإلى هذا دعا النقاد العرب مثل ابن قتيبة الذي يرى أنّ الشاعر الحاذق هو الذي يجعل مقدمته حسنة شائقة "ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه"[٣].

ومقدمات قصائد العتابي لم تأت على وتيرة واحدة، وأكثر تلك المقدمات جودة ما قاله في قصائده التي مدح فيها الرشيد، وقد جاءت تلك المقدمات تقليدية، إلا أنها حملت معاني جديدة، استقاها العتابي من بيئته الجديدة التي عاشها، كما يبدو في قوله[٤]:

ماذا شجاك بحوّارين من طلل ... ودِمنةٍ كشفت عنها الأعاصيرُ
شجاك حتى ضمير القلب مُشترَكٌ ... والعينُ إنسانُها بالماء مغمورُ

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٤٣١، وانظر يوسف بكار بناء القصيدة العربية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٦٧.

(٢) يوسف بكار، المرجع نفسه، ص ٢٦٩.

(٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١/ص ٢٠.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٢٣، جلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ناظريّ انقباضٌ عن جفونيـــهما وفي الجفـــونِ عـــن الآمـــاقِ تقصـــيرُ
لبست أرديـــةَ النـــوارِ مـــن طلـــلٍ وزلـــت أخضـــر تعلـــوك الأزاهـــيرُ

لقد التزم العتابي بمقدمة طللية تقليدية، تحدث فيها عن الدمن، وأبدى حزناً أحس به حين وقف على تلك الأطلال، ويطيل في تصوير حزنه "محاولاً النفوذ إلى خيال بديع على نحو مـــا يتضح في البيت الثالث"[١]، ولكن طلل العتابي مختلف عن طلل الشعراء الجاهليين والأمويـــن، فهو يتحدث عن طلل بحوارين، وهي من بلاد الشام التي عُرِفت بخضرتها ونضارتها، ودلّ على ذلك دعاؤه لهذه الأطلال بأن تبقى خضراء تعلوها الرياحين والأزهار، على خلاف ما عـــهدناه لدى الشعراء الجاهليين والأمويين، التي كانت أطلالهم صحراوية جافة خاليـــة مـــن الخضـــر والأزهار.

ويبقى العتابي في إطار المقدمة التقليدية، في وصفه للرحلة وللركائب التي وصلت متعبة إلى ممدوحه: [٢]

علمتِ أن سُـــرى ليلـــي ومُطلعـــي من بيـــت نجـــران والغورَيـــن تغويـــرُ
إذا الركائب مخســـوفٌ نواظرُهـــا كمـــا تضمّنـــت الدُهـــن القواريـــرُ

ونوّع العتابي في مقدمة الشعر الغزلي، فكانت بين مقدمات غزلية تقليدية، مقدمات يبكي فيها المحبوبة، ويظهر حزنه على الفراق، إلى مقدمات امتزجت بذكر الطيف والشيب والطبيعة.

ومن مقدماته الغزلية التقليدية قوله[٣]:

عرفتُ مصيفاً من سليمى ومربَعـــا بـــذروة نمّـــود فأكنـــاف بلتـــع

---

(١) شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٠.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٢٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٩.
(٣) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابتعد العتابي في كثير من فنون الشعر عن المقدمات الغزلية، ولعل ذلك يعود إلى أن معظم شعره كان عبارة عن مقطعات شعرية قصيرة إلا في قصائده التي قالها في المديح والاعتذار، ولعل تلك المقدمات الغزلية كانت ضمن قصائد مطولة قد فقدت، ودليل ذلك ما أورده ابن المعتز في طبقات الشعراء، فقد أورد بيتاً في الغزل[١]:

رمى القلب بأسٍّ من سليمي فأقصدا وكان بها هيامة القلب مهندا[٢]

وعلّق ابن المعتز على ذلك بقوله: "وهي قصيدة مشهورة جيدة"[٣]. التزم العتابي بالمقدمات التقليدية خاصة في قصائد المديح، وامتزجت مقدمته بالطبيعة والبيئة التي يحياها، وكان يجد فيها بعض السلو والعزاء عند انصراف المحبوبة عنه، يقول مستهلاً قصيدته في مدح الرشيد[٤]:

يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

أجاد شعراء العصر العباسي ما عُرِف بحسن التخلص أو حسن النسق،وهو استمرار الشاعر في إيراد المعنى الواحد، "وإذا أراد الانتقال إلى معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول وغير منقطع عنه"[٥]، بحيث لا يشعر المتلقى بفجوة بين الانتقال من معنى إلى آخر. وقد أحسن العتابي في حسن التخلص الذي جاء علامة على تمكنه وبراعته في تصريف معاني الشعر، ويظهر مثل ذلك في قصيدته التي مطلعها:

---

[١] ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٦١.

[٢] المصدر نفسه.ص ٢٦١.

[٣] المصدر نفسه.ص ٢٦١.

[٤] الجاحظ، الحيوان، ج٢/ص ٢٩٦، حلاوي شعر العتابي، ص ٣٩٧.

[٥] ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، ١٩٥٢، ص ٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ماذا شجاك بحواريـــن مـــن طلـــل ودمنـــة كشـــفت عنـــها الأعـــاصير[١]

فبعد مقدمته الغزلية التي تحدث فيها عن الأطلال والدمن، وعن أحزانه التي هاجت حين وقوفه على الطلل، وبعد حديثه عن شوقه لمحبوبته، وتصوير حال الركب الذي أرهقه التعب من طول الرحلة، يتخلص من تلك الصورة تخلصاً جميلاً، فقد أتبع ما تقدم بنداء للممدوح، وتذكـــر لصلة الرحم بينه وبين ممدوحه، فقال[٢]:

إذا الركائب مخســـوف نواظرهـــا كمـــا تضمنـــت الدهـــن القواريـــر
نادتك أرحامنا اللاتـــي نمـــت بـــها كمـــا تنـــادي جـــلاد الجلـــة الخـــور

ويظهر حسن التخلص عند العتابي، في قصيدة غزلية، بدأها ببث أشواقه وأحزانه بسبب صد محبوبته وابتعادها عنه، مطلعها[٣]:

ما غناء الحذار والإشفاق وشآبيب دمعك المهراق

وبعد أن انتهى من تصوير حزنه على فراق محبوبته، وبث أشواقه، يتخلص إلى معنـــى آخر وهو الشكوى من حادثات الدهر، ويربط تلك الشكوى بابتعاد محبوبته، فيقول[٤]:

هوني مـــا عليـــك واقنـــي حيـــاءً لســـت تبقيـــن لـــي ولســـت ببـــاق
اينـــا قدمـــت صـــروف المنايـــا فـــالذي أخـــرت ســـريع اللحـــاق
ويـــد الحادثـــات رهـــن بمـــرا ت مـــن العيـــش مصـــبرات المـــذاق

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٢٣، حلاوي، شعره، ص ٣٩٩.
(٢) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١٢٣، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٩.
(٣) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٣، حلاوي المرجع نفسه، ص ٤٠٩.
(٤) الحصري، المصدر نفسه، ج٢/ص ٦٢٣، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عني النقاد بالخاتمة كعنايتهم بالمطلع، ونظروا إليها كما نظروا إلى المطلع من حيث الاهتمام بالسامع أو المخاطب، فكما يكون للمطلع أهميته في لفت انتباه السامع، كذلك الخاتمة لأنها آخر ما يبقى في الأسماع. وإذا ما أردت التحدث عن خواتيم شعر العتابي وجدت صعوبة في ذلك، لأن معظم شعره كان مقطوعات شعرية لم تصل إلى حد القصائد المطولة، ولكن من خلال ما وصل إلينا من قصائد قصيرة له نتبين اهتمامه بالخاتمة.

ويظهر ذلك في قصيدته الرائية التي قالها في الرشيد وقد استهلها بمقدمة غزلية، ثم اعتذر لممدوحه عن إساءة بعض أفراد قبيلته، وهو الوليد بن طريف الذي خرج على الرشيد. ثم ختم قصيدته بإظهار طاعته وطاعة أفراد قبيلته للرشيد[١]، يقول[٢]:

ومن عرائقه السفاح عندكم مجرب من بلاء الصدق مخبور
الآن قد بعُدت في خطو طاعتكم خطاهم حيث يحتل الغشامير

وفي قصيدته البائية التي قالها معتذراً للرشيد بعد غضبه عليه، وصف فيها رحلته للوصول للرشيد، ويظهر حبه للرشيد، وختم قصيدته هذه بوصف للركب وما فعلت به الرحلة وسهر الليالي، بقول[٣]:

إذا ادرع الليل انجلى وكأنه بقية هندي حسام المضارب
بركب ترى كسر الكرى في جفونهم وعهد الليالي في وجوه شواحب

---

(١) يقصد يزيد بن مزيد، وهشام بن عمرو التغلبي، وهما من القادة الذين عرفوا بولائهم للرشيد الأصفهاني/الأغاني، ج١٣/١٢٤.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١٢٤، حلاوي، شعر العتابي ص ٣٩٩.

(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣، ص ١٢٤، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقصد الشاعر بهذه الخاتمة قصداً، ولم تمثل نهاية طبيعية للقصيدة إذا كانت هـذه هـي نهاية قصيدته، فقد توقف الكلام دون استيفاء الغرض بشكل طبيعي، وكأنه قُطِع قطعاً. فالسامع لهذه الخاتمة يبقى متهيئاً لسماع شيء آخر من الشاعر.

ولعل ذلك يعود لفقدان أجزاء من شعر العتابي، في قصيدته الغزلية التي بث فيها أشواقه وحزنه لفراق محبوبته، بشكوى من الدهر ونوائبه، وأختتمها بخاتمة طبيعية جاءت بشكل عذب في نهاية تلاءمت مع غرض القصيدة، حتى صارت تلك الخاتمة كالحكمة أو الموعظة التي تبقى لمدة طويلة تتردد في آذان من يسمعها فقال فيها[١]:

عطفت شدة الزمان فأد ... ته إلى فاقة وضيق الخناق
لا يدوم البقاء للخلق لكن ... ن دوام البقاء للخلاق

ومن القضايا التي تتعلق ببناء القصيدة، قضية المقطعات أو المقطوعات الشعرية، ومع أنها ليست جديدة على القصيدة العربية، فإن كثرتها جعلت منها ظاهرة مميزة استوقفت عدداً من النقاد والباحثين لدراستها وتحديد أسبابها[٢].

وقد سرى نظم هذه المقطوعات على ألسنة الشعراء مثل ابن المعتز، والحسين بن الضحاك، وعلي بن الجهم، وغيرهم[٣]. وعلى ألسنة من يتعاملون بالشعر، ويتذوقونه كالخلفاء والوزراء والقادة وكبار الكتاب.

ويجري نظم هذه المقطوعات بطريقة ارتجالية عفوية تعليقاً على حادثة أو وصفاً أو تظرفاً، وفي غير ذلك مما لا يستدعي نظم القصائد الطوال.

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٢٤، حلاوي، شعر العتابي ، ص ٤٠٩.

(٢) يونس السامرائي، ظاهرة المقطوعات، مجلة آداب المستنصرية عدد ٨ سنة ١٩٨٤، ص ٣٠٨-٣٢٧.

(٣) ابن رشيق، العمدة، ج١/ص ١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت معظم تلك المقطوعات نتاجاً لمجالس الخلفاء والأمراء لأنها تكون إمّا تعليقاً على حادثة معينة أو وصفاً لأمر.

وتقدم القول إن المقطوعة تخرج ارتجالاً في معظمها، وهذا الكلام ليس صحيحاً على اطلاقه، لأن بعض الشعراء كالعتابي كانت المقطوعة تخرج منه بعد معاناة تعتمل في وجدانه، فمنها ما كان غزلاً صافياً، أو عتاباً وشكوى، أو حكماً ووصايا وكانت تحمل بين طياتها معاني دقيقة، وتحليلاً لمشاعره.

ولم يعد التقطيع والإيجاز ظاهرة تتعلق بالشعر فقط بل أصبح طابعاً عاماً في الأدب، ومنهجاً عاماً للحياة كما يقول الجاحظ: "إن الرواة وقفوا على القصار والنُتف في كل شيء"[١].

وكان لطبيعة الموضوعات الجديدة التي شاعت في هذا العصر، أثر في ميل الشعراء إلى التقطيع والإيجاز في قولهم للشعر مثل رسائل الاستمناح والاسترضاء.

ومقطوعات العتابي شملت معظم الأغراض الشعرية التي نظم فيها ، وكما تقدم في الفصل الثاني من هذه الدراسة، تضمنت تلك المقطوعات الغزل، والمديح، والعتاب والوصف، والاعتذار والشكوى وعبّر معظمها عن مشاعر العتابي وعاطفته.

اللغة والأسلوب في شعره:

اللغة معين الشعراء الذي لا ينضب في التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم، إلا أن لغة الشعر تختلف عن غيرها لأنها لغة فنية، فاللفظة العادية تكتسب معنى فنياً جديداً يحمل رموزاً وإيحاءات معينة لا تكتسب إلا من خلال اللغة الفنية الأدبية.

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٤/ص٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتباين اللغة ودلالتها، حسب الأغراض التي يتحدث فيها الشاعر، فنرى اللغة تكون رقيقة عذبة في مواضع الرقة كالغزل وبث الأشواق، وتكون جزلة قوية في مواضع القوة كالفخر والمديح، وقد تكون قاسية لاذعة في مواضع الهجاء والسخرية. ولذا لا يمكن أن نطلق حكماً مطلقاً على لغة شاعر ما. فلابد أن تتنوع اللغة والأساليب حسب الموضوع الذي ينظم فيه الشاعر، ومثل هذا التباين في اللغة نراه واضحاً في شعر العتابي لتنوع أغراضه الشعرية وتباينها، فكانت ألفاظه سهلة اللفظ قريبة المعاني في مواضع الغزل كقوله[١]:

رُسُل الضمير إليك تَترى ... بالشوق ظالعة وحَسرى
متزجيات ما ينيـ ... ـن على الوجى من بُعدِ مسرى
ماجف للعينين بعدك ... يا قرير العين مجرى

وقد استشهد بتلك الأبيات على رقة طبع العتابي وسهولته وعدم تكلفة[٢]. ولكنه يبدو أكثر رقه وعذوبه في ألفاظه، حين يطلب حاجة من صديق أو أمير كقوله[٣]:

حسن ظني إليك أكرمك الله ... دعاني فلا عدمت الصلاحا

في حين لجأ العتابى إلى ألفاظ التقريع ومعاني التهكم والسخرية في هجائه، كقوله في هجاء أحدهم[٤]:

لقد كشف الإثراء منك مخازياً ... من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وكقوله في هجاء أهل عصره[٥]:

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٠٨.
(٢) حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٥.
(٣) أبو إسحاق الكتبي، غرر الخصائص الواضحة، ٢٦٩.
(٤) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج٢/ص ٤٦٣. حلاوي، شعر الضابي، ص ٣٩٣.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/١٢٣، حلاوي، شعره، ص ٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأضحى الجـــودُ عندَهـــم جنونـــاً فمـــا يســـتعقلون ســـــوى الشـــــحيح

ويبدو أسلوب الدعاء للمخاطب في كثر من أغراض شعره.

وتعد لغة العتابي الشعرية انعكاساً لتنوع ثقافته، المنبثقة من ثقافة عصره، فـــأدخل فـــي شعره ألفاظاً معربة، كالديباج والسرق، والفاظاً استمدها من ثقافته العربية البدوية، كاســـتخدامه كالغرة الشهباء، في وجه دهماء، جأواء مظلمة دارس الإعلام، عافي الملاعب وغيرهـــا مـــن الألفاظ.

وكان العتابي يعمد إلى بعض الصنعة في استخدام بعض الألفاظ، وقد عاب بعض النقـــاد عليه استخدامه مثل تلك الألفاظ من أمثال ابن المنجم الذي عمل رسالة في المفاصلة بين العتـابي والعباس بن الأحنف، في قوله يمدح الرشيد[١]:

فـــت الممـــــادح إلا أن ألســـننا مســـتنطقات بمـــا تحفـــي الضمـــــائير

"فقال الممادح، والمدائح أحسن منها وأخـــف علـــى الســـمع، وأشـــبه بألفـــاظ الحـــذاق والمطبوعين، وقال مستنطقات، ونواطق أحسن وأطبع، ثم قال، الضمائير، وهي أثقل لفظة فـــي البيت لو وقعت على البحر لكدرته"[٢].

وعلّق ابن المنجم على تلك اللفظة "بأنها صحيحة، ولكنها غير مألوفة، ولا مستعذبة، وما شيء أملك بالشعر بعد صحة المعنى من حسن اللفظ، وهذا عمل التكلف وسوء الطبع"[٣].

وترتب على هذا التباين في الألفاظ تباين في الأساليب كذلك، فأصبح لكل أسلوب ألفاظـــه ولغته الخاصة التي تتناسب والمعاني التي يطرقها الشاعر. وقد استخدم العتابي أساليب عدة في

---

[١] الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/١٢٣، حلاوي، شعره، ص ٣٩٩.

[٢] المرزباني، الموشح، ص ٢٦٥-٢٦٦.

[٣] المزباني، المرجع نفسه، ص ٢٩٦، وانظر، إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ٨٧-٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شعره، فقد استخدم الأسلوب الإنشائي في استهلالات شعره، ومن الأساليب الإنشائية استخدامه أسلوب الاستفهام ويظهر ذلك في قوله[١]:

ماذا شجاك بحوارين من طللٍ ودمنةٍ كشفت عنها الأعصارُ

وفي قوله: [٢]

أمـا راع قلـب العامريـة أننـي غـدوت ومرجـوع السـقام قرينـي

وقوله في مقطوعة غزلية أخرى[٣]:

أيصـدف عـن أمامـة أم يقيـم وعـهدك بالصبـا عـهد قديـم

وأسلوب الندا كما ويظهر في قوله[٤]:

يـا مـن أفـادتني زيارتـه بعـد الخمـول نباهـة الذكـر

وقوله[٥]:

أيها الساقي الذي أصبح يسقينا الرحيقا

قوله[٦]:

يـا صاحبـا متلونـاً متباينـاً فعلـي وفعلـه

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٢٣، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٩.

(٢) الأصفهاني المصدر نفسه، ج١٣/ص١١٢.

(٣) الأصفهاني المصدر نفسه، ج١٣/ص١١٢.

(٤) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٢١، حلاوي المرجع نفسه، ص ٤٠١.

(٥) الرقيق النديم، قطب السرور ص ( ) حلاوي، ص ٤١٠.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١١٧ حلاوي، شعره، ص ٤١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأسلوب التمني، ويظهر في قصيدة يبث فيها أشواقه وشكواه لمحبوبته استهلها بقوله[١]:

لو رأتني بذي المحارة فردا وذراع ابنه الفلاة وسادي

ومن السمات الأسلوبية التي ظهرت في شعر العتابي أسلوب الدعاء كقوله[٢]:

حسن ظني إليك أكرمك الله دعائي فلا عدمت الصلاحا

وقوله[٣]:

لبست أردية النوار من طلل وزلت أخضر تعلوك الأزاهير

وقوله[٤]:

فإن تك حمى الغيث شفك غبها فعقباك منها أن يطول لك العمر

واستخدم العتابي أسلوب القسم كقوله[٥]:

ولعمري لقد تخيرت وجهاً ما به خاب من أراد النجاحا

وقوله[٦]:

حلفت لها بالله أنك منيتي فكوني لعيني حيث ما نظرت نصبا

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٣، حلاوي شعره، ٣٩٤.

(٢) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج١٢/ص ٦٦٣. حلاوي شعره، ص ٣٩٣.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٢٣، حلاوي، شعره، ٣٩٩.

(٤) الثعالبي، المنحتل، ص ٢٨٠، حلاوي، شعره، ص ٤٠٥.

(٥) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، ج١٢، ص ٣٦٣، حلاوي شعره، ص ٣٩٣.

(٦) البغدادي، تاريخ بغداد ج١٢/ص ٤٩١ حلاوي، شعره ص ٣٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالعتابي نوع في الأساليب الإنشائية التي استخدمها في شعره، وكان لكل أسلوب وقعه الخاص الذي يتساوق والمعنى الذي نظم فيه، مما أكسب شعره جزالة وقوة، في موقع القوة ورقة وعذوبة في موقع الغزل والاستعطاف.

وأكثر العتابي من استخدام الأسلوب التقريري، ليؤكد المعنى الذي يريده، أو ليبين فكرة معينة يطرح رأيه فيها، ويظهر ذلك في استهلال كثير من شعره؛ يقول في طلب العفو والاعتذار للرشيد[١]:

جعلت رجاء عفوك عذراً وشبتهه بهيبة إما غافراً ومعاقب

وقوله في مدح الرشيد[٢]:

إمام له كف تضم بنانها عصا الدين ممنوع من البري عودها

ويستخدم العتابي التكرار في شعره، ليظهر بعض ملامح الفنون البديعية، فيؤدي ذلك إلى بروز الصنعة في شعره كقوله في وصف السحاب[٣]:

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق يخفيه طوراً ويبديه لنا الأفق

والشاعر في أبيات وصف السحاب كرر ألفاظاً ذات طابع خاص أفضت إلى نوع من الصعوبة في اللفظ. فكرر ألفاظاً تتشابه في بعض الحروف مثل، بلق، يقق، مفنفتق، منخرق، يحترق، صهصلق، مؤتلق، منبعق.

ويكرر العتابي المعنى ذاته في البيت الواحد كقوله[٤]:

---

(١) البغدادي، تاريخ بغداد ج١٢/ص ٤٩١ حلاوي، شعره ص ٣٨٦.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٤، حلاوي، المرجع نفسه، ٤١٨.

(٣) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج٢، ص ٩، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٨.

(٤) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٣. حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقائلة لما رأتني مسهداً كأن الحشا من تلدغه الجمر
أباطن داء أم جوى بك قاتل فقلت الذي بي ما يقوم له صبر
تفرق آلاف وموت أحبة وفقد ذوي الأفضال قالت كذا الدهر

واستخدم كذلك أسلوب السخرية والاستهزاء، مثل قوله[٢]:

اسجد لقرد السوء في زمانه ولو تلقاك بخنزوانه

في سخريته من بعض مظاهر عصره.

ومن السمات الأسلوبية في شعر العتابي المبالغة خاصة في مدحه للرشيد، كقوله[٣]:

مقيم بمستن العلا حيث نلتقي طوارف أبكار الخطوب وعونها

وكقوله[٤]:

فت المدائح إلا أن ألسننا مستنطقات بما تخفي الضمائر

ومما تقدم نلحظ أن العتابي قد نوّع في أساليبه، فطرق الأساليب الإنشائية، والتقريرية، مضمناً تلك الأساليب لغة عصره، وثقافته بالعلوم المتنوعة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن العتابي نظم معظم شعره على شكل مقطوعات، ولتلك المقطوعات أثرها، فهي، أوقع في القلوب، وأسرع إلى الحفظ. جاء في كتاب الصناعتين: "قيل للفرزدق: ما صيرك إلى القصائد القصار بعد الطوال؟ فقال: لأني رأيتها في الصدور أوقع، وفي المحافل أجول"[٥].

---

(١) ابن عبد ربه، ومعقد الفريد ٣/٣١٠، حلاوي شعر العتابي، ص ٤٠٢.
(٢) الجاحظ، الحيوان، ج١/ص ٣٥٥، حلاوي، شعره، ص
(٣) الحصري، زهر الآداب ج٢/ص ٦٢٣، حلاوي، شعره ص ٤١٨.
(٤) الأصفهاني الأغاني ج١٣/ص ١٢٣ حلاوي، ص ٣٩٩.
(٥) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان العتابي في معظم شعره لا يقصد إليه قصداً، وإنما هي دفقة شعورية ينفثها في أبيات قليلة، ويرجع ذلك إلى الظروف التي تقال فيها تلك المقطوعات، ولعل العتابي تأثر بالثقافات السائدة في عصره، فأخذ يقصر شعره، حتى لا يتعدى قوله البيتين أو الثلاثة مما يلم به من أغراض الشعر، "وكأنما يتشبه في ذلك بالأمثال الفارسية القصيرة التي كان يعكف عليها، والتي يمثلها خير تمثيل كتاب الأدب الصغير لابن المقفع"[١].

الصورة الفنية:

الخيال قوة نفسية تقوم بتصوير الفكرة الأدبية تصويراً أدبياً مؤثراً، ويتأثر خيال الشاعر بعوامل عدة أهمها بيئته وثقافته، فالخيال يتأثر بالبيئة، وتخزن المخيلة الصور التي تقع عليها عين الشاعر، وعندما يصف الشاعر شيئاً يقفز خياله إلى الصور المختزنة، وقد يربط الشاعر بين الشيء المرئي الذي تقع عينه عليه، ويبتكر لذلك الشيء المرئي صوراً غير متحققة في عالم الواقع، وقد يشخص الشاعر الأمور المعنوية ويجسدها في صور حسية، وقد يبعث الحياة في الجماد ويشخصه في صورة حية تفيض بالحركة[٢].

ويتأثر الخيال أيضاً بثقافة الشاعر، فالشاعر المثقف يكون أعمق خيالاً، وأقدر على ابتكار الصور والربط بين الأشياء. ويتأثر الخيال بظروف الشاعر الشخصية، فالشاعر البدوي غير الشاعر الحضري، والعتابي وليد بيئته تأثر بالحضارة التي عاش في جنباتها، وتأثر بالثقافة التي غذى بها عقله، والشاعر البارع هو الذي يستطيع أن يقيم تلك العلاقات بين الأشياء المتباعدة،

---

[١] شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٢٣.

[٢] انظر، جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٣-١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد برع العتابي في الأتيان بصور استمدها من البيئة التي يعيشها، فهو يمنح الصورة التي يرسمها الحيوية والحركة، بل يجعلها ناطقة بالحياة، كقوله في وصف البرق[١]:

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق ... يخفية طوراً ويبديه لنا الأفق
كأنه غرة شهباء لائحة ... في وجه أصحاء دهماء ما في جلدها برق
أو ثغر زنجية تفتر ضاحكة ... تبدو مشافرها طوراً وتنطبق
أو سلة البيض في جأواء مظلمة ... وقد تلقت ظباها البيض والدرق

وقد علّق العسكري على وصف العتابي هذا بقوله: "ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب، والقطر والرعد والبرق"[٢].

وربط العتابي بشكل دقيق بين صفات الموصوف، وبين صفات الصور التي استخدمها في تشبيهه، فاستخدم عناصر الحركة واللون والضدية اللونية التي أكسبت الصورة دقة وأبعاداً جمالية أكثر عمقاً. من خلال التجسيم والتشخيص وبث الروح الإنسانية في موجودات هذه الصورة.

ويمعن الشاعر في إكساب كل شيء قيمة جمالية تتناسب مع تلك المشاهد التي يصفها، فتتنوع الصور الحسية لديه، ويجمع بين الصورة البصرية والسمعية في آن واحد لتضفي على المشهد ألواناً من الإثارة في اللون والحركة والصوت كقوله في وصف الغيم والرعد والبرق[٣]:

والغيم كالثوب في الآفاق منتشر ... من فوقه طبق من تحته طبق
تظنه مصمتاً لا فتق فيه فإن ... سالت عزالية قلت الثوب منخرق
إن معمع الرعد فيه قلت منخرق ... أو لألأ البرق فيه قلت يحترق

---

(١) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج٢/ص٩، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٨.
(٢) أبو هلال العسكري، المصدر نفسه: ج٢/ص ٩. المرجع نفسه، ص ٤٠٨.
(٣) أبو هلال العسكري، المصدر نفسه، ج٢/ ص ٩، المرجع نفسه، ٤٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شبه الشاعر الغيم بالثوب الذي أتقن صنعه، فكان نسيجه متماسكاً، وإذا انهمر المطر فإن تلك الغيوم، تصبح كالثوب المثقوب، وإن سمع صوت الرعد كان كالثوب الذي انفتق، وما ينتج عن ذلك الفتق من صوت، وإذا لألأ البرق، كان كالثوب الذي يحترق.

اعتمد العتابي على التشبيه كثيراً في بناء الصورة الفنية، وجعل إلى جانب التشبيه وسائل أخرى تضفي على صوره التجديد والإبداع كالتجسيد والتشخيص.

ومن الصور التي أجاد فيها العتابي حتى طارت بين النقاد يستشهدون فيها على حسن التشبيه قوله[١]:

تبني سنابكها من فوق أرؤسهم سقفاً كواكبه البيض المباتير

وعلى الرغم من أن العتابي أخذ المعنى والتشبيه من بيت بشار إلا أنه أجاد في التشبيه المركب. وقد جوّد العتابي في قوله[٢]:

أكاتم لوعات الهوى وبينها تخلّل ماءِ الشوق بين جفوني

فتظهر عند العتابي تلك الصنعة المميزة في صورة نادرة، جعل منها دليلاً على جودة ما جاء به، فقد جعل للشوق ماء على سبيل الاستعارة، وماء الشوق كناية عن دموعه التي تتخلل بين جفونه. وقد استشهد أبو بكر الصولي ببيت العتابي في معرض دفاعه عن بيت مشابه لأبي تمام[٣]:

---

(١) الجاحظ، الحيوان ج٣/ص ١٢٧، الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق، محمد رشيد رضا، الشيخ أسامة صلاح. دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٢ ص ٢٩٢. الحاتمي، حلية المحاضرة، تحقيق هلال ناجي، بغداد، ١٩٧٨، ص ٦٦.

(٢) الحصري، زهر الآداب ج٢/ص ٦٢٠، حلاوي، شعر العتابي ص ٤١٧.

(٣) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تسقني ماء الملام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

فالعتابي جعل للشوق ماءً بقوله: (ماء الشوق) وأبو تمام جعل للملام ماء بقوله: (ماء الملام)[١].

وتبدو براعته في استنباط الصور، وربطها مع بعضها لتعطي صورة متكاملة في التنسيق ويبدو ذلك في قوله[٢]:

يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

فشخص الليلة وجعلها، ساهرة، وجعل العصافير كالأشخاص تتكلم، وعلق الجاحظ على تكلم العصافير بقوله: "استعمال الكلام بمعنى الصياح في قول كلثوم بن عمرو..."[٣].

وهي صورة متداخلة متعددة الأطراف، وأجزاء الصورة موجودة في عالم الواقع والمحسوس، وجعل من المعنويات، أشياء محسوسة أو أشخاصاً يتحركون.

ويستمر العتابي في بث صوره، ويأتي بصور تداولها غيره من الشعراء كقوله[٤]:

غداه عداة الدين شاحذة المدى إليه وغول الحرب فاغرة فما

فشبه نشوب الحرب ووقعها بالوحش المفترس الذي ينقض على فريسته. ومن حسن الاستعارة التي استشهد بها النقاد ما قاله العتابي في مغيب الشمس[١]:

---

(١) أبو بكر الصولي، أخبار أبي تمام، تحقيق محمد عزام، خليل عساكر، لجنة التأليف القاهرة، ١٩٣٧، ص ٣٧.

(٢) الجاحظ الحيوان ج٢/ص٢٩٦، حلاوي شعر العتابي ص ٣٩٩.

(٣) الجاحظ، المصدر نفسه، ج٢/ص ٢٩٦.

(٤) الحصري، زهر الآداب، ج ١/ص ٥/١، الكتبي، فوات الوفيات، ج٣/ص ٢٢١. حلاوي المرجع نفسه، ص٣٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجـدّ ولمـا يجمـع الليـل شـمله فمـا حـلّ إلا وهـو ورد الغـوارب

وهي صورة تداولها الشعراء في تصوير مغيب الشمس ولونها الأصفـر المـائل إلـى الحمرة، وقد أخذ مسلم بن الوليد المعنى ذاته من العتابي فقال[٢]:

فلما انتفى الليل الصبـاح وصلنـه بحاشـية مـن لونـه المتـورد

ويأتي العتابي بتشبيهات نادرة، غير مطروقة كقوله وهو يتحدث عن نفسه حين ارتحـل يطلب عفو الرشيد، مصوراً حاله وهو يسير في الليل، وقد أنهكه التعب[٣]:

إذ ادرع الليـل انجلـى وكأنـه بقيـة هنـدي حسـام المضـارب

وهي صورة تحمل بين طياتها الجدة والغرابة، فقد شبه ذلك الفتى الذي يدّرع الليـل أي يلبسه لبساً، وتعبه الذي بدا كحد السيف الذي بلي من كثرة الضرب فيه.

ومن تشبيهاته، ما صوّر فيه علل البخيل على أمواله، فقد شخص تلك العلـل، بصـورة أناس يحملون وجوهاً سوداً، ولكن عيونهم زرقاء، فهي وجوه قبيحة لا جمال فيها، ويبدو ذلـك في قوله[٤]:

وللبخيـل علـى أموالـه علـل زرق العيـون عليـها أوجـه سـود

وتبدو آثار القصد إلى الصور قصداً، والافتنان بتلك الصور افتناناً في قوله[٥]:

إذ الركـائبُ مخسـوفٌ نواظرُهـا كمـا تضمّنـت الدُّهـن القواريـرُ
نادتك أرحامُنا اللاتـي نمـت بـها كمـا تنـادي جـلاد الجلّـة الخـورُ

---

(١) ديوان صريع الغواني ط٢، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف، ص ٤٠٠.

(٢) ديوان صريع الغواني، ص ٤٠٠.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٢٤، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٨٥.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٢/ص٤٩١، حلاوي، شعر العتابي، ص ٣٩٥.

(٥) الأصفهاني، الأغاني ي، ج١٣/ص٢/٢٣ حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصور تعب الركائب الذي بدا في عيونها، فأصبحت عيونها ملتصقة غائرة في محاجرها، كما يلتصق الدهن في الأواني فيصعب إزالته.

وصوَّر الشاعر صلة الأرحام بالأشخاص الذين ينادون شخصاً يودونه ويحبونه، وصوّر ذلك النداء، بنداء الإبل الغزيرة اللبن على غيرها من الإبل الحسنة الكبيرة. وكأني بالعتابي قد استمد تلك الصور من بيئته البدوية" التي عاشها في بداية حياته ويستمر العتابي بالإتيان بتلك الصور. فيصور استياءه من قبيلته وقرابته وعدم رضاه عن بعضهم بقوله [١]:

أرومةٌ عطلتني عن مكارمها كالقوس عطلها الرامي من الوتر

فصور تجرده من قبيلته ومكارمها، بخروج السهم من القوس بيد الرامي، وهي صورة متداولة في الشعر العربي القديم.

وقد احتفل العتابي بصوره الفنية باستخدام التشخيص والتجسيد، متبعاً بذلك مذهب بشار في التشخيص، وفي شعره أمثلة كثيرة على ذلك . منها قوله: مصوراً حوادث الدهر بالإنسان الذي يمد يده بقوله[٢]:

ويد الحادثات رهن بمرا ت العيش مصبرات المذاق

وقوله مخاطباً النجمين وكأنهما شخصان، ومشبهاً الفراق بالسهم الذي يرمي[٣]:

قلت للفرقدين والليل ملق سود أكنافه على الآفاق
أبقيا ما بقيتما سوف يرمي بين شخصيكما بسهم الفراق

وهكذا يجسد العتابي الأمور المعنوية لتبدو شاخصة أمام المتلقي.

---

(١) الحصري، زهر الآداب، ج٢، ص ٦٢٠، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٤.

(٢) الحصري، المصدر نفسه، ج٢، ص ٦٢٠، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٤.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص ١٠٨، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشخص في صورة أخرى، ويجعل الضمير إنساناً يبعث رسلاً منها ما هو ظالع ومنها ما هو متحسر متضرع، يقول[١]:

رسل الضمير إليك تترى بالشوق ظالعة وحسرى

ويستخدم التجسيم والتشخيص في طلب العفو فيجعل الندامة ترد الأمل والشكر يثني العنان، يقول[٢]:

ردّت، إليك ندامتي أملي وثنى إليك عنانه شكري

والعتابي يجعل من القلب إنساناً يحدث نفسه بسبب الهموم التي ألمت به يقول[٣]:

شجاك حتى ضمير القلب مشترك والعين إنسانها بالماء مغمور

وشخص الأجل وجعل له يدان أطبق عليه في قوله[٤]:

ولم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

وجسد في البيت ذاته حياته فجعلها شيئاً يمكن أخذه خلسة وقد لاحظ القدماء أن تصوير العتابي في أغلبه يعتمد على عنصر التشخيص الذي اشتهر فيه بشار بن برد من قبل العتابي لذا جعلوه تلميذا له في الصنعة الشعرية[٥].

---

(١) الجاحظ، الحيوان، ح٣/ص ٤٨٣، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٢٣، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٩٩.

(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص ١١٨.

(٤) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣/ص١١٨، التنوخي، الفرج بعد الشدة، ج٢/ص ٣٢٧.

(٥) محمد مصطفى هداره، اتجهات الشعر العربي في القرن الثاني البحري، ص ٥٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولجأ العتابي في شعره إلى المحسنات البديعة، فقد استخدم البديع دون إفـــراط أو غلـــو، وهذا ما عُرف عنه في التزامه مذهبه في استخدام البديع، ونجد في مجموع ما وصلنا من شـــعر العتابي من الفنون البديعية ما يستحق الدراسة، كالطباق، والجناس والتصريح، وغيرها.

فقد ظهر الجناس في عدة مواضع من شعره، وهو إيراد كلمتين، تتشابهان فـــي تـــأليف الحروف، أو تتشابهان في اللفظ والاشتقاق، أو تتشابهان فـــي تـــأليف الحـــروف دون المعنـــى والجناس يحقق نوعاً خاصاً من الإيقاع في الشعر كما يظهر في قول العتابي[١]:

بغيـــت فلـــم تقـــع إلا صريعـــــاً كـــذاك البغـــي يصـــرع كـــل بـــــاغ

وقد جاء الجناس في البغي، وباغ، وهو جناس اشتقاق.

وقوله[٢]:

فهل أنا ماض في رضاك وقـــابض على حد مصقـــول الغرارِيـــن قـــاضب

وقد جاء الجناس في قابض، وقاضب ويسمى بجناس القلب، وقوله[٣]:

قـــد أتينـــاك للســـــلام مـــــراراً غـــير مـــن منـــا بـــــذاك المـــــزار

وقد جاء الجناس في مرار، ومزار

وقوله[٤]:

لا يدوم البقاء للخلق لكـــ ـــن دوام البقاء للخلاق

وقد جاء الجناس في خلق، وخلّاق.

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢/ص ١٦٣، حلاوي، شعر العتابي/ ص ٤٠٧.

[٢] الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٤، حلاوي، شعره، ص ٣٨٥.

[٣] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/٧٤٠، حلاوي، شعره، ص ٤٠٢.

[٤] الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٢٣، حلاوي، شعره، ص ٤٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما تقدم نتبين أن العتابي استخدم التجنيس، ليغني القصيدة إيقاعاً خاصاً ينسجم وجـــو القصيدة العام دون أن تشعر بتكلف أو تضيع مبالغ فيه، فقد جاء التجنيس منساباً دون أن يـؤدي إلى ثقل أو صعوبة في السمع أو النطق.

وورد الطباق في شعر العتابي بكثرة، ولكنه جاء ليحقق إيقاعاً يترجم مشاعر الشاعر فـي المعاني التي يعبر عنها، ومن أمثلة الطباق قوله[١]:

اعتضـــت باليـــأس منـــك صـــبراً　　فـــاعتدل الحـــــزن والســـــرور

وظهرت المطابقة في الحزن والسرور.

وقوله[٢]:

أُرِقت للبرق يخفو ثم يأتلق　　يخفيه طوراً ويبديه لنا الأفق

وظهرت المطابقة في يخفو ويأتلق، وظهرت في يخفيه ويبديه.

وقوله[٣]:

فمنى نفسي هذان صبوحاً وغبوقاً

ظهرت المطابقة في صبوحاً وغبوقاً.

وقوله[٤]:

بمشرق الأرض طوراً ثم مغربـــها　　لا يخطر الموت من حرصي على بـــالي

ظهرت المطابقة في مشرق، ومغرب

---

(١) ابن يموت المهلهل، سرقات أبي نواس، ص ٥٤، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٥.

(٢) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج٢/ص٩. حلاوي، شعره، ص ٤٠٨.

(٣) الرقيق النديم، قطب السرور، ص ١، حلاوي، شعره، ص ٤١٠.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣/ص١٦٠، حلاوي، شعره، ص ٤١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله[١]:

فكم من مسيء قد لقيت ومحسن فأوسعت ذا حلماً وأوسعت ذا شكراً

المطابقة في مسيء ومحسن.

وقوله[٢]:

كم شاغل بك عدونية وفارغ ما أنت شغله

المطابقة في شاغل وفارغ.

وقوله[٣]:

سكتاته عدة وفي نطقاته تفريق بين قرائن الأموال

وظهرت المطابقة في سكتاته ونطقاته.

ولم يقصد الشاعر إلى الطباق قصداً، بل جاء عفو الخاطر، منسجماً مع الغرض الذي قيل فيه، فجاء سهلاً في معناه. معبراً عن صبر الشاعر على صاحبه، بدلاً من اليأس، فقد اعتدل عنده الحزن والسرور، وعبر عن جمع الممدوح للضدين، كما تقدم ويعبر العتابي عما يجول في نفسه من حزن ويأس من الدنيا، وعدم تفكر، بالموت والحياة، في المطابقة بين المشرق، والمغرب أبرز الطباق المعاني التي يريد الشاعر بيانها سواء أكانت تلك المعاني معبرة عن نفسية الشاعر أو تجسيداً لبعض الصفات.

٥٤٥٤٦٦

---

(١) القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، ص ٦٠٥، حلاوي شعره، ص ٤٠٦.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١١٨، حلاوي، شعره، ص ٤١٣.

(٣) ابن المعتز البديع، ص ١٨، حلاوي شعره، ص ٤١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التصريع:

"ويجري التصريع مجرى القافية، وليس الفرق بينهما إلا أنه في آخر النصف الأول من البيت، والقافية في آخر النصف الثاني منه وقد استعمله المتقدمون والمحدثون في أول القصيدة، وربما استعملوه في أثنائها"[١].

كان للتصريع في مطالع القصائد أثر كبير في تكوين موسيقى معينة منبعثة من داخل الأبيات لأنها تترك أثراً واضحاً على نفس السامع[٢]. والتصريع يظهر فنيةً وتوافقاً بين ألفاظ البيت الواحد، مما يكون بينها من ملاءمة في الجرس. ومن أمثلة التصريع عند العتابي.

قوله في مطلع قصيدته[٣]:

ما غناء الحذار والإشفاق ... وشآبيب دمعك المهراق

وقوله في القصيدة ذاتها[٤]:

إن قضى الله أن يكون تلاق ... بعدما قد ترين كان تلاق
كم صفيين مُنعا باتفاق ... ثم صارا لغربة وافتراق

ومن أمثلة التصريع لديه قوله[٥]:

إن معمع الرعد فيه قلت منخرق ... أو لأ لأ البرق فيه قلت محترق

وكقوله[٦]:

---

(١) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٨٠.

(٢) أحمد علي، أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي، ص ٢٦٩.

(٣) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٢٣. حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٩.

(٤) المصدر نفسه، المرجع نفسه.

(٥) أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج٢/ص٩، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٨.

(٦) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص ٦٠، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حجـابك ليـس يشـبهه حجـــاب وغـــيرك دون مطلبـــه الســـحاب

وقوله[١]:

أيصـدف عـن أمامـة أم يقيـــم وعـهدك بالصبـــا عـــهد قديـــم

وقوله[٢]:

عرفت مصيفاً من سليمى ومربعـــاً بـذروة ثمـــود وأكنـــاف بلتعـــا

وقوله[٣]:

رسـل الضمـير إليـك تـــترى بالشـــوق ظالعـــة وحســـرى

وقوله[٤]:

طمـع النفـوس مطيـة الفقـــر وليأســـها أدنـــى إلـــى الوفـــر

ويشكل التصريع في هذه الأبيات تناغماً أسهم في تشكيل إيقاع كلي للقصيدة أو المقطوعة الشعرية، وللتصريع في مطلع القصيدة دلالته، وحسنه، ويقول ابن سنان في ذلك "والذي أراه أن التصريع يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره"[٥].

وكل ألوان البديع التي استخدمها الشاعر من جناس أو طباق وتصريع، تعد مصادر مهمة للموسيقى الداخلية لما تمنحه من مجال موسيقى يزيد في ترانيم المفردات والتراكيب في السياقات الشعرية. ومن المصادر التي تسهم في تكوين تلك الموسيقى الداخلية تجاور الحروف وتلاؤمها،

---

(١) الأصفهاني الأغاني، ج١٣/ص١١٢، شعر العتابي، ص ٤١٥.

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٦٤، حلاوي المرجع نفسه، ص ٤٠٧.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٠٨، حلاوي، المرجع نفسه، ص ٤٠٣.

(٤) اليغموري، نور القبس، ص ٣٩، حلاوي المرجع نفسه، ص ٤٠٣.

(٥) ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص ١٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجرس الألفاظ من خلال اتحادها في علاقات تركيبية متتابعة، فتكشف عن عمق المعاني وقوة الأحاسيس والتدفقات الشعورية التي تخرج من الشاعر.

وتبدو أصوات الحروف والتآلف بينها، وجرس الألفاظ الذي يؤدي إلى ذلك الإيقاع الموسيقى في شعر العتابي: كقوله في غزله الرقيق[١]:

رسل الضمير إليك تترى بالشوق ظالعة وحسرى
متزجيات ما ينين على الوجى من بعد مسرى

إلى أن يقول[٢]:

ومدامع عبرى على كبد عليك الدهر حرّى

فتكرار حرف الراء وحرف المد جعل بين الأبيات موسيقى ممتدة هادئة تعبر عن شوق الشاعر وحزنه، وألمه الذي يكابده نتيجة الفراق. وتظهر تلك الموسيقى من خلال التناوب والتلاحق الذي يحدث بين ألفاظ القصيدة الواحدة، وكان الشاعر أحياناً يقصد إلى ذلك التكرار حتى تصور لنا تلك الألفاظ المشهد الذي يصفه الشاعر وكأنه حاضر أمامنا، فنرى ما فيه، ونسمع ما يحدثه من أصوات في القصيدة كتكرار الألفاظ المتشابهة في الأوزان وبعض الحروف في قصيدته التي يصف فيها السحاب والمطر والبرق من تلك الألفاظ: مؤتلق، منفتق، يحترق، طبق، تنطبق وغيرها.

ويظهر الشاعر نبرة صوتية مغايرة لما سبق في شكواه من تقدم العمر وضياع الشباب، وحزنه على فراق الأحبة كقوله[٣]:

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج١٣/ص١٠٨، حلاوي، شعر العتابي، ص ٤٠٧.

(٢) المصدر نفسه، المرجع نفسه.

(٣) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٣، ص ١١٢، حلاوي المرجع نفسه، ص ٤١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيصـــدف عـــن أمامـــة أم يقيـــم وعـــهدك بالصبـــــا عـــــهد قديـــم

أقول لمستعـــــار القلـــــب عفىّ على عزماته السيـــــــر العديـــــــم

فنشعر بذلك الإيقاع الحزين الذي أحدثته الألفاظ، كتكرار لفظة العهد، وانتهاء الألفـــاظ بحرف المد الياء وحرف الميم الذي ينبئ بالتحسر والحزن على ذهاب الشباب.

ونخلص إلى القول إن العتابي قد تأثر بذوق عصره الأدبـــي، فـــاتبع مذهـــب التصنيـــع والتنميق، فاستخدم البديع في شعره، ولكنه لم يتخذه مذهباً يصنعه صنعاً في شعره.

ولكنه اعتمد على التوسع في توضيح الجزئيات ورسم الألوان، واستنباط المعاني الدقيقة، والإتيان بعلاقات نادرة بين المشبه والمشبه به، ويعود ذلك كله إلى تطور الصنعة الشعرية بصفة عامة في العصر العباسي الأول، ونزوع الشعراء إلى تلك الصنعة نزوعاً ظاهراً يختلـــف قلـــة وكثرة وصنعة وتصنعاً[١].

بناء العمل الأدبي في نثره:

في الحديث عن بناء العمل الأدبي في نثره، سأتحدث عن المقدمة والعرض والخاتمـــة، أثر عن الكتاب ابتداؤهم الرسائل والخطب بالبسملة، والتحميد ولكن ما وصلنا من رسائل وخطب منسوبة للعتابي جاءت خلواً من البسملة والتحميد، ولعل افتقادها لذلك يعود إلى إهمال الـــرواة طلباً للاختصار.

---

[١] محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي، ص ٥٨٠-٥٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتبدأ بعض رسائله وخطبه بلفظة فصل الخطاب "أما بعد" مثل رسالته التي كتبها إلى صديق يستمنحه فيها، يقول: "أما بعد –أطال الله بقاءك–..."[١]، وفي رسالة كتبها إلى بعض أصحاب السلطان يقول فيها كذلك "أما بعد، فإن سحائب وعدك..."[٢].

وبدأ خطبته الموجزة التي وردت في البيان والتبيين بقوله:

"أما بعد، فإنه لا يجوز عن فضل المرء..."[٣].

ولعل العتابي كان يقصد إلى الإيجاز قصداً كما هو حاله في الشعر، فكان يبدأ نثره بالغرض الرئيسي مباشرة مثل قوله:

"أنت أيها الأمير وارث سلفك..."[٤]، ويظهر ذلك في كتاب يمدح فيه، يقول: "من اجتمع فيه من خلال الفضل ما اجتمع فيك..."[٥].

وفي رسالة بعثها معتذراً يبدأ بالغرض مباشرة يقول:

"إن أقل من بلائك عندي يستغرق ثنائي..."[٦].

وكان العتابي يلحق لفظة "أما بعد" بجملة دعائية موجزة مثل قوله: "أما بعد – أطال الله بقاءك وجعله يمتد إلى رضوانه والجنة–..."[٧].

---

(١) أبو علي القالي، الأمالي، ج٢/ص١٣٥، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص٣٩٨.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص ٢٥٠، أحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ج٣، ٣٩٨.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢/ص ١٤١.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص ٢٣٦.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥/ص ٢٢٤٦.

(٦) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج١٣/ص٣٨٩، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص٤٠٠.

(٧) أبو علي القالي، الأمالي، ج٢/ص١٣٥، أحمد زكي صنوت، المرجع نفسه، ج٣/ص٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما خواتيم رسائل العتابي، فلم يتبع منهجاً واحداً فيها، فنراه -كعادة عصره- يختم بعض كتبه بأبيات من الشعر. مثل قوله: "... واعلم أن الكريم إذا استحيا من إعطاء القليل، ولم يمكنه الكثير، لم يعرف جوده، ولم تظهر همته، وأنا أقول في ذلك:

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود"[١]

ويلاحظ أن العتابي قد ختم الرسالة بأبيات من نظمه، وقد يختمها بشعر ليس من نظمه، مثل قوله في رسالة تعزية: "... فلا يذهب منك ما عوضت، قال الشاعر:

وعُوضت أجراً من فقيد فلا يكن فقيدك لا يأتي وأجرك يذهب"[٢]

وقد يختم رسالته بقوله: "والسلام" كما ورد في رسالة له يقول: "... فليكن وبلها سالماً من علل المطل، والسلام"[٣].

وقد يختم رسالته بجملة تتعلق بغرض الرسالة، فقد ختم رسالته في الاعتذار بقوله: "... وليس من متشابه أخلاقك أن تولي جانب النبوة منك، من هو عانٍ في الضراعة إليك"[٤].

وأما مضامين العتابي في نثره، فقد جاءت ذات وحدة موضوعية، فتضمنت غرضاً واحداً عبّر عنه من غير تطويل وحشو، ولم يكن هناك مجال للاستطرد لأنه يفضي إلى الإطناب، والعتابي كان ينهج منهج الإيجاز، وبالرغم من ذلك فإن العتابي في رسائله -خاصة- كان يبدأها بمدح المخاطب -على سبيل المثال- وذكر خصاله قبل أن يعتذر إليه أو يستمنحه، وهذا لا يعد غرضاً آخر. وظهر ذلك في رسالته التي بعثها إلى صديقه يستمنحه فيها، فقد بدأها بالثناء

---

(١) أبو علي القالي، الأمالي، ص ١٣٦، أحمد زكي صفوت جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص٣٩٩.

(٢) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج١٣/ص ٣١١، أحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ج٣/ص٤٠٠.

(٣) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص ٢٠٥، أحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ج٣/ص ٣٩٨.

(٤) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج٣/ص ٣٧٩، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص ٦٨٦، أحمد زكي صفوت المرجع نفسه، ج٣/ص ٣٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قطعة من سني يوسف، واشتد علينا كلبها وغابت قطتها، وكذبتنا غيومها، وأحلفتنا بروقها، وفقدنا صالح الأخوان..."[١].

وقوله في الرسالة ذاتها، "... وكنا نعفيها من النجعة، استحقاقاً لزهرتها، وشفقة على خضرتها، وادّخاراً لثمرتها..."[٢].

وقد شاعت بعض الألفاظ والمصطلحات المتصلة بعدد من الفنون في نثره، فتراه يستخدم المصطلحات البلاغية مثل: "الإفراط" و"الإطناب" و"التقصير" و"الحشو"، ويستخدم كذلك ألفاظاً دينية أو مستمدة من القرآن الكريم مثل: "من سني يوسف"، "الضراعة إليك"، "الأجر"، "الحسبة" تزكية النفس. وهذا يشي بثقافته الدينية واللغوية.

وتجنب العتابي في نثره الألفاظ المبتذلة والعامية، وقلل من الألفاظ الغريبة الوحشية التي لا تألفها آذان الناس آنذاك، فكانت ألفاظه سهلة النطق واضحة المعنى.

وتراكيب العتابي ليست معقدة أو مركبة، فهي بسيطة قريبة المأخذ مثل قوله: "دعيت إليك ونفسي رهينة بشكرك، ولساني علق بالثناء عليك..."[٣].

ومما يبعد هذه التراكيب عن السهولة قليلاً ما كان يذكره من جمل معترضة ترد بكثرة كقوله: "إن أقل من بلائك عندي يستغرق ثنائي، وأقل من تأميلي إياك يُعفّي على ما كان مني، وليس لك -مع فضلك ورجائي تجاوزك- سبيل إلى قطيعتي"[٤].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص٢٣٧، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣/ص٣١.

(٢) أبو علي القالي، الأمالي، ج٢/ص ١٣٥، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣، ص ٣٩٨.

(٣) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج١٣/ص٣٨٩، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٢/ص٦٨٦. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص ٣٩٧.

(٤) ابن طيفور، المصدر نفسه، ج٣/ص ٣٨٩، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتراوحت الجمل عنده بين الجمل الطويلة، والجمل القصيرة، وإن غلب أسلوب الجملة القصيرة على كتبه، ولعل ذلك يعود إلى اتباع السجع الذي يتبدى أكثر في الجملة القصيرة، ومن جمله القصيرة قوله:

"أنت أيها الأمير وارث سلفك، وبقية أعلام أهل بيتك المسدود بك تلمهم..."[١].

ومن جمله الطويلة قوله: "لو اعتصم شوقي إليك بمثل سلوك عني لم أبذل وجه الرغبة إليك، ..."[٢].

وأسلوب العتابي غلب عليه الإيجاز، وإن لجأ إلى الأطناب في بعض الكتب التي تتطلب ذلك، فأطنب في رسالته التي بعثها إلى صديق له يستمنحه، فبدأ رسالته بمدح صاحبه، وبيان صفاته ولاسيما الكرم، ثم أخذ يظهر حاجته، وما أصابه من فاقة وفقر، وفقده صالح الأخوان، وبدأ بعد ذلك بطلب حاجته مع إقران ذلك الطلب بالتماس الأعذار لصاحبه إذا رد طلبه، وببيان الفضل الكبير الذي يناله صاحبه إذا أجاب طلبه، وينهي رسالته بأبيات من الشعر.

وإلى جانب تلك الرسالة الطويلة قياساً مع غيرها من رسائل العتابي، نراه يوجز في طلب الحاجة بشكل مبالغ فيه فيقول:

"أما بعد فإن سحائب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها سالماً من علل المطل، والسلام"[١].

وعلى الرغم من المبالغة في الإيجاز إلا أنها حملت من المعاني التي أتمّت الغرض المراد من الرسالة.

أما في حكمه ووصاياه فيظهر أسلوبه قريباً من أسلوب ابن المقفع في الإيجاز مثل قوله: "شر الأخوان من إذا وجد مادحاً مدح وإن وجد قادحاً قدح، وإن استودع السرّ فضح"[٢].

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص ٢٣٦.

[٢] ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج١٣/ص ٣٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوله: "ببكاء القلم تبتسم الكتب"[٣].

وقوله: "الأقلام مطايا الفطن"[٤].

وقوله: "حامل كتابي إليك أنا، فكن له أنا والسلام"[٥].

وتبدو تلك الحكم والوصايا على قصرها، كثيفة المعاني، ودقيقة ذات مدلـــولات فلســفية وعلمية.

التأثر بمن سبقه من الشعراء والأدباء:

ومنهم بشار بن برد، الذي تأثر باتجاهه الفني،[٦] فكان العتابي "يحذو حذو بشار في البديع ولم يكن في المولدين، أصوب بديعاً من بشار، وابن هرمة"،[٧] فالعتابي أخذ عن بشار وحاكاه في بعض شعره، وهذا الأخذ جائز لا ينص فيه على عيب[٨]، فأخذ بيت بشار[٩]

كأن مثار النقع فوقَ رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ

وقال[١٠]:

تبني سنابِكُها من فوقِ أرْؤُسِهم سقفاً كواكبهُ البيضُ المباتيرُ

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١/ص٢٥٠، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ج٣/ص ٣٩٨.

(٢) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤/ص٢٤٨.

(٣) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤/ص١٨٢.

(٤) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤/ص٣٢٧.

(٥) ابن عبد ربه المصدر نفسه، ج٤/ص٣٢٧.

(٦) محمد سلام، دراسات في الأدب العباسي، ص ٢٣٠.

(٧) الجاحظ، الحيوان، ج٣/ص ٥٨.

(٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٣/ص ٢٥٩.

(٩) ابن قتيبة، نفسه، ج٣/ص ٢٥٩، ديوان بشار بن برد، تحقيق الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية، والشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٦، ج١، ص٣٣٥.

(١٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج٣/ص ٢٥٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل تأثر العتابي ببشار، وتردده عليه وهو حدث، يعزز احتمالية تلمذة العتابي لبشار، لا سيما أن كليهما انتمى إلى مدرسة البديع وأسبقية بشار الزمنية على العتابي تجعل احتذاء الأخير بالأول فرضية مقبولة[١].

وجاء رجل إلى العتابي فقال له ما أردت بقولك[٢]:

في ناظريَّ انقباضٌ عن جفونهما وفي الجفونِ عن الآماقِ تقصيرُ

فقال: أمتعلمٌ أنت أم متعنت؟ قال: بل متعنت، قال: لا أدري، فقال: أفتقول ما لا تدري؟ وألح عليه بالسؤال، فقال: أردت أن أحكي قول بشار[٣]:

جفت عيني عن التغماض حتى كأن جفونهما عنهما قصار

يروعه السرار بكـل فـــــج مخافة أن يكون به السرار

" فلم يتهيأ أن ألحق هذا القول"[٤].

وقال العتابي في قصيدته الرائية التي مدح فيها الرشيد وأولها[٥]:

يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

قال فيها[٦]:

في ناظريّ انقباضٌ عن جفونهما وفي الجفون عن الآماق تقصير

وهذا بيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه غاية الإحسان وهو قوله[٧]:

---

(١) ناصر حلاوي، المربد، ص ٢٧٧.

(٢) المرزباني، الموشح، ط٣، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٥هـ، ص ٢٢٦.

(٣) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٢٧، ديوان بشار، تحقيق الطاهر بن عاشور، ص ٢٢٤، ٢٢٥، وانظر تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١، ص

(٤) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٥) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٦) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٧) المرزباني، المصدر نفسه، ص ٢٢٨، ، ديوان بشار، ص ٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جفت عيني عن التغماض حتى كأن جفونها عنها قصار

وقد نقد أبو أحمد يحيى بن علي المنجم بيت العتابي، حين فضّل فيها العباس بن الأحنف على العتابي، وقال: مسخ العتابي ببيت بشار، على أن بشاراً قد أخذه من قول جميل[١]:

كأن المحبَ قصير الجفونِ لطول السهاد ولم تقصر

" إلا أن بشاراً قد أحسن في أخذه، ولم يبلغ جميلاً ولكنهما أحسنا في المعنى فتنازعهما العتابي إياه فأساء، وحق من أخذ معنى – وقد سبق إليه– أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه، أو يزيد فيه عليه حتى يستحقه، فأما إذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة، مذموم في التقصير"[٣].

فابن المنجم اتهم العتابي بسرقة المعنى من بشار، لأنه لم يحسن القول فيه، وقصّر في الاحتذاء ببشار. ولعل رأي ابن المنجم يعود إلى أن جميلاً وبشاراً شبها عيون المحب الذي أطال السهر، بالعيون التي قَصُرت جفونهما، فقال جميل: (كأن المحب قصير الجفون)، وقال بشار: (كأن جفونهما عنها قصار). أما العتابي فقد بالغ في هذا المعنى، وقرر ولم يشبه فقال: (وفي الجفون عن الآماق تقصير).

ونهج العتابي في كتاباته النثرية، نهج ابن المقفع، فكان يميل إلى الأطناب إذا كان بحاجة إليه، يسير في هذا على طريق ابن المقفع الذي كان يجمع بين الإيجاز والأطناب كل من مقامه فقد أطال العتابي في اعتذاره للأمير هشام بن عمرو التغلبي[٢]، وأوجز حتى كاد يخل بالمعنى

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٢٢٨، ديوان جميل. تحقيق حسين نصار، ص ١٠٥.

(٢) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج١٣/ص٣٨٩، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٨٦، وأحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ ص٣٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في كتاب يوصي فيه لشخص[١]. ومن أثر ابن المقفع في أدب العتابي النثري، تناوله في حكمه ورسائله معاني تناولها ابن المقفع.

ويبدو تأثره بحكم ابن المقفع في كتابه الذي تحدث فيه عن أصناف الإخوان بقوله: "فرع بائن من أصله، واصل متصل بفرعه..."[٢].

وابن المقفع تحدث عن الأخوان والصداقة في الأدب الكبير، ومما جاء فيه: "اعلم أن إخوان الصدق هم خير مكاسب الدنيا فهم زينة في الرخاء، وعدّة في الشدة، ومعونة على خير المعاش والمعاد"[٣].

فالإيجاز واضح عند الاثنين، فقد اختزل كلاهما أكبر قدر من المعاني في عبارات موحية.

وفي كتابه في تعزية أحد إخوانه نراه قد اتبع فيها سبيل ابن المقفع في تناول المعاني ذاتها، فقد ذكر العتابي، التمسك بالصبر واحتساب الأجر عند الله، وكذلك ابن المقفع ذكر في كتابه قوله: "إنما يستوجب على الله وعده، من صبر لله بحقه، فلا يجتمعن إلى ما فجعت به من ولدك، الفجيعة بالأجر عليه، والعوض منه..."[٤]، وقد يكون التقاؤهما في ذكر هذه المعاني من باب شيوع هذه المعاني عند الكتاب.

إلا أن العتابي ختم كتابه ببيت من الشعر أكد فيه المعنى الذي تناوله في كتابه.

---

[١] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص٣٢٧.

[٢] ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٢/ص٣٠٦.

[٣] ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٨٦.

[٤] ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج٣/ص٣١٨، وانظر أحمد النجار، العتابي، ابن تغلب، ص ٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو تأثر العتابي واضحاً في أقواله وحكمه، بآثار الثقافات اليونانية والفارسية وغيرها من خلال تأثره بابن المقفع الذي تأثر بدوره بتلك الحكم. فإذا قال ابن المقفع "الفكر مفتاح القلب"[١]. "والعُجب كفة العقل"[٢]، و"اللجاجة قعود الهوى"[٣].

فإن العتابي يقول: "الأقلام مطايا الفطن"[٤] و"الشبب تاريخ الكتاب"[٥]. وإذا قال ابن المقفع: "من العلم، أن تعلم أنك لا تعلم بما لا تعلم"[٦]. فالعتابي يقتفي أثره ويقول: "لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف"[٧].

الصورة الفنية:

النثر يخاطب العقل، ويعالج الموضوعات الذهنية في معظم الأحوال، ويهتم النثر بالفكرة أكثر من العاطفة، ولا يهتم بالصور الخيالية غالباً اهتمام الشعر بها، ومع ذلك تأتي الصور عنصراً مهماً في الأسلوب، وتأتي الصور موضحة للفكرة، مبرزة لها، أو مدللة عليها، وقد تستثير الصورة عاطفة القارئ أو المخاطب، فتساعد على إقناعه بالفكرة.

وترد الصور في نثر العتابي بشكل كبير ولكن دون أن يبدو عليها التكلف أو التصنع، وإنما تأتي خادمة للغرض، محققة للهدف. ومن الصور الفنية التي طرقها العتابي. تشبيه الممدوح بروضة غناء، مكنياً بها عن الكرم. ويميل العتابي إلى التشخيص، مثل قوله: "وأنا تحت

---

(١) ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، ص ١٥٥.

(٢) ابن المقفع، المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٣) ابن المقفع، المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ص١٨٢.

(٥) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤/ص٢٤٨.

(٦) ابن المقفع، الأدب الكبير والأدب الصغير، ص ١٦٢.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء،ج٥/٢٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذل الفاقة"[١]. فشخص الفاقة بالإنسان الذليل وقوله: وجه الرغبة إليك، فشخص الرغبة بإنسان يوجه وجهه للممدوح.

ومن حسن تشبيهاته، ما شبه به أنواع الإخوان. فصورهم بفروع شجرة، كل فرع له صفته، وشبه التقوى بالأغصان وعمد العتابي في حكمه إلى التشخيص فنراه يشخص القلم بشخص يبكي، والكتب بأناس يبتسمون في حكمته التي يقول فيها: "ببكاء القلم تبتسم الكتب"[٢].

ويشخص الأقلام بحكمة ثانية، بالمطايا التي يركبها الناس فيقول "الأقلام مطايا الفطن"[٣].

ومن الصور الفنية التي جاء بها العتابي في نثره قوله: "سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف"[٤] كناية عن الفقر الذي أصابه.

وقوله: "اشتد علينا كلبها"[٥].

كناية عن قلة الطعام.

وقوله: "غابت قطتها"[٦].

كناية عن قلة الطعام كذلك.

وقوله: "كذبتنا غيومها" [٧].

كناية عن قلة المطر، والقحط.

---

(١) ابن طيفور، المنظوم والمنثور، ج١٣/ص٣٨٩، الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص٦٨٦، أحمد زكي صفوت جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص٣٩٧.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص٢٤٨.

(٣) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤/ص١٨٢.

(٤) أبو علي القالي، الأمالي، ج٢/ص١٣٥، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص٣٩٨.

(٥) أبو علي القالي، المصدر نفسه،ج٢/ص ١٣٥ ،وأحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ج٣/ ص٣٩٨.

(٦) أبو علي القالي، المصدر نفسه،ج٢/ص ١٣٥ ،وأحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ج٣/ ص٣٩٨.

(٧) أبو علي القالي، المصدر نفسه،ج٢/ص ١٣٥ ،وأحمد زكي صفوت، المرجع نفسه، ج٣/ ص٣٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكلها كنايات قريبة، مألوفة، عززت المعاني التي طرقها العتابي في نثره، واستثارت مشاعر المخاطب الذي يستجيب لكل ما قد يُطلب منه بعد سماعه هذه المعاني.

ومن المحسنات البديعية التي ظهرت في كتب العتابي وأحاديثه الطباق والجناس، والسجع.

ومن أمثلة الطباق التي استخدمها قوله[١]: "تأتينا إفاقتك من سكرتك، وترقبنا انتباهك من رقدتك" الطباق بين أفاقتك وسكرتك، وبين انتباهك ورقدتك.

وقوله[٢]: "فمن ينتظر عاجل الدرك آجل الاستقضاء" الطباق بين عاجل وآجل.

وقوله[٣]: "الظاهر الذي ليس له باطن".

الطباق بين الظاهر وباطن.

وقوله[٤]: "إن المرء لا يحمد أول أمره على صواب، ولا يذم على خطأ" والطباق جاء على شكل المقابلة بين لا يحمد على صواب، ولا يذم على خطأ.

ويظهر الطباق في قوله: "إذا وجد مادحاً مدح، وإن وجد قادحاً قدح" وجاء الطباق على شكل المقابلة بين "مادحاً مدح"، و"قادحاً قدح"[٥]، وقد أفاد العتابي في إيراد الطباق بتأكيده المعنى أو الفكرة التي يرتادها في نثره، وليؤكد إيصالها للمتلقي بشكل واضح. وحفل نثر العتابي بالجناس، ومن الأمثلة قوله: "لم يخشَ المطنب في الثناء عليك أن يكون مُفرِطاً كما لا يأمن أن يكون مُفرِّطاً"[٦].

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص٢٣٧، ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣/ص٣١.

(٢) الحصري وزهر الآداب، ج٢/ص ١٠٧٣، أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج٣/ص٣٩٨.

(٣) ابن عبد ربه العقد الفريد، ج٢/ص٣٠٦.

(٤) ابن عبد ربه، المصدر نفسه، ج٤/ص ٣٢٧.

(٥) أبو إسحاق الكتبي، غرر الخصائص الواضحة، ص ٤٧١.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٥/ص ٢٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء الجناس في لفظتي "مُفرِطاً ومُفرِّطاً".

وكقوله: "إن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإن ابن عمّك من عمّك خيره،..."[١].

ظهر الجناس في عشيرتك، عشرتك، وفي عمّك وعمّك وكقوله: "كلهم يعطيك كله"[٢].

وظهر الجناس في كلهم وكله.

أما السجع فيظهر بشكل واضح في معظم نثر العتابي، وكأنه التزمه التزاماً، ويعلق زكي مبارك على سجع العتابي بقوله: "وبدأنا نرى رسائل في القرن الثاني الهجري يكاد يلتزم صاحبها فيها السجع كقول كلثوم بن عمرو العتابي في مخاطبة صديق أما بعد –أطال الله بقاءك"[٣]. وقد التزم العتابي السجع في تلك الرسالة مثل قوله: "استماماً لزهرتها"، وشفقة على خضرتها، وادخاراً لثمرتها" ومنها: "أنك موضع الرائد"، و"أنك تغطي عين الحاسد" ومن أمثلة السجع لديه، قوله في رسالة سلفك وبينك، ثلمهم وشرفهم وصيتهم.

فاحتملنا قسوتك لعظيم قدر مودتك.

لصلتنا من جفائه، وشوقنا من إبطائه.

وعلى الرغم مما رأيناه من الاهتمام بالسجع والمحسنات البديعية فإنه لا يمكن القول إن العتابي كان ممن يتكلفون السجع والمحسنات البديعية، لأنه يوجد فرق بين تكلف السجع والمحسنات التي تخل بالمعنى وتضعفه، وبين ورود تلك المحسنات بشكل طبيعي أو بقليل من العناية يضفي على النص نغماً موسيقياً جميلاً ويزيد المعنى وضوحاً وتأكيداً.

---

(١) الأصفهاني الأغاني، ج١٣/ص١١٦.

(٢) الحصري، زهر الآداب، ج٢/ص١٠٧٣.

(٣) زكي مبارك في القرن الرابع الهجري، ط٢، مصر، ج١، ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة :

وبعد فقد كانت هذه الدراسة محاولة لإلقاء الضوء على شخصية العتابي أديباً وناقداً ، وبالاستئناس بما جاء في المصادر والمراجع من أحاديث وروايات نقلها الرواة تتعلق بحياة العتابي وأدبه ، تبين أن العتابي كان من الكتاب المجيدين والشعراء البلغاء الذين جمعوا براعة الشعر والكتابة إلى جانب القدرة على النقد والتحليل ، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها :

أ - كشفت الدراسة عن العتابي الأديب الناقد وعن حياته، وعن العوامل التي أثرت في مجرى حياته وأدبه منذ أن كان حدثاً .

ب - كشف البحث عن عقلية العتابي، وعن ثقافته، وصفاته، وعن أحواله النفسية ، وربط كل ذلك بإنتاجه الأدبي .

ج - عرض البحث أدب العتابي في صورة شاملة مفصلة، حيث درس شعر العتابي موضحاً الأغراض التي طرقها، ودرس كذلك نثره موضحاً كل فن نظم فيه أو كتب فيه، وربط ذلك الإنتاج بالمناسبات التي قيل فيها .

د - درس البحث أدب العتابي دراسة فنية تطبيقية كشف من خلالها عن الخصائص الفنية لأدبه ، وكشف البحث عن أثر الشعراء والأدباء السابقين في إنتاج العتابي الشعري والنثري مثل بشار بن برد، والأديب ابن المقفع.

هـ- كشف البحث عن بعض الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية التي صورها أدب العتابي، وجاءت هذه الجوانب في ثنايا الدراسة لأدب العتابي غير مفصولة عنه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٠هـ- ١٤٣٠م) **المستطرف في كل فن مستظرف** ، ط١ ، تحقيق ابراهيم صالح : دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٩ .

- ابن الأثير الجزري ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ- ١٢١٠م):

  - **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ .
  - **اللباب في تهذيب الأنساب** ، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠ .

- إحسان عباس ، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب** ، ط ٣ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٨١ .

- أحمد أمين ، **ضحى الإسلام** ، ط ٦ ، مكتبة النهضة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

- أحمد زكي صفوت ، **جمهرة رسائل العرب** ، المكتبة العلمية ، بيروت .

- أحمد علي محمد، **أثر النزعة العقلية في الشعر العباسي**، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، ١٩٩٣.

- أحمد محمد النجار ، **العتابي أديب تغلب في العصر العباسي الأول** ، ط ١، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٧٥ .

- أسامة بن منقذ ،أبو الفرج الراغب، (ت ٥٨٤هـ- ١١٣٤م) **لباب الآداب**، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة لويس سركيس ، القاهرة ١٩٣٥ .

- الأصفهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦ هـ- ٩٣٦م):

  - **الأغاني**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨.
  - **الأغاني**، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الألباني ، محمد ناصر الدين ، **الفتح الكبير، ضعيف الجامع الصغير وزيادته** ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٧٩ .

- الآمدي ، الحسن بن بشر الأمدي ، **الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٤ .

- البصري ، صلاح الدين أبو الفرج بن الحسين (ت ٦٥٩هـ- ١٢٣٩)، **الحماسة البصرية**، ط١ ، تحقيق مختار الدين احمد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٩٦٤ .

- البيهقي ، ابراهيم بن محمد (ت ٣٣٢هـ- ٩٠٠م) **المحاسن والمساوئ**، ط١ ، تحقيق عدنان علي ، دار الكتب العملية، بيروت ، ١٩٩٩ .

- ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت ٨٣٤هـ- ١٤١٤م) **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة** ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٥ .

- التنوخي ، أبو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤هـ- ٩٦٤م) **الفرج بعد الشدة** ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٨ .

الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد اسماعيل (ت٤٢٩هـ-١٠٠٩م) :

- **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة، ١٩٦١.
- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة .
- **خاص الخاص** ، ط١ ، تحقيق محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **المنتحل** ، تحقيق أحمد أبو علي، الاسكندرية ، ١٩٠١ .

- جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط٢، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٣.

- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ- ٨٣٥م):

- **البيان والتبيين** ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مكتبة المثنى بغداد ، ١٩٦٠ .

- **الحيوان** ، تحقيق : عبد السلام هارون ، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، بيروت ، ١٩٦٩.

- الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١هـ- ١٠٥١م)، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمد رشيد رضا ، أسامة صلاح الدين قميحة ، دار إحياء العلوم ، بيروت ١٩٩٢ .

- الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس ، (ت٣٣١هـ- ٩١١م) ، **الوزراء والكتاب**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري و عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ، ١٩٣٨ .

- ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ -١١٧٧م)، **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم** ، تحقيق : سهيل زكار ، إشراف مكتب البحوث والتراث، دار الفكر ، ١٩٩٥ .

- الحاتمي ، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر، **حلية المحاضرة**، تحقيق : جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطني ، الحنفي ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر للطباعة والنشر .

- الحسيني، العباس بن علي بن نور الدين، **نزهة الجليس ومنية الأديب والأنيس**، تقديم: محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٨.

- الحصري ، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤١٣هـ- ٩٩٣م) **زهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٣ .

- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ- ١٠٤٣م) ، **تاريخ بغداد** ، تحقيق : محمد أمين الخانجي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، والمكتبة العربية ، بغداد ، ١٩٣١ .

- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان (ت ٤٦٦هـ- ١٠٤٦م) **سر الفصاحة**، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ- ١٢٦١م) ، **وفيات الأعيان**، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٦ .

- **ديوان بشار بن برد العقيلي** ، تحقيق محمد الطاهر عاشور ، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٦ .

- **ديوان أبي تمام** ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

- **ديوان جميل بثينة**، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة.

- **ديوان صريع الغواني** ، تحقيق : سامي الدهان ، دار المعارف .

- **ديوان كثير عزة** ، تحقيق : عدنان زكي درويش ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **ديوان مروان بن أبي حفصة** ، ط١ ، تحقيق : أشرف عـدرة ، دار الكـاتب العربـي ، بيروت، ١٩٩٣ .

- **ديوان أبي نواس** ، تحقيق : عبد المجيد الغزالي ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

- الرقيق النديم ، أبو اسحاق ابراهيم (ت،٤١٧هـ- ٩٩٧م) **قطب السرور فـي أوصـاف الخمور** ، تحقيق : أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٦٩ .

- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم (ت ٥٠٠ هـ- ١١٨٠م) **محاضرات الأدباء**، ومحـاورات الشعراء والبلغاء، مكتبة سيد موسى شريف، القاهرة، ١٩٠٨ .

- الزجاجي ، عبد الرحمن بن اسحاق (ت ٣٣٧هـ- ٩١٧م) **مجـالس العلمـاء** ، ط٢، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٣.

- زكي مبارك ، **النثر الفني في القرن الرابع الهجري** ، ط٢، مصر .

- السـمعاني ، أبـو سـعيد عبـد الكريـم بـن محمـد بـن منصـور الخراساني (ت ٥٦٢هـ- ١١٤٢م)، **كتاب الأنساب**، تحقيق: محمد أحمـد حـلاق ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- الشريف الرضي ، علي بن الحسين بن موسى ، **طيف الخيال**، تحقيق : محمد حسن أبـو ناجي، دار التربية للطباعة والنشر .

- شهاب الدين الخفاجي (ت ١٠٩٦هـ- ١٧٧٦م) **طراز المجالس** ، القاهرة ، ١٩٤٦.

- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٤٥٨هـ- ١٠٣٨م) **الملـل والنحل** ، ط٦، تحقيق : أمير علي مهنا ، علي حسن فاعور ، دار المعرفـة ، بـيروت ، ١٩٩٧ .

- شوقي ضيف ، **العصر العباسي الأول** ، ط٦ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى ، **أخبار أبي تمام** ، تحقيق : خليل عساكر وآخرين .
- لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٣٧ .
- ابن طباطبا العلوي ، **عيار الشعر** ، تحقيق : طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، مصر، ١٩٥٦ .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ - ٨٩٠م) **تاريخ الرسل والملوك** ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- طه حسين ، **تاريخ الأدب العربي** ، العصر العباسي الأول ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٩٧١ .
- ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن ظاهر (ت ٢٨٠هـ - ٨٦٠م):
  - **كتاب بغداد**، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، طبعة عزت الحسيني ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، ١٩٤٩ .
  - **المنظوم والمنثور** ، تحقيق : محسن عياض، بيروت ١٩٧٧ .
- ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ - ٩٠٨م) ، **العقد الفريد** ، تحقيق : أحمد أمين وإبراهيم الإبياري وعبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- عبد العزيز الدوري ، **العصر العباسي الأول** ، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٨ .
- عبد الكريم اليافي ، **دراسات فنية في الأدب العربي** ، ط١ ، ١٩٦٣ .
- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن عبد الله (ت ٥٧١ هـ-١١٥١م)، **تهذيب تاريخ دمشق**، تحقيق عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.
- عصمت غوشة ، **الشعر في ظلال البرامكة** ، مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العبدي ، أبو الحسن محمد بن عمران العبدي ، **العفو والاعتذار** ، تحقيق : عبد القـــدوس أبو صالح ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٨١ .

- القالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـــــ-٩٣٦م) **الأمـــالي**، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ، دار الكتب المصرية .

- ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ- ٧٥٦م) **الشـــعر والشعراء**، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ .

- القرطبي ، ابن عبد البر ابو عمر ، يوسف بن عبد الله ، **بهجة المجالس وأنس المجالس**، تحقيق : محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- القيرواني ، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ- ١٠٣٦م) **العمـدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده** ، ط ٣، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعـــة السعادة ، مصر ، ١٩٦٣ .

- كارل بروكلمان ، **تاريخ الأدب العربي** ، ط٢ ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف، القاهرة .

- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ- ١٣٤٤م) ، **فوات الوفيات** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت .

- المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ- ٨٦٥م) **الكامل في اللغة والأدب** ، ط١، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩ .

- محمد زغلول سلام ، **دراسات في الأدب فـــي العصـــر العباســـي** ، منشـــأة المعـــارف، الاسكندرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد مصطفى هداره ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثالث الهجري** ، دار المعارف، ١٩٦٣ .

- المرزباني ، محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ- ٩٦٤م) :

- **معجم الشعراء**. ط٢، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٣.
- **الموشح**، ط٢ ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة

- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ- ٩٢٦م) **مروج الذهب**، تحقيق : ناصر خسرو، طهران ، ١٩٧٠ .

- مصطفى الشكعة ، **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.

- ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ- ٨٧٦):

- البديع ، ط٣، تحقيق : اغناطيوس كراتشوفسكي ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٣.
- طبقات الشعراء المحدثين ، تحقيق : عبد الستار فراج ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٦.

- ابن المقفع ، **الأدب الصغير والأدب الكبير** ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ .

- ابن منظور ، أبو الفضل ، جمال الدين بن مكرم بن منظور المصري ، **أخبار أبي نواس**، تحقيق : محمد عبد الرسول ابراهيم ، دار البستاني للنشر ، مصر ، ٢٠٠٠.

- لسان العرب ، دار الصادر ، بيروت .

- النديم ، محمد بن اسحاق النديم (ت ٣٧٨هـ-٩٥٨م) **الفهرست** ، ط١، تحقيق : رضا تجدد اشكاو ، ظهران ، ١٩٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- النويري ، شهاب الدين اتحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ-١٣١٣م) **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر .

- النيسابوري ، الحافظ زكي الدين ، **مختصر صحيح مسلم للإمام مسلم** ، ط٢ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ١٩٧٢ .

- ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ-١٢٠٦م):

- **معجم الأدباء** ، ط١ ، إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- **معجم البلدان** ، دار صادر بيروت .

- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ- ٩٧٥م):

- **ديوان المعاني**، عن نسختي محمد عبده ، ومحمد محمود الشنقيطي ، دار الجيل ، بيروت.
- **كتاب الصناعتين**، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢,.

- الوطواط ، أبو اسحاق الكتبي (ت ٧١٨هـ-١٢٩٢م)، **غرر الخصائص الواضحة**، مكتبة المطبعة الأدبية المصرية، القاهرة ، ١٩٠٠ .

- اليغموري ، أبو المحاسن يوسف بن أحمد محمد الحافظ (ت ٦٧٣هـ-١٢٥٣م) **نور القبس المختصر من المقتبس** ، تحقيق : رودلف زلهايم ، جمعية المستشرقين الألمانيين ، فسبادن، ١٩٦٤ .

- يوسف بكار ، **بناء القصيدة العربية** ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن يموت المهلهل ، **سرقات أبي نواس** ، تحقيق : محمد مصطفى هـــداره ، القــاهرة ، ١٩٥٧ .

الدوريات:

- داوود سلوم، **شعر الكميت بن زيد الأسدي**، مجلة بغداد، عدد (١-٢)، ١٩٦٩.
- ناصر حلاوي، **العتابي حياته وما تبقى من شعره**، المربد، عدد (٢-٣) السنة الثانيـــة، البصرة، ١٩٦٩.
- يونس السامرائي، **ظاهرة المقطوعات**، مجلة آداب المستنصرية، عدد ٢٨، ١٩٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Al - A'ttabi as a Man of Letters and a Critic

Prepared by

Huda Ahmad Mosallam Hudeib

Supervised by

Prof. Dr. Abdul- Jalil Audul- Mahdi

This research aims at studying a literary figure who did not receive the equivaleut and appropriate interest by researchers, formerly and recently; for a Al - A'ttabi was one of the first abbaside age literates and its well known critics.

The disertation consisted of four parts; the first part was confined to studying the biography of Al - A'ttabi and his culture, but in the second Al - A'ttabi as a poet was discussed illustrating its poetry. The third part was instructed to studying Al - A'ttabi as a prose-writer and a critic, but the fourth part was specified to the technical studying of poetry and prose. The study deduced a grip of consequences concised in the following:

a. The study uncovered about Al - A'ttabi the literate-man and critic, and about his life and the factors which influenced in the course of his life and literature since he was teen - ager.

b. The research revealed the reasoning of Al - A'ttabi, his culture, his qualities, his psychological conditions, and connected all this with his literary work.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

c. The research displayed Al - A'ttabi literature in a detailed comprehensive from: for Al - A'ttabi 's poetry was discussed, explaining the aims practiced, and studied the prose illustrating all kinds of arts organized or written about and related that work to the occasion in which they were said.

d. The research discussed Al - A'ttabi literature by a technical applied study through which he revealed the technical qualities of his literature. And revealed the influence of previous poets on his poetry in particular, and what concerns the technical form; such as the poet Bashar Ben Burd. And revealed the influence of Ibn Al-Muqafa' on his prose, especially what concerns the terse style and semantics.

The research revealed some political, social and cultural sides which were personified by Al - A'ttabi literature, and these sides came within the folds of Al - A'ttabi 's literature and unsparated from it.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit